د. ابتهال عادل ابراهيم

اليهود
في المصادر المسمارية






دار علاء الدين

اليهود

في المصادر المسمارية

1000-395ق.م

د. ابتهال عادل إبراهيم

اليهود في المصادر المسمارية 1000-395 ق.م



منشورات دار علاء الدين

- اليهود في المصادر المسمارية 1000-395 ق.م.
- تأليف: د. ابتهال عادل إبراهيم.
- الطبعة الأولى 2014.
- تمت الطباعة في دار علاء الدين.

دار علاء الدين

للنشر والتوزيع والترجمة

سورية - دمشق

ص. ب: 30598 هاتف: 5617071 فاكس: 5613241

Web: www.zoyaala-addin.com E-mail: ala-addin@mail.sy

ISBN: 978-9933-18-747-7

«وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إسرائيل فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأرض مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً ۞ فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً ۞»[1]

صدق الله العظيم

1- سورة الإسراء: الأيات 4-5.

Abbreviation

AAO: Frankfort, H., The Art and Architecture of the Ancient Orient, 1969.
A. B. L: Assyrian Babylonian letters.
AJA: American Journal of Archaeology, New - Haven
AJSL: American Journal of Semitic Languages & Litterateur, Chicago.
ANEP: Pritchard, J. B., The Ancient Near East An Anthology of Texts and Pictures, Oxford - 1958.
ANET: Pritchard, J. B., Ancient Near Eastern Texts Relating with the Old Testament, New Jersey - 1969.
An. St: Anatolian studies, Ankara.
ARAB: Ancient Records of Assyrian and Babylonia, Chicago - 1926-1927 Vol.1, 2.
ARC: Grayson, A. K., Assyrian and Babylonian Chronicles, New York - 1975.
A. S.: Assyrian Studies.
B. Al: Biblical Archeologist.
BAL: Borger, R., Babylonisch-Assyrische Lesetuck, Rome - 1963.
BASOR: Bulletin of American school of Orient Research, Baltimore.
CAD: Oppenheim, Leo & et. al., The Chicago Assyrian Dictionary, Chicago - 1956.
CAH: Cambridge Ancient History, Cambridge - 1960.
Iraq: London British school of Archaeology in Iraq.
JCS: Journal of Cuneiform Studies, New-Haven.
JESHO: Journal of Economic & Social History of the orient, Leiden.
JNES: Journal of Near Eastern studies Chicago.
JSOR: Journal of The Society of Oriental Research , Chicago.
JSS: Journal of Semitic studies, Manchester.
MDA: Labat, R., Manuel D'epigraphie Akkadinne, Paris - 1976.
NWL; Kinnier, Wilson, J. V., The Nimurd Wine Lists, London - 1972.
Orientalia: Orientalia, Rome (Pontifical Biblical Institute)
RGAE: Waterman, L., Royal Correspondence of the Assyrian Empire, Michigan - 1930.
SAA: Pefeifer, R., State Letters of Assyria, New York - 1939.
SAA: State Archives of Assyria, Helsinki - 1997.
ZA: Zeitschrift fur Assyriologie, Leipzig - Berlin.
ZDMG:
ZANF:

المختصرات والرموز العامة

الرمز	المختصر
ج	الجزء
د. ت	دون تاريخ
ص	صفحة
ع	عدد
ق.م	قبل الميلاد
م	مجلد
آ	A
ي	I
أَ	A
إِ	I
أُ	U
حركة مزدوجة	^
خ	H
ص	S
ش	S
ط	T
ء	,

الرمز	المختصر
AKK	In Akkadian language
BI	Before Christ
CH	Chapter الفصل
ED	Editor
FF.	The following Pages
ibid.	المصدر نفسه
Opi. cit.	المصدر السابق
P.	Page صفحة
PL.	Part جزء
SUM	Sumerain language
Vol.	Volume مجلد

الرمز	المختصر

...	علامات مفقودة أو غير واضحة
؟	علامة غير مؤكدة ومحسومة القراءة
[ ]	كلمات مفقودة أو مخرومة تم تقديرها وتعويضها
[×××]	علامات غير معروفة

المقدمة

الحمد لله الذي سلم ميزان العدل إلى أكفاء ذوي الألباب وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب، وأرسل رسول الله محمد ﷺ بالهدى ودين الحق وجعل أمته المحمدية خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ويسارعون في الخيرات، وبعد قال تعالى في محكم كتابه العزيز: **«..قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا..»**[1]، **«إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»**[2]، **«وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَـئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ»**[3].

من هذا المنطلق فإنه لا يوجد قوم في العالم تلاعبوا بتاريخهم، وحذفوا ورتبوا ونقحوا وأضافوا إليه مثلما فعل اليهود بتاريخهم عبر العصور، إن الصورة التي تطل علينا من صفحات العهد القديم هي في الواقع صورة اشتراك في وضع معالمها

1- سورة الأنعام: الاية 91.

2- سورة المائدة: الاية 44.

3- سورة المائدة: الاية 43.

رسامون متعددون عاشوا في حقبات مختلفة وفي أكثر من منطقة واحدة. والذي يلاحظه الباحث المتعمق في الدراسات اليهودية أن الأشخاص المشاركين في التأليف سجلوا الوقائع من وجهة نظر يهودية ضيقة كانت متلائمة ومتجاوبة مع المعطيات والظروف السياسية القائمة في ذلك العهد. وأسبغوا عليها هالة من القداسة لا يدنو إليها الشك وسعوا إلى فرض مضمونها على الحاضر والمستقبل، وإذا كان ما يعزى للعهد القديم من قيمة تاريخية لا يجد له سنداً، إلا فيما يزعم له من قداسة فالذي لا شك فيه أن ثمة علاقة بين قيمة العهد القديم بوصفه كتاباً تاريخياً وقيمته بوصفه كتاباً مقدساً، وذلك أنه كلما تدعمت قيمته بوصفه كتاباً مقدساً تضاءلت الريبة في صدق ما تضمنه من وقائع وسهل وصول هذه الوقائع إلى يقين الناس من حقائق التاريخ لا ينبغي الشك فيهما، وقد أدركت الصهيونية العالمية هذه الحقيقة فأحسنت استغلالها إعلامياً في الغرب النصراني لدعم ما زعمت أنه حقها في إنشاء دولتها، ولكن أية قيمة تبقى لتاريخ لا يجد سنداً له إلا فيما يزعم لكتاب واحد من قداسة وهي بعد قداسة توجه إليها سهام الريب من أكثر من جانب وليس بالواسع القول بأنها ترقى إلى ما فوق مظان الشبهات. ومن هنا فإننا سننظر إلى العهد القديم بوصفه مصدراً تاريخياً دون أن نتقيد بتلك الهالة التي فرضها على المؤمنين به، إن من كتبوا العهد القديم المتداول اليوم كانوا بشراً مثلنا وهم مؤرخون لا يختلفون كثيراً عن نظائرهم من معاصريهم، كما أنه ليس هناك تاريخ لا يحتمل المناقشة بل لا يحتمل أن نخطئه، وما دام العهد القديم كتاب تاريخ فليس هناك ما يمنع المؤرخ من أن يناقشها مناقشة حرة دون تحيز يتقبل ما تقوله بصدر رحب إن كان يتفق مع الأحداث التاريخية ويوافق المنطق والعقل ويرفضه حين يذهب بعيداً عن ذلك، فالتاريخ لا يعرف حقائق نهائية كما أن الحقائق المكتوبة ليست هي كل الحقائق النهائية. لا سيما وأن معظم أسفار العهد القديم كان قد دونها الأحبار اليهود أثناء وجودهم أسرى في بلاد بابل في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد في وقت كانوا مليئين بالحقد والكراهية للآشوريين والبابلين الذين قضوا على كياناتهم السياسية تماماً فجاءت كتاباتهم تفصح عن ذلك.

اختيار موضوع البحث:

إن اختيار موضوع البحث ليس من الأمور الهينة، فالمواضيع المختارة يرتبط أمر اختيارها بأسس وقواعد تتحكم في عملية الاختيار وقد ينتقي الباحث بعض الأبحاث الصعبة والمعقدة في تحليلها واستنتاج ما يمكن استنتاجه من ذلك التحليل حيث يركب الباحث متن الصعاب ليحقق ما يدور في مخيلته لهدف الاختيار. تعود فكرة الكتابة في هذا الموضوع إلى أيام إعدادي لرسالة الماجستير عندما كنت أبحث في الجوانب التي تأثر بها اليهود من مظاهر الإبداع العراقي القديم، ثم أخذت الفكرة تتطور في ذهني وازداد شغفي بالقراءة عن كل ما كتب عن اليهود، فبدأت بالبحث عن الدراسات العربية والأجنبية التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة باليهود وقد اكتشفت من خلال البحث والاستقصاء أن هناك ضرورة ملحة إلى هذا الذي نويت عليه فهو واحد من المواضيع التي ينبغي أن يكتب فيها جملة وتفصيلاً، والذي شجعني على ذلك الوضع العربي الراهن في صراعه مع الصهيونية العالمية، ولارتباط قضية الماضي بالحاضر والمستقبل، ولئن اعتبر الفلاسفة وأهل الفكر شعار (اعرف نفسك) بمثابة رأس الحكمة ومفتاح التبصر فإن (معرفة العدو) فرضية حتمية لابد منها ومحاولة أولى لرسم صورة عن اليهود وتاريخهم من خلال شاهد عراقي كان معاصراً للأحداث ووضع القارئ العربي سواء كان من المختصين أو غير المختصين أمام حقائق تاريخية ملموسة، نأمل أن يتبعها عدد آخر من هذه الدراسات الأكاديمية، فالرغبة الحقيقية لمعرفة تاريخ اليهود كانت الأساس في اختيار هذا الموضوع قد أصبح حكراً على الغربيين ذوي الخلفية التوراتية من أجل إثبات ما ورد في العهد القديم. وتأسيساً على ما سبق أستقر الرآي بعد طول فكر وعناء "فكان موضوع الدراسة فبدون دراسة متعمقة للتاريخ اليهودي يمسي من الصعب فهم المسألة اليهودية في عصرنا الحاضر إذ أن وضع اليهود في الوقت الحاضر مرتبط عضوياً بماضيهم التاريخي فاليهودي يتعامل مع نص العهد القديم بوصفه حقيقة مطلقة، والعربي يتعامل معه بوصفه تزييفاً لحقيقة التاريخ، (تاريخ فلسطين القديم وتاريخ اليهود). من هذا المنطلق كان اختيار مادة النصوص المسمارية شاهداً تاريخياً معاصراً للأحداث يصور لنا موقف العراقيين القدماء من

اليهود وتعاملهم معهم. وتم اختيار الحقبة المشار إليها آنفاً لأنه ليس لليهود أي ذكر في العراق قبل هذه المدة، وإنما بدأ ذكرهم في العصر الآشوري الحديث وبالتحديد زمن الملك الآشوري شيلمنصر الثالث (858-824) ق.م الذي يعد أول ملك عراقي يحتك عسكرياً باليهود في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد وأوئل القرن السابع قبل الميلاد أي بعد عصر إبراهيم الخليل ﷺ بألف عام ومئتي سنة، وهذا يفند مزاعمهم وادعاءهم خلافاً للواقع التاريخي بأن العراق وطن اليهود الأصلي لأنهم هاجروا مع إبراهيم الخليل ﷺ، فلم يكن لليهود وجود في العراق أو في أي مكان آخر في عصر خليل الرحمن وأن إبراهيم الخليل ﷺ لم يكن يهودياً أو نصرانياً بل كان الجد الأعلى لأنبياء كل من اليهود والنصارى والمسلمين على حد سواء حسبما ورد ذلك في القرآن الكريم ونقله المؤرخون على اختلاف هوياتهم. ثم تتابع ذكر اليهود في نصوص ملوك المملكة الآشورية الحديثة وفي عصر ملوك المملكة البابلية الحديثة واخترنا عام (539) ق.م نهاية الحقبة الزمنية لدراسة تاريخ اليهود لأنها تعد مهمة جداً وتركيز أغلبية البحوث حولها ويجري التأسيس على وضع التاريخ اليهودي وظهور مفهوم العودة وإعادة بناء الهيكل الذي اتخذ أبعاداً إيدولوجية وقومية بعيدة المدى بالنسبة لليهود.

صعوبات الدراسة:

لا يخلو أي عمل بحثي من صعوبات، إلا أن ما يواجه الباحث في تاريخ اليهود من صعوبات هي أكثر من غيرها دون شك، ويمكن تمييز نوعين من الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث.

الأولى:

صعوبات ناشئة من طبيعة البحث نفسه، فالمادة التاريخية المتوفرة تتطلب الحذر والدقة في اختيار المعلومات الضرورية التي تخدم موضوع البحث والتخلص من الآراء السائدة والمتداولة في الكتب والإصدارات اليهودية والبحث في هذا الموضوع ما زال موضوع نقاش شائك ويختلف نهج البحث ولهجته تبعاً لعقيدة الباحث وعقليته

أولاً والمصادر التي يعتمد عليها ثانياً، ومعظم ما كتب عن هذا الموضوع قد حتمته الظروف السائدة في القرن العشرين.

الثانية: مشكلة المصادر وهذه المشكلة كانت ذات اتجاهين:

الاتجاه الأول:

كثرة المؤلفات سواء العربية أم الأجنبية، وضمت المؤلفات العربية صنفين، كتب الأول منهما استناداً إلى العقيدة الإسلامية وجاء الصنف الثاني معتمداً أساساً على ما ورد في العهد القديم.

الاتجاه الثاني:

أما بالنسبة للمؤلفات الغربية فكثيرة جداً وقد اعتمد معظمها إن لم يكن جميعها على ما ورد في كتاب العهد القديم.. واستناداً إلى هذه الخلفية التوراتية والتي تسعى بشتى الطرق والوسائل إلى إثبات وتأكيد ما ورد من أخبار في كتاب اليهود المقدس الذي أصبح يؤلف جزءاً من كتاب اليهود والنصارى، وتفسير كل ما تسفر عنه التنقيبات الآثارية وتنقله الكتابات المسمارية وغيرها بما يخدم أهداف اليهود ويحقق مطامعهم غير المشروعة المثبتة في كتاب العهد القديم.

ومع كثرة المؤلفات فإننا نواجه مشكلة أخرى تتعلق بكيفية الحصول على المصادر سواء القديمة منها أم الحديثة العربية أو الأجنبية فبحكم الحصار الجائر افتقد قطرنا إلى كثير من هذه المصادر ذات الصلة بالموضوع، فكانت عامل دفع قوي لنا في البحث والاستقصاء من أجل الحصول على أية معلومات تخدم موضوع البحث. وبالتالي فإننا لم نبخل بأي جهد كان بإمكاننا بذله من أجل البحث إلا وبذلنا بغية تحقيق ما نطمح إليه وإخراج البحث بشكل يرضي الدارس والباحث الأكاديمي. فأخذنا بمراسلة العديد من المؤسسات الجامعية والباحثين العرب والأجانب بغية الحصول على الإصدارات الحديثة التي تخدم موضوع البحث.

هيكلية البحث:

تحدد موضوع البحث بخمسة فصول وخاتمة مسبوقة بمقدمة وتمهيد يضم ضرورة البحث وأهميته الحالية والمشاكل التي تواجه الباحثين العرب في هذا

المجال، وأخيراً عرضاً لنوعية النصوص المسمارية والتعريف بها حيث ضمت الحوليات الملكية الآشورية، وكتب الأخبار البابلية والمنحوتات الجدارية التي تعد الوسيلة التوثيقية لأخبار ما ورد في الحوليات الملكية وأخيراً الرسائل.

واقتضت طبيعة الفصل الأول أن يضم خمسة مباحث، تناول المبحث الأول ما يعرف بالعبرانيين أو العبرين من حيث معنى الاسم والآراء التي قيلت في تفسيره في حين تناول المبحث الثاني المسمى الثاني الإسرائيليين أو بني إسرائيل من حيث اشتقاق هذه التسمية التي وردت في العهد القديم وبيان معناها ومواضع ذكرها في القرآن الكريم والشواهد التاريخية في حين انصرف المبحث الثالث لتناول مسمى الموسويين ومدلول هذه التسمية والمقصود منها. أما المبحث الرابع فقد خصص للحديث عن الساميين ومدلول هذه التسمية والغرض منها، أما المسمى الأخير اليهود والمقصود منه ومواضع ذكره في القرآن الكريم والشواهد التاريخية فقد كان من نصيب المبحث الخامس.

أما الفصل الثاني فقد عالج المبحث الأول منه متغيرات الأحداث على الساحة الدولية مع مطلع الألف الأول قبل الميلاد والتي أدت إلى ظهور الآشوريين كقوة دولية في تلك الحقبة الزمنية، ثم بدأية ذكر اليهود في نصوص الملك الآشوري شيلمنصر الثالث فهو أول ملك عراقي يحتك عسكرياً بهم وجاءت انتصاراته موثقة بالنصوص المسمارية فضلاً عما تفصح عنه مسلتي هذا الملك، وهي المسلة السوداء ومسلة الكرخ، التي كانت دراستها من نصيب المبحث الثاني، في حين تناول المبحث الثالث حقبة الركود السياسي التي أعقبت حكم شيلمنصر الثالث والظروف والملابسات والأوضاع التي أعقبت ذلك وأدت إلى تولي أدد. نيراري الثالث الحكم (810-783) ق.م والمنجزات العسكرية التي حققها على اليهود بعد فترة الركود السياسي، ثم أعقبتها فترة ركود سياسي ثاني لم يكن فيها أي ذكر لليهود.

في حين اتجه الفصل الثالث للإشارة إلى ذكر اليهود في نصوص المملكة الآشورية الثانية فقد عالج المبحث الأول ذكر اليهود في نصوص الملك تيجلا تبليزر الثالث (745-727) ق.م والأعمال العسكرية التي قام بها والتي كانت بدأية النهاية بالنسبة للسامرة (ما عرف لدى الباحثين بمملكة إسرائيل)، انصرفت جهود

شيلمنصر الخامس (726-722) ق.م وخليفته سرجون الآشوري (721-705) ق.م في القضاء على السامرة فقد كانت من حصة المبحثين الثاني والثالث، أما منجزات سنحاريب (704-681) ق.م ما قام به من أعمال عسكرية في الجبهة الغربية باتجاه فلسطين وحصاره لـ (لخيش) ومن ثم أورشليم فقد عالجها المبحث الرابع. أما أعمال أسرحدون (680-669) ق.م والحملات التي قام بها باتجاه يهوذا فقد تناولها المبحث الخامس. وأخيراً فإن المبحث الأخير وهو السادس عالج ذكر اليهود في نصوص آخر ملوك المملكة الآشورية وهو آشور بانيبال، ثم استعراض لطبيعة الأحداث السياسية التي أعقبت وفاة آشور بانيبال والتي أدت إلى سقوط المملكة الآشورية عام (612) ق.م.

أما الفصل الرابع فقد اقتضت طبيعة الفصل أن يضم ثلاثة مباحث، الأول عقد لتناول الحديث عن مؤسس المملكة البابلية الحديثة نبو بلاصر (626-605) ق.م وخليفته نبوخذنصر (604-562) ق.م حيث كانت من نصيب المبحث الأول، أما المبحث الثاني فقد عالج ذكر اليهود في نصوص الملك نبونائيد (555-539) ق.م في حين انصرف المبحث الثالث والأخير للحديث عن الدور الخياني ليهود الترحيل البابلي الذي مهد إلى دخول الفرس الأخمينيين وسقوط آخر الحكومات الوطنية في العراق ونتيجة لدورهم الخياني فقد سمح لهم كورش بالعودة إلى فلسطين.

وأفردنا في الفصل الخامس: الحديث عن الترحيل ومفهومه، والغاية منه والحريات الممنوحة لليهود فلم تكن مطلقة وليست مقيدة فكان هذا من الأمور التي تناولها المبحث الأول حيث كرس للحديث عن الترحيل الآشوري، أما المبحث الثاني فكان عن الترحيل البابلي لليهود وعن نشاطاتهم فقد عالج الحديث عن البيوتات المالية اليهودية والدور التخريبي الذي مارسه اليهود بالإقراض بالفائدة العالية واستغلال الضائقة الاقتصادية بالبلاد وتمكنوا عن هذا الطريق من تحقيق أرباح فاحشة، فضلاً عن حياتهم الاجتماعية واستخداماتهم في المجلات المختلفة.

وأنهينا الدراسة بخاتمة لموضوع الرسالة اشتملت على تقييم ونتائج فصول الرسالة وقائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة في البحث والمثبتة في نهاية الرسالة.

أهداف الدراسة:

أولاً: أن نضع بين يدي القارئ العربي ترجمة حرفية لكافة النصوص العراقية التي ورد فيها اسم اليهود أو ذكر حاكم من حكامهم.

ثانياً: القيام بمحاولة استنتاج ملامح من تاريخ اليهود القديم في الفترة الواقعة بين القرن العاشر إلى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد.

فاليهود لم يكن لهم ذكر في النصوص المسمارية في الفترات السابقة وأول إشارة إليهم تعود إلى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، ولم يرد فيها ذكر (إسرائيل) للدلالة على مملكة أو دولة أو مدينة في فلسطين بهذا الاسم بل أشارت النصوص إلى مدينة السامرة تسبقها العلامة الدالة على المدن التي كانت عاصمة ما سماه الباحثون بـ (مملكة إسرائيل) وأن التسمية الوحيدة التي وردت بهذا الخصوص هي ^{mat}sir-ila-a-a والتي ترجمها الباحثون على أنها تعني بلاد إسرائيل، في حين ترجم الباحثون أنفسهم تسمية بيت عمري Bit-hu-um-ri بأنها تعني إسرائيل أيضاً. أما استخدام الاسم للدلالة على مملكة اليهود فإنه من ابتكار الأحبار اليهود الذين أرادوا أن يضيفوا هالة من القدسية على مملكتهم وقد أخذ عنهم الكتاب اللاحقون ذلك وانتقلت التسمية إلى كتاباتنا العربية حتى غدت لا يرقى إليها الشك. أما بالنسبة إلى يهوذا فقد ورد ذكرها في النصوص المسمارية تسبقها العلامة الدالة على المدن أو البلاد.

المصادر المعتمدة في الدراسة:

أول المصادر المعتمدة هي النصوص المسمارية المترجمة وقد ضمنتها كتب مثل كتاب:

A. Kirk Grayson, The Royal Insecription of Mesopotamia Assyrian Periods, Toronto, 1996, Vol 3,

Luckenbill, D. D., Ancient Records of Assyrian And Babylonia, Chicago-1926, 1927, Vol, 1-2.

وحوليات الملك سنحاريب للمؤلف نفسه

The Annals of Sennacherib, Chicago-1932

وكتب أخرى أحدث بكثير، منها الكتاب القيم الذي أصدره Pritchard عام 1954 وأعيد تنقيحه عام 1969 والموسوم

وإلى جانب هذه الكتب المهمة لدينا مجموعة من الرسائل الملكية الإدارية المكتشفة في كل من نينوى وبالتحديد في مكتبة آشور باني بال والتي سبق أن تم نشرها في بداية القرن العشرين[1]، ويقوم فريق من العلماء من جامعة Helsincy بإعادة ترجمة هذه الرسائل وتحمل عنوان Stat Archives of Assyria "أرشيفات بلاد آشور الرسمية" ويساهم في إصدارها عدد من الباحثين المعروفين في حقل الدراسات المسمارية ويشرف عليها S. Parpola.

إلى جانب ذلك، فقد اعتمدنا على ما يمكن استنتاجه من المنحوتات الجدارية والمسلات الحجرية، وكذلك فقد استفدنا كثيراً من البحوث والدراسات والمسلات والتي اعتمدت النصوص المسمارية قد نشر معظمها في دوريات علمية معروفة منها:

- Iraq, Journal of Cuneiform Studies
- Journal of near Eastern Studies
- Biblical Archaeology, Bulletin School of American Research

فضلاً عن العديد من المصادر المعربة، وأهمها مؤلفات هاري ساكر: عظمة بابل، ترجمة د. عامر سليمان، موصل 1979، وللمؤلف نفسه قوة آشور، ترجمة د. عامر سليمان، بغداد، 1999. وطومسيون، توماس، ل: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة صالح علي سوداح، بيروت 1995. وكذلك المصادر العربية وأهمها فراس السواح: آدم، دمشق، إسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، دمشق 1995 وللمؤلف نفسه، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، دمشق 1999، وغيرها من المصادر المثبتة في قائمة المصادر والمراجع.

وبعد...

فهذا الجهد أضعه بين يدي أساتذتي الكرام ليتعهدوه برعايتهم الكريمة وما هو إلا قطرة من بحر علمهم وما أنا إلا فرع في غصن شجرتهم المثمرة الوارفة وابنة بارة بعلمهم وأطمح أن يقوموا ما شط من رأي وبان أو اغترب أو زال اليراع أو نبا الكلم عن موضعه.

1- A.B.L.: Assyrian Babylonian letters.

فإن يكن الكتاب قد أنجز على ما هو عليه الآن فإن واجب الحقوق وما تقتضيه الأمانة العلمية فإنه ما كان ليثمر لو لم يسترفد من فيض علم أساتذة أفاضل في مراحل إنجازه المختلفة فإنه لن يؤتي أكله إلا وقد استنار بعلم أساتذتي في قسم التاريخ/كلية الآداب.

إن موضوع اللمسات الأخيرة لأي جهد ومهما كان نوعه لا بد وأن يقف وراءه أصحاب فضل لا يمكن أن تنكر جهودهم ولا يمكن أن ينسى فضلهم، وبالرغم من أن رد الفضل إلى أصحابه لا يمكن أن يعبر عنه بكلمات أو أسطر قد تكون قاصرة عن عن أعطاء صاحب الفضل حقه لكن هذه الكلمات ما هي إلا تعبير صادق عن الاعتراف بالجميل والرد بالفضل والشكر.

فمن باب العرفان بالجميل أن أتوجه بخالص شكري وتقديري إلى أستاذي الفاضل الدكتور عامر سليمان إبراهيم الذي صحبني في رحلة البحث وقاسمني صنوف النصب والتعب، فقد شجعني على تكوين رؤيتي المستقلة بتوجيهاته السديدة وإبداء ملاحظاته القيمة التي كان لها أثرها الواضح في تصويب المواضع التي أخطأت فيها أو أغفلتها عن البحث، سائلة الباري جلت قدرته أن يمن عليه بالصحة والتوفيق والسؤدد فله كل الحسنات في هذا البحث أما سيئاته فهي قصور مني وحدي.

وأجد لزاماً علي وما يميله واجب الوفاء والعرفان بالفضل الجميل للأستاذ الدكتور جابر خليل إبراهيم الذي غمرني بنصائحه وإرشاداته ولم يبخل علي بالإجابات العلمية باستفساري منه عن موضوع االكتاب فضلاً عن مساعدتي بتزويدي بعدد من الدراسات والمصادر، كما يسرني أن أشكر الدكتور عادل هامل الجادر الذي تكرم علي بالنصح والإرشاد وتزويدي بعدد من المصادر المهمة. ويلزمني الواجب كذلك آن أشكر الأستاذ خالد سالم إسماعيل لما قدمه لي من مساعدات أخوية لا أنسى فضله في ذلك..

وإن لسان الشكر ليعجز عن آن يوفي الدكتورة أيلان صادر من الجامعة الأمريكية والدكتورة فاتن البستاني من المنتدى العربي في الأردن فضلهما بتزويدي بالكثير من الكتب والدراسات الحديثة. وأخيراً يطيب لي هنا أن آخص بالشكر

عدد من الذين أسهموا في تذليل العقبات التي كانت تعترضني للفقر في المصادر الموجودة لدي، إما بتصوير بعض الفصول من الكتب أو البحوث أو محاولة الحصول عليها، ومنهم Thomson, T. من جامعة كونهاكن والبروفيسور Benjamin Foster والبروفيسور Hallo, W. من جامعة يال و Limburg أستاذ العهد القديم في المعهد اللاهوتي بالولايات المتحدة الأمريكية والعاملين في المكتبة المركزية ومكتبة كلية الآداب بجامعة الموصل، وكذلك مكتبة المتحف العراقي ومكتبة قسم الآثار واللغة العبرية بجامعة بغداد..

فالبحث العلمي لا يعرف الكلمة الأخيرة إلا أني أقول لعلي بما قدمت في هذا المجال من جهد أكون قد وفقت فيما قدمت وما التوفيق إلا من عند الله عليه توكلت وإليه أنيب.

وفي ختام هذا البحث أستذكر قول العلامة العماد الأصفهاني حيث يقول: "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه، إلا قال في غده، لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"

ومن الله السداد التوفيق

التمهيد

أهمية دراسة الموضوع:

كثيرة هي الوسائل التي استعملتها الحركة الصهيونية للوصول إلى أهدافها، لكن من أهم هذه الوسائل تزوير التاريخ لخدمتها وتوظيفه وصولاً إلى أغراض سياسية محددة. فالتاريخ بالنسبة لها هو العهد القديم والديانة اليهودية ابنة هذا التاريخ، وهاتان الركيزتان الدين والتاريخ هما عكازتا الحركة الصهيونية. وأصبح التاريخ بالنسبة للديانة اليهودية موظفاً أو متطوعاً لمصلحة اليهود وأطروحاتهم ومقولاتهم فظل التاريخ محمياً بجدار إيماني سميك أخذ سمات القداسة مع مرور الزمن[1]. ويعد التاريخ اليهودي من القضايا الشائكة، ذلك لأن هذا التاريخ اختلطت فيه وارتبطت عوامل التاريخ الاجتماعي والسياسي مع معطيات العقيدة الدينية واتجاهات الأخلاق وإفرازات الأدب والفن[2]، فاليهود يحاولون أو يحرصون على إخفاء وتحويل كثير من الأفكار لأن هذه الناحية تهدم قضيتهم من أساسها[3]، فما من بلد في العالم عانى تاريخها من الاضطهاد كما عانى تاريخ فلسطين فعملية الاستيلاء على التاريخ سبقت عملية الاستيلاء على الأرض ويعتبر معظم التاريخ اليهودي وارثاً شرعياً للأدبيات الاستشراقية الاستعمارية[4].

كما حول الصهاينة علم الآثار من علم إنساني ينشد الحقيقة إلى علم سياسي عرقي، وأصبحت عملية التنقيب عن الآثار هاجساً يسعى لتسخير علم الآثار

1- السعد، جودت: اوهام التاريخ اليهودي، ط1، الأردن - 1998، ص7-8.

2- طعيمة، صابر عبد الرحمن: التاريخ اليهودي العام، ط1، بيروت - 1975، 1/ز - ج.

3- محمد، محمد عوض: المسألة الصهيونية في نظر العلم، القاهرة - 1947، ص5.

4- وايتلام، كيث: اختلاق اسرائيل القديمة (اسكات التاريخ الفلسطيني)، ترجمة سحر الهنيدي، الكويت - 1999، ص25-26.

لترويج إيدولوجية معينة فهم يحاولون تسخير التاريخ من أجل تدعيم مطالب معينة متعلقة بالسياسة الحاضرة يستخدمونه باعتباره أحد أسلحتهم التي يستخدمونها في حروبهم[1]، وعلى هذا النحو فإن المهمة سوف تكون عسيرة لمن يلج من هذا الباب وخاصة حين يلزم الموضوعية العلمية والتقصي المحقق بأمل أن يميز بين حقائق التاريخ وأباطيله، لعل قراءة التاريخ تكون باعثاً لتصور جديد في عالم اليوم الذي تثب فيه القوى الصهيونية إلى مقدرات العالم الإنساني ومستقبله لتصنع في طريقه لتضع قضية هذا التاريخ اليهودي في ادعاء يهودي أن قضية هذا التاريخ، هي أداة المستقبل اليهودي التي لا بديل عنها حتى لو كان ذلك يكلف العالم مثل تلك الحروب التي ترهق بها القوى اليهودية، شعوب العالم، لتبدأ بالسيطرة على أرض العرب والمسلمين في اتجاه احتلال أوطان الأمم والشعوب الأخرى لإقامة "مملكة إسرائيل"[2].

وعلى الرغم من أهمية الموضوع إلا أنه لم يلق التخصص الذي يناسب أهميته في بحوثنا العربية، وأن معظم الدراسات والبحوث التي تعرضت لهذا الموضوع إنما نحت منحى دينياً قائماً على القصص والعبرة والعظة المجردة، وربما كان للتقادم الزمني الطويل أثراً غير مشجع مما أدى بالبعض إلى إهمال مثل هذه الدراسات المتخصصة ما عدا نخبة أكاديمية معزولة نسبياً احتفظت بما لديها بعيداً عن التداول المفيد والمطلوب[3].

فإعادة قراءة تاريخ اليهود أمراً ضرورياً وإن تصويب الأخطاء المنتشرة في كتب التاريخ المعاصرة امر واجب لخدمة القضية الفلسطينية. إن الاقتناع بضرورة الدراسات التاريخية المنهجية في الموضوع المعني لا يمنع من الإشارة المباشرة أو غير المباشرة إلى مصدر الوحي في قضية تعد من القضايا الرئيسية ومن المواضيع التي حفل بها القرآن الكريم بالحديث عنها. بل إن هناك أموراً في مواضيع عديدة

1- المصدر نفسه، ص50؛ شعث، شوقي: "أضواء على الأبحاث الأثرية في فلسطين"، العربية للثقافة، تونس، ع1، 1982، ص23.

2- طعيمة: المصدر السابق، 1/ج.

3- البدري، جمال عبد الرزاق: نبي العراق والعرب، بغداد - 1989، ص19.

يصعب القبول بها وترفض ولتأكيد عدم التسليم بمقتضاها أن نعود إلى الوحي بوصفه مصدراً لاغنى عنه في الأصل لا يتعارض ما يثبت علمياً مع ما ثبت بالوحي، ولكن إن أسفرت دراسة ما عن وجود تعارض وجب علينا العودة إلى المصدر الرباني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم النظر في مواضع الخطأ المحتملة في تلك الدراسة البشرية لكشف أسباب التعارض[1].

ومن هنا تبرز أهمية الموضوع الذي تناولته الرسالة إذ سنحاول أن نقدم دراسة موضوعية دقيقة عما ورد عن اليهود في نصوصنا السماوية، وهي أقدم المدونات المتوفرة عن تاريخ اليهود لنحدد حجمهم وتاريخهم وعلاقاتهم مع غيرهم ولاسيما مع الآشوريين والكلديين ونقدم الحقائق التاريخية ذات العلاقة لنبين زيف ما يدعيه اليهود عن عمقهم التاريخي وحقهم المزعوم بفلسطين، أرض كنعان كما سماها العهد القديم معترفاً صراحة بأنها هي أرض الكنعانيين أصلاً. اننا لا نزعم أننا قمنا بتقديم دراسة كاملة إلا أننا حاولنا ما استطعنا وبما هو متيسر لدينا من مصادر أن نعطي الموضوع حقه ونحلل ما ورد عن اليهود في مصادرنا المسمارية ونبين وجهة نظر العراقيين القدماء تجاههم وموقفهم منهم آملين أن يكون ذلك لبنة على الطريق الذي يهدف إلى تفنيد مزاعم اليهود والحركة الصهيونية من خلال إظهار الحقائق التاريخية وإعادة كتابة التاريخ من وجهة نظر موضوعية غير متحيزة أو متعصبة.

المشاكل والصعوبات التي تواجه الباحث العربي في هذا الموضوع:

إن النظرة الفاحصة في هذا الموضوع تجعلنا ندرك الصعوبات التي يلاقيها الباحث العربي في دراسته ويمكن أن ندرج منها ما يأتي:

- إن ما كتب عن هذا الموضوع كثير كثرة تكاد تفوق الحصر، وما كتب باللغة العربية ينقص أكثره التوثيق العلمي المعاصر للأحداث والعودة إلى المرجعية الأصلية وهما الركيزتان اللتان يستند إليهما البحث العلمي الجاد، وفقدانهما يجعل البحث موضعاً للشك ومفتقراً إلى التصديق

1- شبيب، نبيل: "ثوابت إسلامية في القضية الفلسطينية"، قضايا دولية، ع 358، باكستان - 1996، ص22-23.

والإقناع مهما تكن صحة المعلومات الواردة فيه حين تساق وحدها غير مسنودة بقاعديتها من التوثيق والمرجعية[1]. وأما ما كتب باللغات الأجنبية فغالبيته العظمى قد جانبته الموضوعية والأمانة التاريخية وخضع لأغراض سياسية أو دينية رسمت مسبقاً في أذهان بعض المستشرقين الصهاينة، ونشرت بشكل واسع في العالم الغربي حتى أصبحت في غياب الدراسات العربية وكأنها حقيقة مسلم بها[2].

- إن أكثر الذين كتبوا في هذا المجال هم من اليهود أو من تلاميذهم، فكتبوا عن دينهم وتاريخهم أعداداً ضخمة من المراجع والكتب والمقالات، حيث صوروا فيها تاريخهم بأنه تاريخ البشرية وحضارتهم بأنها منبع الحضارات وعقيدتهم بأنها أسمى العقائد وهاجموا تاريخ من سواهم[3].
- يحرص اليهود أشد الحرص في السيطرة على مراكز الأبحاث والدراسات الشرقية في الغرب وبشكل خاص في الولايات المتحدة الأمريكية واوربا وإسرائيل، وقد استهلك البحث في هذا الموضوع طاقات فكرية وكذلك موارد مادية هائلة لجامعات وكليات اللاهوت والمدارس الدينية وحلقات البحث وأقسام الآثار ، وإن نظرة سريعة في النشرات الإعلامية وكتيبات هذه المؤسسات لتكشف عن وجود مواد عديدة حول آثار وتاريخ إسرائيل القديمة تدخل في إطار دراسة التوراة من وجهة النظر اليهودية والنصرانية والشيء ذاته ينطبق على الجامعات العلمانية التي تحتوي على أقسام الدراسات الدينية بدلاً من كليات اللاهوت، ومما له دلالة خاصة أن عدداً قليلاً من المواد تدرس في الجامعات حول تاريخ اليهود القديم، ضمن برامج كليات وأقسام التاريخ. فتاريخ اليهود هو حكر على كليات الدين

1- الاسد، ناصر الدين: "القدس 5000 عام" ضمن ندوة القدس انقطة قطعية أم مكان التقاء، الرباط - 1998، ص96.

2- غريبة، عز الدين، فلسطين تاريخها وحضاراتها، بغداد - 1981، ص7. -

3- شلبي، أحمد: مقارنة الاديان اليهودية، ط2، القاهرة - 1967، 3، ص19.

واللاهوت ولكن ليس اقسام التاريخ[1]. كما سعوا إلى تجنيد مجموعة من الباحثين والآثاريين والمؤرخين واستصدار المطبوعات وكتب ودوريات لتنفيذ هذا المخطط بحكم الصلة الروحية بين اليهود ونصارى العالم الغربي، لقد كان الطابع العام لهذا المنهج لصالح الصهيونية والتاريخ اليهودي باستثناءات قليلة، وعن طريق هؤلاء الباحثين تسربت المعلومات التوراتية على علاتها إلى المؤرخين العرب عموماً وبالنقل الحرفي أحياناً كثيرة[2].

- وعندما اغتصبت الصهيونية العالمية فلسطين عام 1948 وأقامت عليه الكيان الصهيوني، سارع الكيان الصهيوني إلى تأسيس دائرة الآثار الإسرائيلية بعد أقل من شهرين على إعلان الدولة اليهودية[3]. ومن أجل ذلك سخر العدو جيشاً كبيراً من الباحثين الذين دربوا على تطبيق النهج الصهيوني والذي يقوم على مقولة طالما رددتها غولدا مائير "يجب أن نفتش عن تراثنا ولو بملعقة شاي"[4]، لتخدم هدفاً سياسياً في إثبات أطروحات العهد القديم تاريخياً وآثارياً وتولى المسؤولون الصهاينة أدواراً بدافع ذاتي محض أو إديولوجي عقائدي وندبوا أنفسهم باحثين آثاريين لهذا الغرض ومن أبرزهم موشي دايان وزير الدفاع السابق ويجئال يادين نائب رئيس الوزراء والقائد العسكري المعروف[5].

ولتكريس هذا الأمر ونقله إلى الآخرين في صورة علمية قامت المؤسسات اليهودية الاتية:

- الجمعية اليهودية للاستكشافات.

1- وايتلام، المصدر السابق، ص114-270.

2- السعد: المصدر السابق، ص8؛ الصفدي، هشام: الوجيز في تاريخ حضارات اسيا الغربية، دمشق - 1982، ص18-19.

3- السعد: المصدر السابق، ص8.

4- شعث، شوقي: الاستيلاء على الممتلكات الثقافية الفلسطينية تحت الاحتلال الصهيوني، ضمن كتاب التراث الحضاري العربي الإسلامي خارج الوطن العربي، تونس - 1991، ص123.

5- وايتلام: المصدر السابق، ص51؛ السعد: المصدر السابق، ص20.

- الجمعية الإسرائيلية للاستكشافات .
- دائرة الآثار والمتاحف الإسرائيلية وهي تابعة لوزارة التربية والثقافة.
- معهد الآثار التابع للجامعة العبرية بالقدس.
- معهد الآثار التابع لجامعة (بارايلان) بالقرب من تل أبيب.
- كلية الآثار بجامعة ابن غوريون بمدينة بئر السبع.
- مركز الدراسات الفلكلورية.
- مركز دراسات ما قبل التاريخ.
- المتاحف المستقلة.
- المتاحف البلدية[1].

وقد قامت هذه المؤسسات بإصدار عدد من المطبوعات من أهمها:

1- موسوعة التنقيبات الأثرية بالأرض المقدسة.
2- مجلة جمعية الاستكشافات الإسرائيلية.
3- حولية جمعية الاستكشافات الإسرائيلية.
4- سلسلة التنقيبات والمسوح الأثرية في إسرائيل صدر منها حتى عام 1986 ستة مجلدات.
5- نشرة متحف القدس.
6- الكتاب السنوي التذكاري الذي يصدر سنوياً لإحياء ذكرى أحد الباحثين أو العلماء الصهاينة.
7- مجلات كليات وأقسام الآثار في الجامعات الإسرائيلية.
8- مجلتا دائرة الآثار والمتاحف (علون)، (عتيقوت).
9- حولية جمعية الاستكشافات اليهودية الفلسطينية.

هذا فضلاً عن عدة نشرات وإلى ما تنشره الموسوعات والمجلات الأخرى بفلسطين المحتلة وخارجها في البلدان الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية[2]

1- شعث: الاستيلاء على الممتلكات، المصدر السابق، ص121؛ شعث: أضواء على الأبحاث، المصدر السابق، ص21.

2- شعث: الاستيلاء على الممتلكات المصدر السابق، ص123-124.

- إن أكبر المعوقات ضد تحقيق تاريخ فلسطين القديم هو أنه حتى لو تم تحريره من قيود الدراسات التوراتية، يظل حكراً على العلوم الغربية، فالعلاقة القوية بين الثقافة والإمبريالية في تطور الاستشراق والروايات الغربية وما ينقصنا هو قراءة بطريقة مقارنة للتاريخ الفلسطيني من وجهة نظر غير غربية[1]، فخطاب الدراسات التوراتية يشكل جزءاً من شبكة معقدة من الدراسات العلمية التي تعرف بالخطاب الاستشراقي، لقد تجاهلت الدراسات التوراتية تاريخ فلسطين القديم وأسكتته نظراً لأن مجال اهتمام هذه الدراسات هو إسرائيل القديمة التي تم فهمها وتصويرها على أنها منبع الحضارة الغربية، ولفترة طويلة جداً، اعتبر التاريخ الفلسطيني فرعاً (صغيراً) من الدراسات التوراتية التي هيمنت على الدراسات التاريخية المستوحاة من العهد القديم، وكذلك البحوث الأثرية المتعلقة بإسرائيل[2].

- من الواضح أن اليهود يحاربوننا بكل سلاح وأن سلاح القلم والفكر من أقوى هذه الأسلحة[3]، ففي أعقاب نكبة فلسطين غلب الحديث على الصهيونية كحركة قومية وليدة عصر القوميات الأوربية وكثر التمييز بينها وبين اليهودية كدين سماوي[4]. فقد اتفق علمانيو اليهود من المؤرخين وعلمانيو ما قبل النصرانية وما بعدها اتفقوا ضد الأديان وسعوا لهدمها، بل نكران الموحى إليهم من رسلهم. زد على ذلك أن المؤرخين العلمانيين من اليهود دفعوا بحذق ودهاء بعضاً من مؤرخي الديانات الأخرى ومنهم من ينتمون إلى العرب والمسلمين إلى نكران أديانهم والتشكيك فيها، وأبقوا القداسة للعهد القديم، فهم يشرعون هدماً في عقائد غيرهم، وعندما يتكلمون عن اليهود لا يختلفون عن الحاخامات ورجال الدين

1- وايتلام: المصدر السابق، ص 32-33.

2- المصدر السابق، ص25-26.

3- شلبي: المصدر السابق، ص21.

4- شبيب: المصدر السابق، ص22.

اليهود، حتى وإن جاروا المنهج الحر في النقد، لكن بنوع من التلطف والمداراة يبثون سمومهم[1].

- اقتصار أكثر الدراسات التاريخية على العصور الحديثة في الصراع مع الصهيونية، لإثبات هويته القومية والحصول على دولة خاصة به، غير أن التاريخ القديم قد تم التنازل عنه لمصلحة الغرب ودولة الكيان الصهيوني الحديثة، وإلى الآن فالتاريخ الذي يعمم ويدرس في كل العالم عامة، وفي الوطن العربي خاصة يعتمد كلياً على ما عممته الدوائر اليهودية عن تاريخ اليهود، ولذلك فإن الكتب تتحدث عن الخروج، وغزو شرق الأردن، ومن ثم فلسطين وقيام حكم القضاة ثم المملكة الموحدة أيام شاؤول وداود وسليمان، ويأتي بعد ذلك الانقسام إلى مملكتين والهجمات الآشورية والبابلية، وسقوط القدس سنة (586) ق.م على يد نبوخذ نصر، والترحيل إلى بابل والعودة على يد كورش الأخميني. وعلى الرغم من النتائج التي أظهرها علم الآثار وكشف الكثير من الحقائق التاريخية خلال قرن من الزمان لم يُثبت شيئاً مما جاء في التوراة، بل قاد إلى نفي الكثير منها فإن كتب التاريخ لم تتغير حتى هذه اللحظة، لا في أوربا ولا في الولايات المتحدة الأمريكية ولا في وطننا العربي[2] ولهذه الدراسات انعكاساتها القوية على التاريخ الحديث لأنها تهدم الحجة الأساسية للصهيونية وهي العودة إلى دولة الأجداد[3]. فضلاً عن ذلك أن هذه الدراسات نفسها قد أغفلت عن قصد أو غير قصد الكثير من الحقائق التاريخية الهامة، كما أنها أساءت في الوقت نفسه، تحليل بعض الحقائق

1- سلمان، سعيد: "حلف الضرورة والمصلحة بين اليهود والعلمانية الغربية عبر التاريخ". الباحث. ع61، بيروت - 1994، ص15.

2- علوش، ناجي: "هل نعيد قراءة تاريخ اليهود"، الموقف الثقافي، ع5، بغداد - 1996، ص 29.

3- وايتلام: المصدر السابق، ص15-16، 47.

وتفسير بعضها الآخر[1]، كما ارتكز القسم الأكبر من الباحثين على الترجمة والدراسات الأجنبية دون تحقيق علمي دقيق[2].

- إن أهم ما يواجه الباحث في تاريخ فلسطين واليهود أن التنقيبات الأثرية والدراسات التي قامت حولها كانت في أيدٍ غير أمينة منذ بدئها، فكانت فلسطين موضوع بحث ودراسة للكثير من الباحثين الغربيين المؤيدين للصهاينة، ولم يكن للعرب والمسلمين دور يذكر فيها منذ نهاية القرن الماضي وإن لم يكن قبل ذلك وزاد ذلك الاستقطاب وتطور في مطلع هذا القرن، وكان الاهتمام الغربي في التحريات الأثرية بفلسطين موجهاً نحو غاية واحدة، هي التأكيد على صحة معلومات العهد القديم بهذا البلد العربي فأسسوا الجمعيات المتعددة، ومن أهمها جمعية صندوق الاستكشافات الفلسطينية في لندن عام 1860[3]، وجمعية الاستكشافات الفلسطينية بنيويورك عام 1870، ولقد قام الكثير من العلماء برعاية تلك الجمعيات والإشراف على عمليات التنقيب والمسح الأثري أهدافها علمية في الظاهر ولكن واقع الحال يبين أنها كانت تحرص أشد الحرص على كشف الأدلة الآثارية لإثبات صحة ما ورد في العهد القديم من حوادث تاريخية وأسماء أماكن لإيجاد المبررات النظرية التي تدعم المزاعم الصهيونية بارتباطها الباطل بالأرض المقدسة، وبالتالي إسناد هدفهم في تأسيس كيان يهودي فيها وانبروا يضعون التفسيرات الخاصة لفصول العهد القديم ويحاولون بكل صورة ربطها بالمكتشفات الأثرية[4]. وكان هذا الاعتقاد مصدر أخطاء وقع فيها كثير من الباحثين ولا يزال يعاني منها علم الآثار الفلسطينية إلى اليوم وأدى ذلك إلى تسريب التراث

1- غريبة: المصدر السابق. ص7.

2- المصدر السابق، ص20.

3- الأحمد، سامي سعيد: "دراسة في معلومات العهد القديم التاريخية عن فلسطين"، المورد، م18، ع1-2، بغداد - 1979، ص63.

4- الأحمد: المصدر السابق، ص63؛ شعث: الاستيلاء على الممتلكات المصدر السابق، ص120.

الحضاري الفلسطيني وتغريبه ليودع في متاحف بلدان الدول الأجنبية مثل المتحف البريطاني بلندن ومتحف الأشموليان باكسفورد وغيرهما ، كما أننا نجد مؤسسات أخرى عملت نفس العمل كالجمعية الألمانية والفرنسية والدانماركية والإيطالية والإسبانية ، وتحتفظ متاحف تلك الدول بآثار هامة مصدرها أرض فلسطين[1] ، ومنذ أن اغتصبت الصهيونية العالمية جزءاً من أرض فلسطين عام 1948 وأقامت عليه الكيان الصهيوني أصبحت جميع التنقيبات بيد اليهود أنفسهم، وبرز بشكل رسمي توجه جديد في مجال النظر إلى التراث الوطني الفلسطيني ، فبعد أن كان متوارياً خلف الأهداف الدينية والعلمية إبان الانتداب البريطاني أصبح الآن قائماً على مفاهيم مستمدة من الطبيعة العنصرية الصهيونية العالمية. إن ما أعلن عنه من مكتشفات أثرية[2] هو ذلك الجزء الذي يخدم أهداف اليهود حين اختفت النتائج الأخرى وإن ما لدينا من معلومات مقصورة على ما سمح بنشره اليهود من نتائج التنقيبات ، ولابد أن هناك معلومات كثيرة أخرى لم يكشف عنها ولم يسمح لها بالنشر ومن هنا جاءت ضرورة دراسة تاريخ المنطقة من خلال آثار المناطق المجاورة ولا سيما بلاد الشام وبلاد الرافدين ووادي النيل للنفوذ من خلالها على ما كان يحدث فعلاً في فلسطين. وإذا علمنا أن نسبة كبيرة من المختصين بالدراسات السماوية في العالم هم من اليهود أو المؤيدين للصهيونية وأن هناك عدداً كبيراً منهم في جامعات إسرائيل كما أن عدد المختصين العرب في هذا الميدان لا يتجاوز أصابع اليدين ، وأن مشاركتهم في المؤتمرات الدولية وحلقات البحث تكاد تكون معدومة . فهذا علمنا ما يكمن وراء الضجيج واللغو الذي يثار عقب كل كشف أثري أو كتابي قديم ، فاللعب على

1ـ شعث: أضواء على الأبحاث الاثرية. المصدر السابق، ص21.

2ـ شعث: الاستيلاء على الممتلكات المصدر السابق. ص120-121. للمزيد من التفاصيل ينظر :
Toombs, L.E., "The Development of Palastinian Archeology as a Discipline", JAOS, Vol, 54, No. 2, 1977, P. 89-92.

الكلمات وتزويرها، وطمس الحقائق أو تحريفها لأغراض عدوانية واستيطانية أمر منتظر في واقع صراعنا مع إسرائيل. وما دام العرب بعيدين عن المشاركة في الأبحاث الدولية، فالميدان مفتوح لدعاة الصهاينة ومؤيديهم لتفسير التاريخ حسب أهوائهم وأطماعهم، واصطناع التفسيرات اللغوية وتزوير الأخبار وتأليف الروايات وقلبها إلى حقائق مزعومة غايتها تثبيت أقدام الصهيونية في فلسطين وإعطاؤها بعداً تاريخياً مع كل كشف أثري جديد. ويحز في النفس أن بعض هذه النظريات والتفسيرات المغرضة تلقى قبولاً من بعضنا فيتبناها غير مدرك خطورتها في حربنا الثقافية مع الصهيونية، والسبب في ذلك واضح هو عجزهم عن كشف الزيف بحكم عدم تخصصهم، وعدم قدرتهم على قراءة النصوص الأصلية[1].

- يواجه الباحث في هذا الموضوع حقائق هامة تتعلق بكيفية الحصول على المصادر والدراسات الخاصة بها والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية المؤثرة فيها، كما أن المصادر المتوفرة والمتمثلة بالمخلفات الأثرية والنصوص قليلة[2]، كما أن بعضها كتبت على رقوق أو أوراق البردي التي اختفت تماماً في التربة الرطبة، ولكن ما كان منها مكتوباً على الحجر أو الفخار فقد بقي[3]. ولا تكفي هذه المصادر لتغطية الموضوع ذلك لأن أرض فلسطين كانت موطن صراع شبه دائم بين القوى الداخلية وميداناً للتنافس بين القوى الرئيسية والمحيطة على مر العصور مما جعل فرص بقاء أي مخلفات هامة على هيئة نصوص أو قطع فنية أو مبان أو غيرها من المخلفات الأثرية ضئيلة نسبياً إذ لم ينج موقع في فلسطين من الدمار أو التخريب نتيجة استمرار الحروب والصراعات على طول البلاد

1- فيصل، عبد الله: "خبرو : خا - بي - رو Ha-b/piru مشكلة حقيقية ام مفتعلة" دراسات تاريخية. ع 31-32، دمشق - 1989، ص 164، هامش (1).

2- غريبة: المصدر السابق، ص13.

3- رو، جورج: العراق القديم، ترجمة حسين علوان، بغداد - 1984، ص 452.

وعرضها[1]. وكل معلوماتنا للمدة من (1500-1100) ق.م هي عن الكنعانيين لا عن اليهود، والباحثون متفقون على أن اليهود تعلموا الكتابة من الكنعانيين بعد احتلالهم أجزاء من فلسطين[2]. فحتى سنة 589 ق.م فإن النقوش والكتابات اليهودية نادرة وغامضة، ولهذه المصادر أهمية خاصة لكونها وثائق أصلية ومصادر أولية، وهذه ميزة تقدمها على نصوص العهد القديم، إذا لم تتعرض للتعديل وإعادة الكتابة كما أنها تتميز بمعاصرتها للأحداث التي تذكرها وجدير بالذكر أن هناك فراغاً تاريخياً من القرن العاشر وحتى نهاية القرن التاسع قبل الميلاد. ثم قلة الكتابات في منطقة شمال فلسطين مقارنة بالمنطقة الجنوبية بالإضافة إلى أنها لا تسرد لنا أحداثاً مفصلة كما نجده في العهد القديم[3]. ونتيجة لذلك فقد درج المؤرخون إلى معالجة تاريخ سوريا وفلسطين من وجهة نظر المعلومات المتوفرة في مركزي الحضارة المجاورين، بلاد الرافدين، بلاد النيل لذلك كانت البحوث المتعلقة بتاريخ هذه المنطقة وحيدة المصادر من جهة وملحقة بدراسات المركزين الحضاريين من جهة أخرى[4]. يتبين لنا مما تقدم ضرورة تناول الموضوع ودراسته وفتح الباب للدارسين الآخرين لأخذ جوانب أخرى لمواجهة التيار الصهيوني ورد الاعتبار لجزء مهم من التاريخ العربي القديم بحيث يدرسه أبناء الوطن العربي بدلاً من أن ننتظر من الآخرين إلقاء الضوء عليه وتفنيد ادعاءات خصومنا.

المصادر المعتمدة في الدراسة:

لم يكن العالم ليعرف في الحضارات القديمة ومنها حضارة بلاد الرافدين، أشياء يعتد بها فكانت مقتصرة على أخبار متفرقة، ونتف وإشارات تاريخية ورد

1- غريبة: المصدر السابق، ص13.

2- الاحمد، سامي سعيد: "نقد العهد القديم"، المؤرخ العربي، ع 22، بغداد - 1982، ص236-237.

3- الشبار، وداد عبيس: يهود في النقوش والكتابات العبرية القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك - الأردن - 1995، ص1، وينظر: ANET, P.320 ff.

4- الصفدي: المصدر السابق، ص196.

بعضها في الكتاب المقدس (العهد القديم)[1]. وبعضها الآخر من مؤلفات المؤرخين اليونان والرومان (الكتاب الكلاسيكيين)[2] وذلك قبل الكشف عن الآثار عن طريق التنقيبات فقد حوت أسفار العهد القديم طائفة من الأخبار عن بلاد الرافدين ونتيجة للاتصالات التاريخية الكثيرة التي نشأت مع اليهود وما أثرته فيهم حضارة بلاد الرافدين في الحقول المختلفة فضمنوا الشيء الكثير في توراتهم. ولما كان قسم كبير من الأحداث التي دونت لم تدون إلا بعد قرون عديدة وكان أشهر وأوسع تدوين لها قد تم في القرن السادس قبل الميلاد في بابل نفسها على أيدي أحبار وكتاب اليهود في الترحيل البابلي المعروف 586 ق.م ولأن العلاقات ما بين اليهود وسكان العراق القدماء كانت تتسم بروح العداء من جراء الضربات الشديدة التي أنزلها بهم الملوك الآشوريون في عهد آخر مملكاتهم منذ القرن الثامن قبل الميلاد ،

1- العهد لغة هو كل ما عوهد الله عليه أو كل ما بين العباد من المواثيق فهو عهد، والعهد الموثق واليمين يحلف بها الرجل والتي يستوثق بها من يعاهدك، وانما سمي اليهود والنصارى أهل الذمة التي اعطوها والعهد المشترطة عليهم ولهم ويأتي العهد بمعنى الإيمان ايضاً. ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت، د.ت، 4/305-307. اما المعنى الاصطلاحي فانه قريب من المعنى اللغوي الذي يعنيه علماء اللاهوت في تناولهم لتراث العهد القديم، فهو عندهم ما كان بين العباد من بني إسرائيل اباء أو أبناء من العهود والمواثيق مدونة او متداولة واطلق على الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام التوراة. ينظر: هنانو، ملك: "من التوراة"، المجمع العلمي العربي، م39، ج2، دمشق - 1964، ص314؛ عبد المجيد، محمد بحر: "التوراة بين الحقيقة والتزييف"، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ع1، ليبيا - 73-1974، ص 329؛ العموش، بسام علي: "قراءة عقائدية في العهد القديم: الأسفار الخمسة (أسفار موسى)، دراسات في علوم الشريعة والقانون، م26، عمان - 1999، ص 738-749. وفي أوائل القرن الأول للميلاد، اتفق على ان تكون هذه الأسفار عناصر كتاب العهد القديم الذي ضم بعد ذلك تسعا وثلاثين سفراً، عرفت اسم العهد القديم وهو النص الأساسي الذي يقوم عليه دين اليهود، ينظر: عبد المجيد: المصدر السابق، ص341-343؛ الدوسكي، عادل حميد يزدين: تدوين الكتب المقدسة، التوراة، الإنجيل، القران، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة جامعة بغداد، 1986، ص 51-53.

2- بارنز، هاري المر: تاريخ الكتابة التاريخية (1963) ترجمة: محمد عبد الرحمن برج، القاهرة - 1984، 1/47-81؛ توينبي، ارنود: الفكر التاريخي عند الإغريق، ترجمة لمعي المطيعي، القاهرة - 1966.

ثم ما لاقوه من ضربات على يد الملك البابلي نبوخذ نصر الثاني (605-562) ق.م الذي أزال يهوذا من الوجود وجلب الكثير من أهلها أسرى إلى بابل لهذه الأسباب ولأن العهد القديم لم يكن مؤلفاً تاريخياً بالمعنى المعروف للتاريخ فإن أخباره عن حضارة بلاد الرافدين لا يصح الاعتماد عليها إلا من بعد تسليط أصول النقد التاريخي الدقيق[1]، فانحراف اليهود عما كان عليه الموحدون منهم في عصور بعض أنبيائهم انحراف ثابت لدينا في القرآن الكريم[2]، وهو ثابت أيضاً في النصوص التي يقولون عنها إنها توراتهم واعتداؤهم الصريح على دين الله فيشكو إرميا النبي من أن "كلمة كل إنسان تكون وحيه إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا"[3] وهذا تصريح واضح من التوراة وشاهد على أن كلام اليهود كانوا ينسبونه إلى الله فاختلط وحي السماء بكلام أهل الأرض فتحرفت التوراة فالتحريف والتصحيف والتغيير والإضافات العمد لتحقيق مآرب معينة فحذف مثلاً كل ما لا يفيد تاريخ اليهود، ومن يتتبع الطريقة التي سلكها مؤلفو التوراة يتأكد أنهم يقصدون هدفاً معيناً وهو سرد قصة اليهود وبيان تاريخهم الديني دون سواهم[4]، فانحراف اليهود ثابت لدينا في القرآن الكريم، وهو ثابت أيضاً في نصوص توراتهم بل ثابت أيضاً هناك سقوط حقهم في الأرض التي كانت موعودة لهم بعد أن نقضوا المواثيق المرتبطة بذلك الحق[5]. وانطلاقاً من هذه الثوابت ومع استمرار اليهود اليوم في الفساد والقتل لا نواجههم تحت رأية الإسلام ضد رأية يهودية أو صهيونية، بل نواجههم تحت رأية إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وداود وسليمان (عليهم السلام) والأسباط دفاعاً عن دولة التوحيد الأولى في فلسطين وعن مسجد التوحيد في بيت المقدس، تجاه فريق من الناس ليس لهم صلة بالتوراة ولا بالأديان السماوية جميعاً إلا

1- الصفدي: المصدر السابق، ص12-13.

2- سورة ال عمران: الأيات 2-3؛ سورة هود: الاية 17. محمد، قاسم محمد: التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من ادم حتى سبي بابل. قطر 1992، ص603-604.

3- إرميا: 23؛ مراثي 3: 35.

4- طعيمة: صابر عبد الرحمن: الأسفار المقدسة قبل الاسلام. ط1. بيروت - 1975، ص18. 28-33.

5- ينظر تثنية: 28.

في حدود ما يوظفونه استغلالاً لتحقيق مآرب ومطامع تتناقض مع الفطرة البشرية كما تتناقض مع الوحي المنزل[1]. فنحن لسنا أمام تاريخ يمت إلى علم متفق عليه وإنما أمام رواية تخضع لحقائق دينية مسبقة، وهذا هو أحد أشكال تناول التاريخ اليهودي من قبل العرب[2].

ولعل الدوافع الدينية كانت من أهم الحوافز التي ساقت جحافل المغامرين في القرن التاسع عشر للتنقيب في المنطقة العربية، فظهرت رغبة في التعرف على بلدان التوراة على حد تعبير المستشرقين ولإثبات ما ورد في النصوص التوراتية، وكانت المنافسة عنيفة بين الإنكليز والفرنسيين والهولنديين والألمان وأخيراً الأمريكان للحصول على امتيازات الحفر والتنقيب في مصر والعراق وسوريا وفلسطين وتركيا وإيران وتبارت المؤسسات العلمية والدينية في دفع المبالغ الطائلة لتمويل البعثات العلمية[3]، ولم يكن علم الآثار قد نضج واكتمل بعد، بل كان يتعثر في خطواته البدائية الأولى وما إن يكشف المنقبون شيئاً في باطن الأرض ينم عن صلة مباشرة أو غير مباشرة من قريب أو بعيد بما ورد في النصوص التوراتية حتى يلاقي بحماس وتعاطف في أوربا ليس فقط في الأوساط الدينية، بل في كل الأوساط الجماهيرية المتدينة الباحثة عن الحقيقة[4]. وقد استغل الدبلوماسيون والجنرالات المتقاعدون

1- شبيب: المصدر السابق، ص23.

2- برقاوي، أحمد: "الصهيونية في مرآة الفكر العربي المعاصر العلاقة بين الصهيونية والتاريخ اليهودي"، دراسات تاريخية، ع 55-56، دمشق - 1996، ص194.

3- فريحة، أنيس: دراسات في التاريخ، بيروت - 1980، ص187 وللمزيد من التفاصيل عن التنقيبات في العراق ينظر:

Hallo, w.w , et - al "Mesoptamid" in Encyclopaedig Judaica, Jerusalem - 1971, Vol. 16, P.1506-1507; Mitchell, T.C. The Bible In The British Museum, London-1990, P10-12, Johnson, P., Civilization of the Holyland - London - 1974, P. 31.

4- هذا الأسلوب في استخدام النصوص المسمارية كأداة لإحياء الدراسات التوراتية استمر في بريطانيا خلال الفترة المتبقية من القرن التاسع عشر إلا أن الألمان كان لهم الحظ الأكبر في ترجمة هذه النصوص، رفضوا هذه الفترة منذ مطلع القرن العشرين والسبب في ذلك هو اكتشاف المزيد من النصوص المسمارية والتركيز على دراستها بحيث غطت جميع نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والدينية بحيث ولدت لديهم قناعة تامة بأن كتبة التوراة كانوا متأثرين بتراث حضارة بلاد الرافدين لا بل كانوا ناقلين عنها ينظر الجبوري، علي ياسين: "التوراة مصدراً للتاريخ

والهواة المغامرون عواطف الجماهير والكنيسة فجمعوا الأموال الطائلة للبحث والتنقيب عن ذلك[1]. فأسفرت عن اكتشافات مهمة جداً وغير متوقعة، وبعد تطور علم التاريخ ووسائل ومناهج بحثه وتوافر أعداد هائلة من الوثائق والقدرة على فك رموز لغات الشعوب القديمة مكنتنا من التعرف على أروع صفحة من تاريخ تلك الحضارات من الحقائق التاريخية[2]، فكانت رُقم الطين والمسلات والمدونات والألواح والنصب التذكارية وغيرها من الآثار المكتشفة مصادراً للمؤرخين والباحثين والمؤلفين في شتى مواضيع المعارف الإنسانية[3]. فلم يعد الاستناد إلى المرويات التوراتية مقبولاً، فعلم التاريخ وهو من أكثر العلوم تأثراً بالمواقف الإيديولوجية المشبعة والأهواء والرغبات لكنه محكوم على الأقل بجملة من الوقائع التي يختلف على فهمها وتفسيرها، أما اختراع وقائع وأحداث فهذا يبعدنا عن مجال علم التاريخ ويضعنا أمام الأساطير التي لن تعد وعياً مطابقاً لمرحلتنا التي نعيش وهذا هو حال علاقة اليهود بالتاريخ[4].

من هنا أحس الباحثون على اختلاف نزعاتهم ومللهم وعقائدهم بضرورة إعادة النظر في كل المرويات التوراتية، وتبين لهم أن الأسفار التوراتية من حيث شكلها ومضمونها ودوافع كتابتها تنتمي إلى جنس كتابي يمكن وصفه بجنس الجمع التراثي، فالهاجس الذي يدفع محرري ومعيدي صياغة تلك التقاليد الأدبية المتفرقة التي صيغت منها الأسفار، ليس هاجساً تاريخياً بل هاجس تراثي، فهم يعملون على جمع وتصنيف وإعادة صياغة تركة ثقافية شعبية متعددة النشأة والأصول وخطوط التداول، ويرتبونها في تسلسل زمني ينسجها إلى بعض، وذلك من خلال منظور

الأشوري" بحث ألقي في ندوة الدراسات التاريخية في العراق الواقع وأفاق المستقبل، قسم التاريخ - كلية التربية، جامعة الموصل، 24-25/ادار/1990، ص3-4.

1- خياطة، محمد وحيد: "من أور كلدان إلى أرض كنعان". سومر، م33، ع1، بغداد - 1977، ص27.

2- تاكسيل، ليو: التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير. ترجمة حسان ميخائيل اسحق، ط1، بيروت - 1994، ص53.

3- ظاظا، حسن: الفكر الديني الإسرائيلي اطواره ومذاهبه، القاهرة - 1971، ص9-10.

4- البرقاوي، المصدر السابق، ص 198-199. Mitchell, Op. Cit., P. 9.

إيديولوجي مفروض عليها من الخارج يعكس الوضع الفكري للقائمين على التحرير وإعادة الصياغة في الفترات المتأخرة[1]. ولقد أسفرت الدراسات المقارنة عن تناقضات ومفارقات كثيرة نتيجة لما طرأ على نصوص المصادر الأولى من تعديل وتحوير وحذف وتنقيح خلال الحقب المتعاقبة في حين أن النصوص التي اكتشفت وصلتنا كما هي دون أي تغيير، وبذلك تمكن المؤرخون من وضع الملامح الرئيسة للتاريخ القديم على أسس متينة وثابتة[2]، فهناك معلومات برهنت الأدلة الأثرية والنصوصية على صحتها وهي قليلة جداً وعامة ويستلزم الحذر في دراستها لاحتوائها على أخطاء كرونولوجية وهناك حقائق، عرضت بصورة مرتبكة تضلل غير العارف بتاريخ البلاد بسهولة إلى جانب تفسيرات غيبية لحقائق مهمة تعمد الكاتب على إخفائها وعرضها في الجلباب الذي يرتضيه[3].

النصوص المسمارية[4]:

تعد حقبة الألف الأول قبل الميلاد من أغنى الحقب التاريخية والحضارية من ناحية التوثيق التاريخي، هذا إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن الكتابات المسمارية كتابات ملكية يشرف عليها كتبة متخصصون ويقيمون في القصر الملكي وهناك تدقيق على ما يكتبونه بالإضافة إلى عرضها على الملك شخصياً للاطلاع عليها قبل إيداعها أو خزنها[5]. وتعد النصوص المسمارية العراقية من بين أهم ما تم الكشف

1- السواح، فراس: آرام دمشق اسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، ط5، دمشق - 1995، ص6
وللمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر:
Seters, J.V., "Histories And Historian Of The Ancient Near East: The Israelites", Orientalia, Vol, 50, Fasc. 2, 1981, P. 137-185.

2- رويستن بايك: قصة الاثار الاشورية، ترجمة داؤد عبد القادر، بغداد، د.ت، ص12.

3- الأحمد: دراسة في معلومات العهد القديم المصدر السابق، ص65.

4- النص في اللغة يعرف: رفعك الشيء، ونص الرجل نصا اذا استقصى ما عنده، ونص كل شيء منتهاه ينظر ابن منظور: لسان العرب، بيروت - د.ت 98/3 والنص التاريخي معناه الخبر المرفوع الى مصدر يعد منتهاه ونريد من النصوص التاريخية ان تستقصي لنا كل ما يستدعيه الخبر، ينظر باقر، طه؛ حميد، عبد العزيز: طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار، ط1، بغداد - 1980، ص 55-62.

5- الجبوري، التوراة مصدرا المصدر السابق، ص3.

عنه من آثار العراق وبسبب قلة المصادر الكتابية درج المؤرخون إلى أمد قريب إلى معالجة تاريخ بلاد الشام وبالتحديد تاريخ اليهود في فلسطين من وجهة نظر المعلومات المتوفرة في مركزي الحضارة المجاورة بلاد الرافدين وبلاد وادي النيل لذلك كانت البحوث المتعلقة بتاريخ هذه المنطقة وحيدة المصادر من جهة وملحقة بدراسات المركزيين الحضاريين المجاورين من جهة أخرى، فالبحث التاريخي يظهر لنا أن تاريخ اليهود كان جزءاً هامشياً على ذيل الممالك المجاورة ويمكن القول أن النصوص المسمارية العراقية تشكل المصدر الأول والأساس لتاريخ العراق والدول المجاورة ومنهم اليهود، وتليها الكتابات المصرية[1]. والنصوص المسمارية كثيرة ومتنوعة في مضامينها وموضوعاتها وقد تجاوزت أعداد هذه النصوص عشرات الآلاف ما يهمنا هنا النصوص التاريخية التي تروي حوادث وأخبار المعارك الحربية التي شنت على العدو ثم تاريخ هذه المآثر والأعمال الباهرة وتروي أخبارها بحسب الأماكن التي تمت فيها[2] وسوف نتناول في أدناه أنواع النصوص المسمارية التي اعتمدناها في الدراسة وهي كالآتي.

الحوليات وكتب الأخبار:

تعتمد نصوص الحوليات الملكية على ذكر الحوادث عاماً بعد عام عند تدوين أخبار الملوك، وقد تطور هذا الأسلوب ووصل إلى مرحلة النضج إبان حكم السلالة الآشورية[3]. والحوليات عبارة عن نشرات ملكية تصدر بعدة نسخ بين حقب

1- الصفدي، المصدر السابق، ص12، Mitchell: Op. Cit., P.13.

2- سليمان، عامر: الكتابة المسمارية والحرف العربي، الموصل - 1982، ص 52؛ الطائي، ابتهال عادل: أصالة الحضارة العراقية القديمة واثرها في الحضارات الأخرى في مجال العلوم الإنساني ة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل - 1996، ص 122-124؛ دولابورت، ل: بلاد ما بين النهرين، حضارة بابل وآشور، ترجمة مارون الخوري، بيروت - 1971، ص35.

3- الراوي، فاروق ناصر: "العلوم والمعارف" حضارة العراق، بغداد - 1985، 277/1؛ باقر: المصدر السابق، ص52.

متعاقبة حيث تتحدث عن إنجازات الملوك العسكرية والعمرانية[1]. وكانت بداية هذا النوع من النصوص الملكية في العصور السومرية المبكرة بسيطة وموجزة وقد تكون معقدة تضم اسم الملك وألقابه وما قدمه للآلهة وبمرور الزمن تطور هذا النوع من النصوص وأصبح يحتوي على اسم الملك وألقابه وعلاقته الخاصة بالآلهة، وفي بلاد آشور أصبحت هذه النصوص مطولة ومفصلة حيث أصبحت تتضمن بعد ذكر اسم الملك وألقابه وصفاته الرفيعة تفصيلاً للحملات العسكرية التي قام بها الملك منذ بداية حكمه حتى تاريخ كتابة النص، ثم يأتي على ذكر الأعمال العمرانية وأصبح هذا النوع يضم جميع الأعمال العسكرية إما حسب الأقاليم أو حسب تسلسل السنين وأول من اتبع الأسلوب الثاني هو الملك تيجلا تبليزر الأول (1115-1077) ق.م ولم يكن هذا النوع يدون من أجل أن يقرأه البشر وإنما للآلهة والأجيال القادمة حيث كانت توضع الأسطوانات والمناشير الفخارية في زوايا وأسس البناء الذي يقوم الملك ببنائه أو ترميمه وكان يضم فقرة خاصة موجهة إلى الأمراء والملوك الذين سيأتون إلى الحكم ويعيدون البناء أو ترميمه والطلب بإعادة النص المدفون إلى مكانه وفق طقوس دينية خاصة وعدم التلاعب بما يحتويه النص من معلومات، ومع هذا لم تكن جميع النصوص الملكية مدفونة في الأسس أو مخفية بل كان بعضها مدوناً على المنحوتات التي كانت تغلف جدران القصور في الداخل أو على الثيران والأسود المجنحة التي كانت تحمي مداخل القصور والقاعات أو على النصب التذكارية[2].

وحيث إن الملوك كانوا يقومون بحملات عسكرية متعددة أثناء حكمهم، لذا فإننا قد عثرنا على نصوص تعود إلى الملك نفسه يحمل تفاصيل الحملة الأولى فقط بينما يحمل بعضها الآخر موجز الحملة الأولى وتفاصيل الحملة الثانية أو موجز

1- رشيد، فوزي: "العلوم الإنسانية والطبيعية"، موسوعة الموصل الحضارية، موصل - 1991، 1/376-377.

2- دو لابورت: المصدر السابق، ص351؛ سليمان، عامر: "اللغة والكتابة" موسوعة الموصل الحضارية، موصل - 1991، 1/ 363؛ اوبنهايم، ليو: بلاد ما بين النهرين، (شيكاغو - 1964) ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق، بغداد - 1986، ص 182.

الحملة الأولى والثانية وتفاصيل الحملة الثالثة استناداً إلى تاريخ كتابة النص وعدد الحملات العسكرية التي كان الملك قد قام بها قبل كتابة النص. هذا بالإضافة إلى ما يتضمنه النص من أخبار عن نشاطات الملك العمرانية[1]. ومن دراسة وتحليل النصوص بصورة عامة ومطابقتها مع واقع الحياة على مر العصور، ما هي الا مرآة تعكس شخصيات الملوك والعصر الذي يعيشون فيه، وتبدو براعة الكاتب والمؤلف في حسن تصوير الملك بالصورة التي أراد الملك نفسه أن يظهر بها أو الصورة التي كان ينظر من خلالها إلى الملك نفسه وإلى أعدائه[2] فليس هناك شخص بيِّن من نسخ هذه الكتابات يمكن أن نطلق عليه اسم مؤرخ بالمعنى الذي نعرفه في الوقت الحاضر. فالكاتب ما هو إلا ناسخ على معرفة طيبة بالكتابة وقواعد اللغة وكثيراً ما يرافق الملوك في أسفارهم وحملاتهم ليكتب بعدها ملخصاً بها. أما اهتمامه الكلي فلم يكن بالطبع البحث عن الحقيقة بقدر ما هي كتابة ما من شأنه تعظيم سلطانه وخدمة مصالحه وبعبارة أخرى فالكاتب ما هو إلا أجير يخدم الملك ويأتمر بأوامره ويعمل على إرضائه بشتى السبل فلا يمكن أن نتوقع منه الإطناب بمدحه في كل سطر تخطه يده، وهذا هو سبب استحالة العثور في أية كتابة على نقد موجه إلى الدولة أو العاهل أو حتى الحاكم السابق إن كان من السلالة نفسها، ولا يمكن أن نقرأ أي خبر عن اندحارات عسكرية منيت بها جيوش الملك[3]. فإذا كانت المنحوتات الجدارية تمثل صورة الحدث العسكري فإن النصوص هي وصف لما حدث على لسان الملك يتفاخر فيه بانتصاره على أعدائه فهي مكملة للحالة الأولى، وتضم فيها تعابير تنم عن القسوة والعنف والتدمير والقتل والأسر بأعداد كبيرة وحرق المدن وغنائم لا تعد ولا تحصى فضلاً عن أسماء أماكن من مدن

1- سليمان: الكتابة المسمارية المصدر السابق، ص51.

2- المصدر السابق، ص51-52؛ الأحمد، سامي سعيد: "كتابة التاريخ عند الاشوريين في العصر السرجوني (747-612) ق.م"، سومر، م 25، ع 1-2، بغداد - 1969، ص 48.

3- الأحمد: كتابة التاريخ المصدر السابق، ص48-49، للمزيد من التفاصيل عن الكاتب ينظر: الجميلي، عامر عبد الله نجم: الكاتب في بلاد الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل - 2001.

وأنهار وأسماء الملوك والحكام ويلاحظ فيها عنصر المبالغة والتباهي[1] والغاية الأساسية من تلك النصوص إدخال الرعب والخوف في نفوس الأعداء والمتربصين شأنها في ذلك شأن معظم وسائل الإعلام الحربية قديمها وحديثها. غير أن بعض المؤرخين المحدثين وبصورة خاصة الأوربيون منهم اتخذوا من هذه النصوص وثائق إثبات لا يرقى إليها الشك، بحجة أنها صادرة عن الملوك أنفسهم وأنها إنما تصف الأساليب التي كانت متبعة فعلاً في قمع التمردات والحركات في الأقاليم التابعة فكونوا بذلك انطباعاً خاطئاً عن الآشوريين وعن سياستهم فوصفوا الأساليب التي اتبعوها في معالجة التمردات بالوحشية والبربرية كما وصفوا سياستهم بالاستعمار وحكمهم بالظلم والطغيان دون أن يأخذوا بعين الاعتبار الأهداف الإعلامية الكامنة وراء كتابة تلك النصوص كما انهم من جهة أخرى لم يشيروا إلى الظروف التي دفعت بالآشوريين للقيام بالحملات العسكرية المتتالية واتباعهم القسوة والشدة في قمع التمرد والعصيان ضد السلطة المركزية ولمواجهة التحديات والقضاء على الأخطار التي كانت تهدد كيان دولتهم المتنامية وأخيراً لحماية الطرق التجارية شريان حياة الآشوريين ومصدر رفاهيتهم الاقتصادية[2] فالنصوص المسمارية الملكية فيها مبالغة لغايات إعلامية إلا أنها لا تخلو من الحقيقة التاريخية الموثقة بشكل جيد في هذه النصوص، وأن هذه النصوص كانت متعاصرة مع تلك الأحداث وتعبر عن وجهة نظر الآشوريين بالدرجة الأساس وعلينا أن نأخذ ذلك بعين الاعتبار، لذلك فإن هذه الكتابات يجب أن تقبل على أنها وثائق تاريخية صادقة خاصة عندما تدعمها الأدلة الأثرية[3]. بالمقابل فإن المصادر التوراتية التي تعد متأخرة

1- الأحمد: المصدر السابق، ص40؛ فرحان، وليد محمد صالح: العلاقات السياسية للدولة الاشورية، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الاداب، جامعة بغداد - 1976، ص 125-126؛ عطا، صلاح رشيد: السوق العسكري للدولة الآشورية (722-626) ق.م، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي، بغداد - 1998، ص 153.

2- سليمان، عامر: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد". موسوعة الموصل الحضارية، موصل - 1990، ص89-90.

3- جدير بالذكر ان الدكتور الصمادي قد اتصل شخصيا بالدكتورة ايرين وينتر من جامعة بنسلفانيا - الولايات المتحدة الأمريكية حيث انها تشك في صحة الكتابات الأشورية اكثر من انها

زمنياً عن هذه المصادر تضعنا في موضع الناقد لها، حيث إن التناقض الحاصل في روايتها لهذه الأحداث والتي كان الكثير منها على أهمية كبيرة وذات مغزى تاريخي مهم، ومع ذلك فإن المصادر التوراتية لا تشير إلى هذه الأحداث منها على سبيل المثال لا الحصر عملية السيطرة على السامرة شمال فلسطين من قبل شيلمنصر الثالث فإن المصادر التوراتية لم تذكرها على الرغم من أنها ممثلة بشكل تذكاري على واجهات المسلة السوداء، لذلك فإن غياب هذا الحدث وغيره من الأحداث التاريخية والتناقض في ذكر البعض الآخر يضع المصادر التوراتية في بؤرة الشك وعدم الاعتماد عليها كمصادر تاريخية موثقة[1].

أما كتب الأخبار البابلية، فقد كان لها أهمية كبيرة في تحديد الإطار التاريخي لسير الأحداث في بلاد الرافدين وفي بعض الأقاليم المجاورة ونصوص الأخبار البابلية تغطي حقبتين زمنيتين، الأولى من القرن الثامن قبل الميلاد وتنتهي بسقوط بابل في حدود 539 ق.م. أما الحقبة الثانية فإنها تغطي أخبار البلاد بعد سقوط بابل وحتى القرن الثالث قبل مع انقطاع لمدة نصف قرن توقفت خلاله عملية جمع وتدوين (الأخبار) ثم استؤنفت بعد ذلك مجدداً[2]. وتمتاز كتب الأخبار البابلية بأنها تتناول الأحداث حسب تسلسلها الزمني كما أنها تشير إلى أحداث وقعت في أزمان ملوك سابقين وأحياناً تشتمل أماكن مختلفة من بابل وآشور والشام ومصر وعيلام أي أنها تجاوزت النطاق المحلي فضلاً عن الموضوعية والصراحة والبعد عن التحيز ويتضح ذلك من خلال ما تذكره عن خسارة البابليين في بعض معاركهم وكذلك خلوها من عبارات المدح والثناء والألقاب فإن ولهذه الأسباب تدوين الأخبار البابلية يعكس رغبة صادقة في كتابة تاريخ البلاد وما جاورها[3].

تشك في صحة كتاب العهد القديم، وخاصة فيما يتعلق بالأحداث التاريخية في سوريا وفلسطين ينظر الصمادي، طالب عبد الله: "العوامل الاقتصادية خلف السيطرة الأشورية الحديثة في سوريا وفلسطين خلال الألف الأول قبل الميلاد". بحث مقبول للنشر في مجلة دراسات تاريخية، دمشق، ص21.

1- الصمادي: المصدر السابق، ص14-15.

2- علي، فاصل عبد الواحد: من ألواح سومر إلى التوراة، ط1، بغداد - 1989، ص138.

3- المصدر نفسه، ص138-139؛ الطائي: المصدر السابق، ص 124-125.

الرسائل:

ومع أن حوليات الملوك الآشوريين الملكية وهي مصدر معرفتنا الأساس بالتاريخ الآشوري في الألف الأول قبل الميلاد، فهي لا تزودنا إلا بإشارات متناثرة وقليلة عن أسلوب الإدارة الذي كان متبعاً في المقاطعات الآشورية فمن حسن الحظ أنه يمكن استنباط معلومات كثيرة من الإشارات العرضية في مراسلات الملك مع موظفيه في المقاطعات[1]. وتستحق أن تسمى سجلاً ملكياً أنجز في نينوى (قوينجق) والذي عثر فيه على أكثر من ألفي رسالة وإن حوالي مئتين منها عثر عليه في نمرود ومعظمها يعود إلى الفترة السرجونية (722-612) ق.م وإن عدة رسائل منها قد أرسلت إلى سرجون واسرحدون بينما ليست هناك أية رسالة منها تعود إلى سنحاريب وان معظم تلك الرسائل وجدت مكتوبة إما من قبل آشور بانيبال أو أنها حررت إليه[2].

وتتركز مواضيع الرسائل الرئيسية على التقارير وأوامر تنفيذ قضايا إدارية وقانونية ومن أهم الصعوبات التي تعرقل دراسة الرسائل هي الصعوبات اللغوية فهي مكتوبة إما من قبل موظفين أو أرسلت إلى موظفين آخرين أو أنها أرسلت إلى الملك، ويتميز أسلوبها بالاحتجاجات على أمور معينة والاعتذار عن تنفيذ أمور أخرى أو تقارير الاستخبارات العسكرية وحركة أسرى الحرب وتجميع الخيل للجيش والخلافات بين الموظفين ...إلخ[3]. ويجب التنويه بأن أغلب هذه الرسائل لا يحمل اسم الشخص المرسل أو المرسل إليه، ولذلك في مثل هذه الحالة يكون اعتمادنا في تحديد الفترة الزمنية التي تعود إليها الرسالة على أساس استقراء المعلومات المدونة عليها ومع ذلك فإن قسماً منها يحمل اسم الشخص المرسل واسم الملك الذي أرسلت إليه الرسالة وقسماً يحمل اسم الشخص المرسل فقط وأغلب هذه الرسائل كانت

1- ساكز. هاري: عظمة بابل (لندن - 1963) ترجمة عامر سليمان، الموصل - 1979، ص284؛ الأحمد: كتابة التاريخ المصدر السابق، ص 47.

2- اوبنهايم: المصدر السابق، ص 362.

3- اوبنهايم: المصدر السابق، ص34؛ ساكز، هاري: قوة اشور (لندن -1984)، ترجمة عامر سليمان، بغداد - 1999، ص391.

تحمل اسم حاكم أحد الأقاليم وبذلك تمكن الباحثون من تحديد الفترة الزمنية لمثل هذه الرسائل[1]. والاستفادة منها في موضوع البحث كانت محددة.

المنحوتات الجدارية:

تحتل المخلفات المادية مكانة الصدارة بين الآثار العراقية المكتشفة، وإلى هذه المخلفات يرجع الفضل في تعرفنا تفصيلياً على تاريخ العراق بوجه خاص وتاريخ الدول المجاورة له بوجه عام، وتشمل المخلفات المادية المئات من القطع الفنية الرائعة، كانت العادة في العصور الأولى أن تقام المسلات والنصب التذكارية في أماكن مختلفة من البلاد وبمرور الوقت ومع انتشار الكتابة المسمارية انتشاراً واسعاً تطورت صناعة النصب والمسلات والتماثيل والألواح الجدارية وزاد استخدامها زيادة كبيرة[2]. والمتتبع لتاريخ الآشوريين في عصورهم المختلفة يذهل من كثرة المخلفات المادية التي خلفها الآشوريون في عصرهم الحديث والتي تشكل حالياً أهم وأروع ما تمتلكه المتاحف العالمية الشهيرة من آثار كما أن المدن الآشورية المكتشفة وجميعها تقع في منطقة الموصل تعد من أهم المدن العراقية المكتشفة من حيث ضخامتها وفخامة أبنيتها وكثرة آثارها الباقية كنينوى وتربيص وآشور ونمرود (كلخ) وخرسباد (دور - شروكين). ومن الآثار المكتشفة المنحوتات الجدارية التي كانت تزين القصور الآشورية وما تعكسه من مشاهد وأخبار الحروب والإنجازات السياسية والعسكرية حيث تنقل لنا مشاهد مختلفة من حياة الملك في بلاطه ومعاركه العسكرية وعلاقة الآشوريين مع الدول المجاورة[3].

لقد كان من عوامل توجه الآشوريين إلى تزيين جدران قصورهم بالمنحوتات الضخمة هو توفر مواد الخام الصالحة للنحت وصناعة التماثيل في الدولة الآشورية

1- الأحمد: كتابة التاريخ المصدر السابق. ص 47؛ فيش. ت: "رسائل من جبهات القتال في العراق القديم"، ترجمة عبد الوهاب الوكيل، الثقافة الأجنبية، ع 3، بغداد - 1985، ص 124-125
Waterman, L, R. C. A. E., Michigan 1930 , p.67.
PefeifeRr R. , S. L. A. - New York - 1935, p.13.

2- سليمان: الكتابة المسمارية المصدر السابق، ص43-44؛ حنون، نائل: "الحقبة التاريخية وموقف الباحثين العراقيين منها"، بين النهرين، ع80، 1992، ص15.

3- سليمان: منطقة الموصل المصدر السابق، ص82؛ ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص331.

أما في بابل فإننا نجد قلة في المنحوتات ويعود السبب في ذلك إلى قلة المواد الأولية أولاً وثانياً ربما يعود أيضاً إلى أن التوسع العمراني الذي شهده العصر البابلي الحديث، إذ تعد المآثر البطولية للملوك في المعارك تحتل المكانة الأولى بل جاءت أعمالهم الدينية في بناء المعابد وأعمالهم الدنيوية في بناء القصور خير شفيع لهم لتخليد ذكراهم إذ غدا مفهوم الخلود لديهم هو التشييد وبناء المعابد وليس الفتح والتوسع، وهكذا انصرف نشاط الملوك إلى البناء والتعمير فتقدم فن العمارة وخاصة عمارة المعابد[1]. ولم يكتف الملوك بما تعبر عنه التماثيل والألواح الجدارية من مظاهر القوة والعظمة التي كان يتمتع بها الملوك وما تصوره من انتصارات عسكرية ونشاطات دينية وعمرانية، بل أضافوا إلى ذلك شرحاً مفصلاً لكل مشهد وتمثال دوّن بالخط المسماري المنحوت على بعض أجزاء اللوح الجداري أو التمثال غالباً ما تجاوزت الكتابة المسمارية المكان المخصص لها وغطت أجزاء من اللوح المنحوت مما يشير إلى مدى اهتمام الملوك بما تتضمنه تلك الكتابات[2]. فتقدم المنحوتات الجدارية توضيحات كبيرة عن حقيقة المعلومات التي تتضمنها ألواح الطين والمسلات[3]. وجدير بالذكر أن الفنان الآشوري كان يصاحب الحملات العسكرية وكان يقوم برسم مسودات لتفاصيل المعارك وعند عودته إلى بلاده يبدأ بنحت تلك المشاهد على المنحوتات والألواح الجدارية في القصور الآشورية[4] حيث درج الفنان الآشوري على العمل بموجب قواعد ومواصفات لم يحد عنها إلا في الندرة، فقد قسمت المنحوتات

1- ساندرز، جون: "تعقيدات ومتناقضات في عمارة ما بين النهرين في الألف الأول قبل الميلاد"، سومر، م35، ج1-2، بغداد - 1979، ص336-350، عكاشة، ثروت: الفن العراقي سومر وبابل واشور، بيروت - د.ت، ص610؛ غزالة، هديب حياوي: الدولة البابلية الحديثة والدور التاريخي للملك نبونئيد في قيادتها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد - 1989، ص 204.

2- سليمان: الكتابة المسمارية المصدر السابق، ص43.

3- اوبنهايم: المصدر السابق، ص 18.

4- مظلوم، طارق: "الفنان الأشوري يرافق الحملات العسكرية"، بحوث اثار حوض سد صدام، بغداد - 1978، ص248؛ اسماعيل، بهيجة خليل: "الجيش في العصر الأشوري"، موسوعة الموصل الحضارية، ، موصل - 1991، ص289؛ الجميلي: المصدر السابق، ص 42-45.

التي زينت قاعات الاستقبال إلى قسمين متوازيين: القسم الأعلى تغطية كتابة مستفيضة تكرر نقشها في عدة ردهات على التوالي، وهي تشتمل على حوليات العهد القائم وما جرى فيه من أحداث، دونت بحسب تاريخ وقوعها بالإضافة إلى أخبار المعارك التي نشبت في الحملات العسكرية الأولى، مدونة بحسب موقعها الجغرافي، أما القسم الأدنى فيقص علينا في مسلسل من الرسوم والمشاهد المصورة ما روته لنا متون القسم الأول من أحداث تاريخية ومعارك حربية[1].

فتخليد الانتصارات العسكرية كانت ظاهرة مألوفة عند الملوك في حضارة وادي الرافدين، حيث كانوا يكثرون من تصويرها على مسلات ولا شك أنها كانت تخدم غرضاً سايكولوجياً، ومن المحتمل أن هذه المسلات كان يعمل منها نسختين إحداهما توضع في العاصمة والأخرى في المنطقة التي وقعت فيها حوادث الحملة، مما يؤدي ذلك إلى التأثير في معنوية سكان تلك المنطقة ويدخل في قلوبهم اليأس والخضوع[2]. فترتب على ذلك أن جعل الآشوريين من هذا فناً تاريخياً زخرفياً في آن واحد يخدم أغراضاً دعائية إعلامية[3] في تمجيد الملوك وأعمالهم وتمثيل فتوحاتهم وتبالغ في بيان العقوبات والمصائر التي كانت تنتظر المتمردين إن هم تمردوا على السلطة المركزية فصورت المتمردين وهم يقتلون ويمثل بهم، فقد كانت الدعاية المصورة إحدى تلك الوسائل التي اتبعها الآشوريون حيث يمكن تشبيه تلك المنحوتات بالوثائق والمجلات المصورة حالياً إذ كانت بمثابة المرآة التي تعكس العظمة الآشورية وتبرزها من خلال مشاهدة مصورة متعاقبة والى الأسفل منها كتابات مسمارية شملت سرداً لوقائع الحياة التي كان يعيشها الآشوريون

1- دو لابورت: المصدر السابق، ص343

Unsted, R. J., & forman, W., The Assyrian, London - 1980, p.4-6.

2- Sagges, H., "Assyrian Warfare in the Sargonid Period", Iraq , Vol. 26, 1963, p. 150.

3- للمزيد من التفاصيل عن الدعاية والاعلام في العصر الأشوري ينظر: شيت، ازهار هاشم: الدعاية والإعلام في العصر الاشوري الحديث (911-612) ق.م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل - 2000.

فضلاً عن تفاصيل أنباء الانتصارات التي كانوا يحققونها[1] حيث تعرض في أروقة القصور الملكية وممراتها وقاعات العرش فيها لأحداث الرعب والخوف في نفوس الوفود من السفراء وحكام الأقاليم والمقاطعات التابعة للدولة الآشورية والتي كانت تؤم تلك القصور فيشعرون بقوة الملوك الآشوريين وجبروتهم وسهولة قضائهم على تمردات الولايات التابعة للمملكة الآشورية وربما منعهم من التفكير بمحاولات الانقلاب والتمرد ولم تكن أعمالهم أي الآشوريون عقابية أو مجرد سادية[2]. فتعتبر هذه المشاهد من أهم الأسلحة النفسية التي أحسن الآشوريون استغلالها لاسيما في السلالة السرجونية حيث طغى الغرض النفسي على بقية الأغراض في هذه المنحوتات[3] وهذا ما يشاهد بوضوح في كثرة المعارك العسكرية المصورة التي يشاهد فيها تساقط الكثير من الأعداء المقتولين واقتحام المدن المحصنة وهدم الأسوار. أي أن الصور أصبحت تحتوي على تفاصيل قد لا تكون واقعية في وصفها ومبالغ فيها كثيراً ، وربما كان ذلك مقصوداً. فقد بدأ الفنان الآشوري يولي مشاهد القتل ومعاملة جنود الأعداء بقسوة اهتماماً بالغاً أكثر من ذي قبل مقابل ذلك كان يظهر الأعداء ضعفاء وأسلحتهم مكسورة للدلالة على تخاذلهم واستسلامهم إضافة إلى ذلك أصبح الفنان يكثر من تصوير مشاهد الأسرى ومعاملتهم القاسية أحياناً ويكثر من تصويرهم مكبلين بالأصفاد والسلاسل[4].

وترتب على ذلك أن اعتبر الآشوريون من قبل العديد من الباحثين الغربيين الذين تطرقوا إلى التاريخ الآشوري، من الأقوام المتعطشة للدماء وقتل الأبرياء بغية تحقيق أهداف عسكرية وأن الأسباب التي دعت هؤلاء الكتاب لتكوين هذا الانطباع كثيرة وفي مقدمة ذلك يأتي العهد القديم الذي دونه اليهود أثناء الترحيل

1- حمود، حسين ظاهر: "المنحوتات الجدارية من وسائل الإعلام عند الآشوريين"، اداب الرافدين، عدد 31، موصل - 1998، ص 289-306.

2- ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص352-353.

3- للمزيد من التفاصيل عن الحرب النفسية ينظر: عطا: المصدر السابق، ص 97-111.

4- عبد الله، يوسف خلف: الجيش والسلاح في العصر الآشوري الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد - 1977، ص177.

البابلي في القرن السادس قبل الميلاد فملؤوه من حقدهم وكراهيتهم للآشوريين والبابليين فقد أظهروا فيه أنهم القوة التي قضت على السامرة وأسرت ما يسمى (القبائل العشر) وبعد جيل من ذلك هاجم الآشوريون أورشليم وإن هذا الهجوم الثاني هو الذي ألهم بيرون قصيدته المعروفة. ونتيجة لذلك فقد كانت سمعة الآشوريين في العالم الغربي هي البربرية القاسية[1]. فمن الطبيعي والحالة هذه أن يشوه اليهود سمعة الآشوريون والبابليين، وصبوا جام غضبهم على الآشوريين والبابليين وانتقدوا سياستهم بعنف وأجبروهم على دفع الجزية لهم ابتداء من عهد شيلمنصر الثالث وتجلا تبليزر الثالث والقضاء عليهم في عهد سرجون وما شهدته يهوذا من هجمات متكررة في عهد السلالة السرجونية[2].

إن نظرة سريعة إلى تاريخ الآشوريين بما فيه من منجزات حضارية وإنسانية يوضح خطأ هذا الرأي ومجانبته للواقع لأن الظروف السياسية والعسكرية تبرر وقوف الآشوريين موقفاً حازماً تجاه الأعداء والمتربصين للانقضاض على الدولة والقضاء عليها وليسوا برابرة مدمرين، في حين لم يصلنا زمن المملكة البابلية الحديثة أية منحوتات جدارية تحمل مشاهد عسكرية يمكن الاعتماد عليها في الدراسة فقد كانت جهود ملوكها منصبة نحو الأعمال العمرانية أكثر من تجسيد الحملات العسكرية كما أن مواد البناء لم تساعدهم على ذلك.

1- فرحان: المصدر السابق، ص126؛ ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص12.

2- فرحان: المصدر السابق، ص126-127؛ ساكز: قوة آشور المصدر السابق، ص351-352.

مدخل

لا بد لأي باحث في تاريخ اليهود أن يستعرض التسميات المتعددة التي أطلقت على اليهود والمقصود من كل تسمية، فالمعروف أن اليهود يستقون تاريخهم بالدرجة الأولى من كتابهم المقدس (العهد القديم). وقد آلمحنا أن الكتاب المقدس قد كتب على مدى قرون عدة؛ وبأقلام مختلفة وأزمان وظروف مختلفة وبينا أن العهد القديم لا يعد مصدراً يعتد به ويعتمد عليه إذ خالطه التحريف والتضليل وامتزجت فيه الحقيقة بالخرافة، ومما يؤخذ عليه أيضاً أنه استخدم تسميات عدة للدلالة على اليهود فتارة أطلق عليهم العبريين أو العبرانيين؛ وتارة الإسرائيليين أو بني إسرائيل، وتارة الموسويين وتارة أخرى الساميين وأخيراً اليهود. وهذه التسميات مختلفة في الصيغة، وفي المرويات وقد ظهرت في أزمنة مختلفة، وقد استخدمت كلها الدلالة على اليهود ونستعرض كل من هذه التسميات، من ناحية بيان آصولها ومعانيها واستخداماتها.

المبحث الأول

العبريون أو العبرانيون

اختلفت آراء الباحثين فيما يتعلق بتفسير الأصل الاشتقاقي واللغوي لكلمة "عبري" فهو جذر مشترك في كل من اللغة الأكدية (eberu)[1] واللغة العبرية [2] واللغة الآرامية واللغة السريانية واللغة المندائية [3] وفي اللغة العربية تعني النفوذ والمضي في الشيء يقال عبرت النهر عبوراً وعبر النهر شطه[4].

وقد ظهرت تفسيرات ونظريات كثيرة حول مدلول هذا المصطلح سواء من الناحية التاريخية أو الاجتماعية أو العرقية أو اللغوية اتسمت آراء الباحثين اليهود بطابع خاص وهو التعصب والعنصرية ويمكن أن نجمل الآراء التي حاولت تفسير المصطلح فيما يأتي:

- رأي يربط بين المصطلح "عبري" وبين واحد من الأجداد القدامى وهو (عبر) عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام[5]، وهو الجد الخامس لإبراهيم عليه السلام

1- "Brockelman, K., Lexicon Syriacume, Hildesheim - 1966, p.50; Driver, S. R., Brown, F., Briggs, C. A., A Hebrew and English Lexicon of The Old Testament, Oxford - 1951, P. 716. CAD: H. Vol. 69. P 84.

سليمان، عمر وآخرون: المعجم الأكدي، بغداد ـ 1999، ص 202.

2ـ قوجمان، ي: قاموس عبري ـ عربي، بيروت ـ 1970، ص623ـ624.

3ـ الجنابي، رواء خالد: أسماء المدن الآرامية في أشور دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغات ـ جامعة بغداد، 1999، ص34، 157.

4ـ ابن زكريا، أبو الحسن أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، بيروت ـ 1979، 4/207ـ208؛ ابن منظور: لسان العرب، 5/203ـ204.

5ـ تكوين 10: 25ـ32؛ بدر، محمد: الكنز في قواعد اللغة العبرية، القاهرة ـ بدون تاريخ، ص 29ـ30.

وفيما عدا هذه الإشارة لا توجد إشارة أخرى إلى شخصية عابر بالنسب أو بالحديث عن أي دور تاريخي[1].

أن العهد القديم لا يعرف أي ملك عبري أو مملكة عبرية ولا يوجد أي نص فيه يخاطب شخصاً بأنه عبري وهذا الأمر يسري أيضاً على النصوص غير المعتمدة أي الابوكريفا[2]، كما لا يوجد أي مقطع يتحدث عن (بني عابر) أو (أولاد عابر) بوصفهم مجموعة إثنية متميزة، يضاف إلى ذلك حقيقة عدم معرفة التوراة بوجود شخصية تاريخية بالاسم (عابر) وهذا بالضبط ما يفسر أن التوراة لا تصف أبا الأسباط، أي يعقوب وأبناءه بأنهم عبريون بما يثبت أن رواة العهد القديم لم يعتبروا المفردة (عبري) اسم جنس وأن كل ما تذكره التوراة أن سام هم "أبو كل بني عابر"[3].

- هناك من يرى أن تسمية العبريين هي نسبة إلى إبراهيم عليه السلام نفسه، حيث وصف إبراهيم بـ (العبري)[4]، من الفعل الثلاثي "عبر"[5] بمعنى عبر النهر في إشارة إلى عبور إبراهيم عليه السلام ومن معه لنهر الفرات بعد أن هاجر كما تروي أسفار العهد القديم، من مدينة اور[6]. أو إلى عبورهم لنهر الأردن إلى

1- الشامي، رشاد عبد الله: إشكالية الهوية في إسرائيل، الكويت - 1997. ص57.

2- الابوكريفا (Apokrypha): هو لفظ يوناني بصيغة الجمع، معناه الأشياء المخبأة التي يجب اخفاؤها لأنها كاذبة اضافتها فئة من النصارى للعهد الجديد. ينظر، هنانو: المصدر السابق، ص 313؛ طعيمة، صابر عبد الرحمن: التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القران الكريم منه، بيروت - 1979. ص 276.

3- مني، زياد: "من هم العبرانيون"، الثقافية، ع36، عمان - 1995، ص25-26.

4- الصليبي، كمال: خفايا التوراة وأسرار الشعب اسرائيل، ط4، بيروت - 1998، ص 96-97.

5- تكوين 11: 29-30؛ حومسكي، زنيف: اللغة العبرية وسبل تطورها، رسالة دبلوم عالي تقدم بها ناصر مبدر الخزرجي، كلية اللغات، جامعة بغداد - 1997، ص 75؛ العقاد، عباس محمود: ابراهيم أبو الأنبياء، بيروت - 1967، ص 23؛

Albright, W.F., "From the Patriarchs to Moses. From Abraham to Joseph", BASOR, Vol. 36 No 1, 1973, p.7.

6- أن فكرة نزوح أسرة واحدة من أور إلى حران (بين اعالي العراق وسوريا) غير مستساغة. إذا ما تحقق أن إبراهيم عليه السلام كان في اور الحاضرة السومرية وأن حران اقل تحضرا منها. ومن جانب اخر ان اور بقيت مثار نقاش بين الباحثين لأن العهد القديم قرنها بالكلديين نسبة إلى قبيلة كلدو وهي

الضفة الشرقية، ثم إنهم أضافوا ياء النسبة على (عبر) فأصبح "عبرياً" وهذا الرأي هو الأرجح لدى جمهرة الباحثين ويقولون أن الكنعانيين هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم[1]. وهناك ثمة خلافات في تحديد هذا الرأي فمنهم من يرى:

- أن النهر الذي ينسب إليه العبور، هو نهر الأردن، أو نهر الفرات، أو البحر الأحمر ويفضل الباحثون اليهود الرأي الذي يرى أنه نهر الفرات[2].
- أن هذا الاسم كان قاصراً على نسل إبراهيم عليه السلام، وأنه كان يطلقه عليهم في الأصل جيرانهم الكنعانيون ثم صار الاسم الشائع لبني إسرائيل بين الأجانب، لكن يقر معظم الباحثون أن هذه التسمية لم يطلقها الكنعانيون على بني إسرائيل فقط، بل أطلقوها على كل الشعوب التي عبرت النهر منهم الموابين والعمونيين والأدوميين[3].

فمن الواضح أن الأمر قد اختلط على محرري التوراة الذين فهموا مصطلح (عبري) يشير أحياناً إلى (الطرف الآخر). إن الجملة الواردة في سفر صموئيل الثاني (19 : 18) القائلة: "وَعَبَرَ الْقَارِبُ لِتَعْبِيرِ بَيْتِ الْمَلِكِ..."[4]. وقد اعتقد المترجمون أن المقصود عبور نهر الأردن لذا فانهم فهموا (هعبره) على أنها تعني (القارب / العبارة)، رغم أن نهر الأردن لا يتسع لأي قارب. أما الترجمة الصحيحة فيجب أن تكون

من أكبر القبائل الارامية التي استوطنت في القسم الجنوبي من العراق حوالي الثلث الأول من الألف الاول قبل الميلاد، أي بعد مدة طويلة من خروج إبراهيم عليه السلام من اور بما لا يقل عن الف سنة فضلا عن هذا فان مدينة أخرى تحمل نفس الاسم تقع بالقرب من حران عن هذا الموضوع ينظر، إبراهيم، جابر خليل: "الأخطار الخارجية: اليهود والفرس" في كتاب العراق قديمه وحديثه، بغداد، 1998، ص153؛ السعد: المصدر السابق، ص26؛ خياطة: المصدر السابق، ص 28-29.

Gadd, C.J. "Ur" In: The Archaeology and Old the Testament Study, ed. Thoams , W., Oxford, 1967, p. 95 ; Dalley , S., "The Influence of Mesopotamia upon Israel and the Bible" In: Legacy of Mesopotamia, ed. Dalley , S., Oxford , 1998 ,.p. 89; Albright: opcit, p.12; Johnson: opcit, p. 32.

1- الشامي، المصدر السابق، ص 57؛ ظاظا، حسن: الساميون ولغتهم. دمشق - 1971، ص 72.

2- يشع 24: 2-3.

3- جودي، فاروق محمد: الصهيونية واللغة، القاهرة، 1971، ص45-46.

4- مني: المصدر السابق، ص 35.

"والطرف الآخر عبر لتعبير بيت الملك". كما وأن وسم النبي إبراهيم عليه السلام بأنه عبري من قبل كتاب التوراة متجاهلين حقيقة أنه على الرغم من تكرار اسم إبراهيم عليه السلام عشرات المرات إلا أن وسمه بالعبري لا يرد في السفر سوى مرى واحدة فقط وهذه مسألة جديرة حقاً بالانتباه، كما ويجب التنويه بحقيقة أخرى وهي أن النسخة المسجلة بلغة التوراة تكرر المفردة ومشتقاتها أربعاً وثلاثين مرة بينما لا ترد في النسخة اليونانية من العهد القديم (السبعينية)[1] سوى ثمانية وعشرين مرة فقط. وقد فهم أن الستة الباقية تعني (عابرين) أي (مارة) كما يوضح المقصود بالمصطلح لم يكن محسوماً في ذهن رجال الديانة اليهودية حتى في تلك المرحلة المبكرة[2].

- رأي يرى اعتماداً على معنى الاسم في المعاجم العربية، حيث إن (العُبر) من الناس هم "الغلف أي غير المختونين" والمفردة منها "عبور" والغلام المعبر هو "من كان يحتلم ولم يحتن بعد". ويرى هذا الرأي أن وصف إبراهيم عليه السلام بالعبري إنما المقصود به "أبرام العبور"[3] ويستند هذا الرأي إلى أن طقس الختان لم يكن بعد قد فرض على إبراهيم عليه السلام والذي هو علامة العهد بين الله سبحانه وتعالى وإبراهيم عليه السلام. وفي قصة موسى عليه السلام كذلك نجد أن ابنة الفرعون عندما عثرت على رضيع يبكي، عرفت أنه ليس مصرياً قالت على الفور: "هذا من أولاد العبريين" أي من أولاد الغلف لأن قدماء

1- تعرف الترجمة السبعينية (septuagint) بانها ترجمة يونانية للتوراة امر بوضعها الملك بطليموس فيلاديفيلوس (285-246) ق.م حيث قام بها بناء على أمرها اثنان وسبعون من رجال الدين اتموها في سبعين يوماً. وقد أجمع العلماء أخيراً على أن هذه الترجمة من وضع رجال دين كثيرين في أزمنة مختلفة بين منتصف القرن الثالث وأواخر القرن الثاني قبل الميلاد بناء على أمر كبير الكهنة في بيت المقدس ينظر، عبد الحليم، مصطفى كمال: اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، ط1، القاهرة - 1968، ص 121-122؛ ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي، المصدر السابق، ص 72؛ حومسكي: المصدر السابق، ص 10.

2- مني: المصدر السابق، ص 25.

3- للاستزادة في المعلومات عن تغير الاسم من ابرام إلى ابراهيم كما أورده العهد القديم ينظر، عبد الرحيم، ف: "أصل كلمة ابراهام"، مجمع اللغة العربية الأردني، ع 32، عمان - 1987، ص 325-327؛ العقاد: المصدر السابق، ص 31-32؛ تاكسيل: المصدر السابق، ص 83-84.

المصريين كانوا يمارسون ختان الذكور، ولم يأت أمر يهوه لموسى عليه السلام بختان أتباعه إلا بعد فراره وجماعته من أرض مصر[1]. فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن التوراة تربط العهد الأبدي بين الوهيم (الله) وبين إبراهيم، بشرط واحد فقط هو ختن الذكور فمن الواضح أن المقصود بـ "العبري" هنا "إبرام العبور" أي (القلف) وهذا ما قصده محرر العهد القديم الذي أورد تعبير "إبرام العبري" قبل النص الذي يسجل أمر إله التوراة بفرض طقس الختان، الذي هو علامة العهد بين الطرفين هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن نعت إبراهيم (قلف) يأتي من قبل وصفه في سفر التكوين (15: 2) بأنه عقيم، وقبل وعد إله التوراة بان نسله سيكون مثل نجوم السماء عدداً في سفر التكوين (15: 5).

فمن الواضح أن هدف وضع المصطلح هنا ما هو إلا محاولة لشرح معنى المفردة من قبل الراوي؛ لأنه لا يوجد أي سبب لإدخالها في النص حين ترد أول مرة مرتبطة مع إبرام بينما الثانية في سفر الخروج (4: 24-26) مرتبطة مع موسى[2].

- وهناك رأي يرى أن المصطلح يرجع إلى المكان الذي كانوا يعيشون فيه، ذلك أنهم في الأصل من الشعوب البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإبلها وماشيتها للبحث عن الماء والمرعى، والكلمة مشتقة من الفعل الثلاثي عبر بمعنى قطع مرحلة أو عبر الوادي أو النهر من عبره وعبر السبيل: شقها. كل هذه المعاني موجودة في هذا الفعل وهي في مجملها تدل على التحرك والتنقل الذي هو آخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية، فكلمة عبري مثل كلمة بدوي أي ساكن الصحراء[3]. فإذا أخذنا بعين الاعتبار ظاهرة الاستبدال بين

1- الشامي، المصدر السابق، ص59؛ تاكسيل: المصدر السابق، ص 84؛ مني: المصدر السابق، ص 29.

2- مني: المصدر السابق، ص29-31؛ محمد، قاسم محمد: المصدر السابق، ص45-46.

3- ولفنسون، أ: تاريخ اللغات السامية، القاهرة - 1929، ص3 وما بعدها؛ الشامي: المصدر السابق، ص57.

أحرف اللغة العربية ولهجة التوراة الكنعانية[1] بين حرفي العين والغين، فإننا نقرأ أن المفردة العربية "غبر" تعني أيضاً (مكث، وذهب)، كما أن المفردة "أغبر" تعني "جد في الطلب" أو (الغابر) هو (الباقي و الغابر) يلاحظ أن هذه المفردة ومشتقاتها تحمل مثل رديفها (عبر)، معنى الحركة والتنقل.

كما وتفيد المعاجم المخصصة أن "بني الغبراء" هم الغرباء والصعاليك والمحتاجين[2]. وهناك رأي يرى أن عربي وعبري من أصل واحد، فقد حاول بعض شراح وعلماء التوراة من خلال تعميم مفهوم الترجمة السبعينية المفردة، والذي ترجم أحياناً إلى (عابر، مار) فأصيبت إحدى الكلمتين بقلب وتقديم وتأخير فغدت كلمة ثانية مع مرور الزمن، وليس هناك ما يمنع ذلك مطلقاً لأن التصرف في حروف الثلاثي بالتقديم والتأخير شائع جداً[3].

ومن البديهي أن المفردتين (عربي) و (عبري) كانتا وإلى حد ما، ما تزالا مترادفتي المعنى في اللغة العربية هذا يعني أنه من التعسف إهمال الرأي المبرر علمياً بأن المصطلحين (عرب) و(عبر) وظفا في العهد القديم بمعنى واحد، هذا رغم ورود الأول بمعنى (بدو) لكن ولأن التوراة تعرضت لعمليات تحرير و "تصحيح" لا نهاية لها من قبل محررين غرباء عن لغتها ومحيطها البشري والجغرافي في جزيرة العرب، فقد أختلط الأمر عليهم، وهو ما يشرح غياب رأي موحد للتقليد (المحرر) بهذا الخصوص وتلاعبه الفاضح بالنصوص. إن القراءة الدقيقة لبعض مقاطع التوراة توضح أن

1- فمن الواضح لدى العلماء ان اليهود عند دخولهم إلى فلسطين لم يكونوا يعرفوا الكتابة فعمدوا إلى اقتباس الكتابة الكنعانية دون تغير في حدود القرن الثاني أو الحادي عشر قبل الميلاد، ثم بدات كتابتهم بالتميز عن الكنعانية والابتعاد عنها، ينظر: ربحي، كمال: دروس في اللغة العبرية، ط4، دمشق، 1966، ص 33-34.

2- مني: المصدر السابق، ص29-30.

3- للاستزادة في المعلومات عن هذا الموضوع ينظر فاضل، عبد الحق: مغامرات لغوية، بيروت، بدون تاريخ، ص21-22؛ نفس المؤلف: تاريخهم من لغتهم، بغداد، 1977، ص133-161؛ نفس المؤلف، "عربي - ارامي - عبري"؛ سومر، م14، بغداد، 1958؛ السامرائي، ابراهيم: "رد على مقال: عربي، ارامي، عبري"، سومر، م16، بغداد - 1960، ص 38-41.

المفردة (عبري) لم تستخدم كاسم جنس، وإن وظفت أحياناً كمصطلح يعبر عن حالة اجتماعية[1]. وهي في مجملها تدل على التحول والتنقل الذي هو أخص ما يتصف به سكان الصحراء وأهل البادية، وقد كان الكنعانيون والفلسطينيون يسمون بني إسرائيل بالعبريين لعلاقتهم بالصحراء وليميزوهم عن أهل العمران، ولما استوطنوا أرض كنعان وعرفوا المدنية والاستقرار صاروا ينفرون من كلمة عبري التي كانت تذكرهم بحياتهم الأولى حياة البداوة والخشونة[2].

أما بالنسبة إلى الشواهد التاريخية والآثارية، فقد حاول بعض المختصين بالدراسات المسمارية من اليهود وبعضهم يدرس في جامعات الكيان الصهيوني أن يربط بين كلمة خابيرو أو عابيرو وكلمة (عبريم) التوراتية التي تعني عبراني، بالجذر (ع ب ر) أو بالمصدر المشترك والذي يعني مر وعبر، وكان الهدف من ذلك كما هو واضح محاولة لاختراع أصول في فلسطين لجماعات العبرانيين الذين استولوا على أرض كنعان حسب رواية سفر يشوع[3]. وتقديم شاهد رافدي ومصري على وجود العبريين الذين لا نعرف عنهم إلا معلومات التوراة التي تحتاج هي نفسها إلى شواهد أخرى فالمحاولة تهدف إذن إلى إبراز دور ما للعبريين وتجذره في تاريخ بلاد الرافدين وبلاد النيل[4].

فيما يخص معنى اسم خابيرو، فلدى مراجعة الاسم في المعاجم الرئيسة فإننا لن نحصل على معنى محدد يتفق عليه الجميع. والسبب هو غياب الشواهد التي تؤيد كل ترجمة مقترحة، وأهم هذه الترجمات هي: وجد في النصوص الأكدية صيغة ibbiar ابيار، وتعني الهارب أو الذي هرب، وهي تقابل المعنى السومري SA. GAS والأكدي habiru خبرو وتعني غزاة، رجال غزو ويستعمل تعبير "سا - غز" للدلالة على رجال من هذا النوع ويقابله بالأكدي habbatu أي القتلة. ولكن هذا المعنى

1- مني: المصدر السابق. ص27-28. الشامي: المصدر السابق. ص59.

2- طنطاوي، محمد سيد: بني إسرائيل في القرآن والسنة. ط2. ليبيا - 1973. 1/3-6؛ ولفنسون: المصدر السابق، ص77-78.

3- السواح: آرام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق. ص83.

4- عبد الله: المصدر السابق، ص 158-159؛ سليمان: المعجم الأكدي المصدر السابق، ص 202.

أكثر شدة لتوظيف تلك الجماعة فيبقى المعنى خبرو = بدو، غزاة، نهابون، أكثر انسجاماً مع النصوص التي وردت فيها الكلمة. بقي أن نعلم أن هذا الاسم قد أطلقه على تلك الجماعة الآخرين، سواء أكانوا خصوماً أم حلفاء ولذا فإنه لا يخلو من غرض سلبي[1]. فالخابيرو لم يكونوا جماعة عرقية متميزة بل أخلاط من أجناس شتى ولا تساعدنا أسماء الأعلام الدالة على أفراد منهم، في نصوص مملكة ماري ونوزي والالاخ وبو غاز كوي وغيرها على تبيين لغة واحدة تجمعهم[2]. كما أن هذه النصوص لا تساعدنا على تحديد لفظ حياة موحد لهذه الجماعات، كما انها لا تحدد وطناً وأرضاً أو بلاداً باسم بلاد الخبيرو. ولذا فإن تلك المجموعة لم تشكل وحدة سياسية. إن ظهورهم كجماعات بدوية متنقلة هامشية وعدم وجود دليل على ادعاء مذهبي أو عرقي من خلال النصوص يجعل انتماءهم البشري للمجتمع الرافدي الأموري، ونستنتج من تلك النصوص أن الخبيرو لا يظهرون إلا بحركة دائمة، يشاركون في أعمال واستطلاعات عسكرية لدى الملوك أو لحسابهم الخاص. وأمثلة ذلك كثيرة في وثائق تل العمارنة[3]. وبقيت صورتهم على مر العصور بوصفهم جماعات متجولة ومتطوعة في معظم مناطق الوطن العربي للقديم، لم يستقروا في عصر من العصور وظلت النصوص السومرية بشكل خاص تحتفظ لهم باسم (ساغز) الذي يعني العصابة وهو المعنى الذي يتفق عليه جميع المختصين وجميع المعاجم، والمقصود به نمط حياة لا نسباً عرقياً أو قبلياً أو اعتباراً سياسياً وإنما حالة

1- CAD: H, Vol. 6, p. 84; Bottero, J., Real Lexicon d' Assyriology, Paris - 1972-75, Vol. 4, p.22; Na'aman, N., "Habiru and Hebrews: The Transfer of Social Term to the Literacy Sphere", JNES, Vol. 45, No. 4, 1986, p. 275-278; Johnson: opcit, p. 37-38.

2- ففي نوزي وجدت اعداد كثيرة من العبيد الذين يدعون خابيرو واعتقد البعض بأنهم أجانب وأعداء واخذوا كأسرى حرب والزموا بتأدية خدمات معينة ووزع قسم منهم على كبار موظفي الدولة. عن هذا الموضوع ينظر. الرويح. صالح حسين: العبيدي العراق القديم. بغداد - 1977. ص37؛ Mitchell: opcit ,P.28.

3- السواح: ارام دمشق. إسرائيل. المصدر السابق، ص 26-27؛ حومسكي: المصدر السابق. ص74؛ Johnson: opcit, p. 32-33; Albright, W.F., Yahweh and the Gods of Cannan, New York - 1969, p. 73-86; Ross, B., "Correspondence In Clay", Aramco World, Vol. 50, No. 6, 1999, p. 31-34.

اجتماعية تعبر عن فئة من الناس قوام حياتها الترحال والانتقال والعيش على السلب والنهب أو الدخول كمرتزقة أو عبيد لدى الدول[1].

جدير بالذكر أنه بعد الاكتشافات التي حققتها البعثة الآثارية الإيطالية برئاسة جيوفاني بتيناتو في آبلا[2] قام بترويج أقاويل مؤداها أنه قرأ في نصوص آبلا أسماء مثل إبرام، داود، عيسو، إبر، إسرائيل وأسماء مدن مثل حاصور، مجدو، غزة، اورساليما ..إلخ ذاهباً إلى أن هذه الأسماء هي نفسها التي وردت في العهد القديم. وقد تلقف الباحثون التوراتيون هذه التصريحات، وقد انصبت جميع التكهنات والتحليلات نحو هدف واحد وهو إثبات أن مملكة آبلا مملكة يهودية بدليل الأسماء الواردة في ألواحها وإن أصل اليهود يرجع إلى هذه المملكة وكان الأساس الذي ارتكز عليه أنه طالما أن لغة آبلا قريبة من العبرية وآن نصوص آبلا تحتوي على أسماء أعلام وأسماء مدن وردت في العهد القديم فإنه من المحتمل بكل بساطة أن يكون أصل اليهود من هناك[3]. ومن ضمن الافتراضات التي طرحها هو وجود علاقة محتملة بين ملك آبلا ايبريوم (E/ib-ri-um) من جهة والاسم التوراتي (عبر) الوارد في لائحة الأنساب في سفر التكوين (10: 21–25، 11: 14–17) والاسم

1- الدليمي، محمد صبحي عبد الله: العراق وبلاد الشام صلاتهما الحضارية والسياسية منذ عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية العصر البابلي القديم 1595 ق.م، رسالة دكتوراد غير منشورة، معهد التاريخ العربي، بغداد ـ 1990، ص 320.

2- ابلا (تل مرديخ) تقع على بعد 55 كم جنوب شرقي حلب أسفرت الحفريات عام 74-1975م عن الكشف عن أرشيف ملكي ضخم يتألف من أكثر من ستة عشر ألف رقيم وكسر طينية تورخ بالنصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، حيث قامت في شمال سوريا مملكة مزدهرة. وللمزيد من التفاصيل عن نصوصها وتاريخها ينظر: الكجك، يسرى: "الابلانية لغة مدونة في وثائق ملكية"، دراسات تاريخية، ع 21-22، دمشق ـ 1986. ص 162-176؛ مرعي، عيد: "ملاحظات عن الكتابة المسمارية في ابلا". دراسات تاريخية، ع 55-56، دمشق ـ 1996. ص 150؛ الدليمي: المصدر السابق. ص 22 وما بعدها؛

Biggs, R. "The Ebla Tablets: An Interim perspective", B.A., Vol. 43, No. 2, 1980, pp. 76-87; The same author: "The Royal Archives of Tell Mardikh-Ebla", B.A, Vol. 39, No. 2, 1976, p. 44-54; Pettinato, G. "The Archives of Ebla, An Empire Inscribed in Clay", New York, 1981.

3- الاسعد، محمد: "لغز ابلا: هل كانت مملكة عربية"، العربي، ع 305، الكويت ـ 1984، ص 100-101.

التوراتي لقوم العبرانيين (عبري) من جهة ثانية[1]. غير أن سير البحث العلمي حول العلاقة بين الخابيرو والعبريين قد أدخل منذ البداية شخصية إبراهيم عليه السلام في حلقة الخلاف حول عبر والعبريين وأخيراً صارت شخصية إبراهيم عليه السلام جزءاً لا يتجزأ من أي مناقشة[2] اعتماداً على رواية العهد القديم المتأخرة المكتوبة في القرن السابع أو السادس قبل الميلاد.

وإن إبراهيم وعائلته قد قاموا خلال فترة ازدهار الأموريين (1800-1600) ق.م برحلة وصلوا إلى فلسطين قادمين من حران لكن الترحال الإبراهيمي المذكور في العهد القديم[3] لم يحدث أية ضجة ولم يترك أثراً في الكتابات المسمارية ولم تدل عليه اللقى الآثارية التي اكتشفت حتى الآن، كما لم يتمتع إبراهيم عليه السلام وعائلته بأي سلطان أو نفوذ سياسي. وعلى الرغم من كل هذا يمكن قبول فرضية حدوث تلك الرحلة في إطار تحركات البدو الدائمة، ولربما كانت نهاية المطاف والاستقرار بالنسبة لهذه المجموعة في فلسطين التي كانت تشهد فترة انتعاش على يد الكنعانيين[4]. وإذا اعتبرنا سفر التكوين من وضع كتاب اليهود بعد الترحيل فإنه يمكن أن نتوقع نهاية للجهود الرامية إلى خلق علاقة بين نصوص آبلا وسفر التكوين وبالتالي الوصول إلى تحديد تاريخ زمني لإبراهيم عليه السلام استناداً إلى تاريخ نصوص آبلا. فظن بعض علماء المسماريات اليهود أنهم وجدوا الدليل الكتابي غير التوراتي على تلك الرحلة في نصوص تل العمارنة، ومن ثم ماري وأغاريت وغيرها وأنهم وجدوا على الأقل ذكر للعبريين وأنهم ليسوا إلا جماعة الخابيرو أو العابيرو، وإن هذا الادعاء لم يجد له سنداً علمياً، على الرغم من وجود مجانسة لغوية ظاهرة

1- لوريتس، و.: "هل للعبرانيين وجود في ابلا"، ترجمة قاسم طوير، دراسات تاريخية، ع 27-28، دمشق - 1987، ص 123-124؛ Mitchell: opcit, p. 28.

2- لوريتس. المصدر السابق، ص 124؛ السواح: ارام دمشق اسرائيل، المصدر السابق، ص 49؛ Albright: opcit, pp. 87-88.

3- لوريتس. المصدر السابق، ص128؛
Albright, W.F., "From the Patriarchs To Moses", B.A, Vol. 36, 1973, p. 15-16; Fredeman, D.N., "The Real Story of The Ebla Tablets and Cities of the Plain", B.A, Vol , 41, 1978, p.153.

4- عبد الله، فيصل: المصدر السابق، ص161-162.

يمكن أن نجد مثلها في كثير من اللغات حتى اللغات العارية، وإن جماعة الخابيرو ليسوا إلا مجموعة من قطاع الطرق تلقى بعض الاهتمام من السلطات المستقرة في المدن، في حين أن جماعة إبراهيم عليه السلام كانت جماعة صغيرة اقتصرت على إبراهيم عليه السلام وعائلته[1] يضاف إلى ذلك الأصل المتأخر زمنياً لسفر التكوين الذي تم تدوينه بعد الترحيل البابلي والطابع الأدبي لمضمونه يمنعان سلفاً إجراء أية مقارنة بينه وبين نصوص ابلا، كذلك لن يكون بالإمكان إجراء مقارنة تاريخية فعلية قبل أن نصل إلى تحديد تاريخ زمني لكتابة العهد القديم (التوراة)[2] "يتبين لنا مما تقدم أن كلمة عبري أو عبراني لا يراد بها عبور النهر، بل ترد في العهد القديم بصيغة عابر التي تعني المسافر كما أن الاسم قريب من خيبرو التي وردت في نصوص الألف الثاني قبل الميلاد وتسبق ظهور إبراهيم عليه السلام الذي تنعته التوراة بالعبري تارة والآرامي تارة أخرى وإن جماعة الخابيرو ليسوا إلا مجموعة من قطاع الطرق تلقى بعض الاهتمام من السلطات المستقرة في المدن، كما أن الغموض الكائن حول البدايات التاريخية لـ (اليهود) والزمن الذي بدأ فيه تاريخ اليهود من جهة وحول مسيرة البحث العلمي حول هذه النقطة من جهة أخرى تجعلنا نفهم لماذا يستمر الباحثون التوراتيون من الصهاينة في تعميق الآمال الكبيرة على النصوص التاريخية المكتشفة وتوظيفها لخدمة أغراضها وإشاعة هذا الأمر على مستوى الرأي العام غير المتخصص على الأقل أن ابريوم ليس إلا عابر التوراة، وبالتالي فإن أجداد العبريين قد حكموا في آبلا في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد في حين أنه ليس هناك علاقة لا من قريب ولا من بعيد ولا من حيث الشكل أو المضمون بين العبريين وبين نصوص آبلا التي تسبقهم بألف عام.

والآن وقد تبين أن العهد القديم لم يعرف شعباً أو أية مجموعة إثنية باسم العبريين فإن هذا يشرح سبب عدم وصف لغتها بأنها عبرية فلم يرد ذكر لها بهذه

1ـ لورينتس: المصدر السابق، ص128.

2ـ عبد الله، فيصل: المصدر السابق، ص162

الصيغة بكل أسفار العهد القديم وهو أمر لافت للنظر، وإنما كان يطلق على هذه اللغة تسميات منها:

1- لغة البلد الغربي التي أطلقها الآشوريون عليهم.

2- اللغة اليهودية[1].

3- لغة كنعان[2].

4- اللغة المقدسة.

وهناك من يرى أن هذه التسمية مأخوذة عن تسمية هذه اللغة بـ "لسان بيت المقدس" في التراجم اليهودية الآرامية للعهد القديم، تمييزاً لها عن اللغة الآرامية التي كانت لغة الحياة اليومية بالنسبة لليهود في ذلك الحين واللغات الأخرى والتي كانت في نظرهم لغات غير مقدسة ولم تعرف بهذه التسمية وتسمية اللغة العبرية إلا بعد الترحيل البابلي[3]

إن مصطلح "عبرية" فيما يتعلق باللغة لم يستعمل إلا في مرحلة متأخرة نسبياً، عندما أخذ الكتاب اليهود هذه التسمية من الكتاب اليونان والرومان، الذين

1ـ 2 ملوك 18: 26ـ28؛ نحميا: 13: 24؛ محفل، محمد: "قراءة في كتاب جغرافية باطلة تاريخ وتصحيح"، دراسات تاريخية، ع 55ـ56، دمشق ـ 1996، ص 281؛ مني: المصدر السابق، ص35.

2ـ اشعيا: 19: 18، اشعيا: 36: 13؛ محفل: المصدر السابق، ص 218؛ مني، زياد: جغرافية التوراة، ط1، لندن ـ 1994، ص25.

3ـ جودي: المصدر السابق، ص43؛ ولفنسون: المصدر السابق، ص78؛ ربحي: المصدر السابق، ص32ـ33؛ الشامي: المصدر السابق، ص61. والملاحظ أن موضوع التقديس والدنس بالنسبة للغة اليهود ليس له علاقة بجوهر الأحداث فاليهود يكنون الكره للكنعانيين وقد اعتبروا اللغة الكنعانية رغم استعمالها مدة طويلة لغة دنسة، بينما اعتبروا اللغة الآرامية لغة مقدسة، ينظر، السعد: المصدر السابق، ص244. وربما يكمن السبب في هذه التسميات المختلفة هو أن اليهود لم يتحدثوا بلغة واحدة في الفترة التي اعقبت ترحيلهم الى بابل في القرن السادس قبل الميلاد، حيث توقفوا عن استخدام لغتهم كلغة حديث وتعاملات واقتصر استخدامها على الجوانب الدينية البحتة، ينظر. الشامي: المصدر السابق، ص61؛ بوفرة، عبد الكريم: "تخطيط اللغة العبرية"، ع 38، عمان، 1994، ص 167ـ168.

استخدموا هذه التسمية ليطلقوها على لغة الكتاب المقدس وكذلك لغة المشنا السائدة آنذاك، وفي هذا الوقت أيضاً بدأوا بتوحيد اسم (عبري) بـ (يهودي)[1].

فمصطلح عبري - عبراني هي صياغة متأخرة من قبل حاخامي اليهود في وقت متأخر، ولم يكن مستعمل في روسيا للدلالة على اليهود إلا بعد القرن الخامس عشر الميلادي[2]، وأصبح مدلولها في العصر الحديث لا يقتصر على اللغة فقط، وإنما أصبح يرتبط بالمقدسات التراثية القديمة والجوانب الثقافية والقومية أيضاً فيقولون "اللغة العبرية"؛ "الأدب العبري"؛ "الجامعة العبرية". أما القواميس الحديثة فلم تذكر هذا المصطلح كمرادف للإسرائيلي أو اليهودي[3]. كما يجب الانتباه إلى مسألة مهمة جداً، هي أن القرآن الكريم لم يذكر مصطلح عبريين أو عبرانيين إطلاقاً[4] والجدير بالذكر أن الإخباريين العرب لم تكن لديهم أية دراية بوجود مصطلح "عبري" في تاريخهم، فقد ورد ذكرهم بصيغة بني إسرائيل أو قوم موسى ويهود (الذين هادوا)، مما يدل على أن العرب في زمن النبي محمد ﷺ لم يعرفوا اليهود بغير التسميات المذكورة، فلو كانوا يعرفونهم بالعبرانيين أو العبريين لورد

1- حومسكي: المصدر السابق، ص76-77.

2- جودي: المصدر السابق، ص42؛ وقد ورد لأول مرة في سفر الجامعة ثم في إنجيل لوقا 28/23؛ وإنجيل يوحنا 19/20-23/38 وفي المشنا والتلمود وفي مدخل الترجمة اليونانية لـ "حكمة بن سيرا" الذي ألف من قبل حفيد ابن سيرا في عام 139 ق.م. وموجود ايضا في كتاب "اليوبيلات" الذي ألف بسنوات كثيرة قبل ذلك. وايضا في كتاب "الاعتذاري"، "رسالة ارسطيباس" الذي الف باليونانية، مؤلف "المكابيون" الجزء الرابع، ويوسف بن متى (يوسفيوس)، حيث استخدم في المصادر أعلاه مصطلح "عبرية"، "لغة عبرية"، "حروف عبرية" وما شابهها. حيث قالوا "عبرية" لمن ظل من اليهود على دينه. ينظر، التونجي، محمد: اللغة العبرية وادابها، عين شمس ـ 1975، ص25؛ حومسكي: المصدر السابق، ص77؛ الزين، محمد: "الحلف المكابي ـ الروماني فصل من تاريخ فلسطين في العصر الهلنستي"، دراسات تاريخية، دمشق 67-68، 1999، ص50؛ NA'MAN: Ibid, P.287.

3- ظاظا، حسن: الشخصية الإسرائيلية، دمشق ـ 1985، ص24؛ فريح، غازي محمد: النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة، ط1، بيروت ـ 1990، ص68.

4- ومن أشهر هذه القواميس: القاموس الحديث لابن شوشان؛ قاموس عبري ـ عربي لإبراهيم المالح؛ قاموس عبري شامل القالعي؛ قاموس عبري ـ عربي لقوجمان. ينظر جودي: المصدر السابق، ص51-53.

ذكرهم في القرآن الكريم بهذه التسميات، فلذلك نجد أن أشهر المؤرخين العرب كانوا يسمون اليهود "بني إسرائيل في كتبهم وذلك تمشياً مع نهج القرآن الكريم"[1]

المبحث الثاني

الإسرائيليون أو بنو إسرائيل

إسرائيل هو لقب للنبي يعقوب بن اسحق بن إبراهيم الخليل (عليه السلام) وقد اختلفت الروايات في أصله، فهناك من يرى أنه مؤلف من كلمتين قديمتين هما (إسرا) بمعنى غلب أو عبد أو صفوة و(إيل) وهو الله فيكون معنى الكلمة غلب الله أو عبد الله أو صفوة الله[2]. وهناك من يرى أنها كلمة كنعانية الأصل تعني (ليؤا - زر - إيل) وإيل اسم إله[3]. ويقدم لنا العهد القديم (التوراة) روايتين لتفسير تغيير اسم يعقوب إلى إسرائيل، وملخص القصة الأولى أن يعقوب بعد أن عاد من مصر آراد أن يقابل أخاً له فجلس (يعقوب) (عليه السلام) في خيمة وبينما هو كذلك دخل عليه رجل "فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلع الفجر، ولما رأى أنه لا يقدر عليه حق فخده فانخلع حق فخد يعقوب في مصارعته معه. وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال له لا أطلقت إن لم تباركني. فقال له ما اسمك فقال يعقوب. فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب وقال

1ـ سوسة، أحمد: العرب واليهود في التاريخ، ط2، دمشق ـ بدون تاريخ، ص246ـ247؛ محفل: المصدر السابق، ص219. وهناك من الباحثين من يعترض على تسميتها باللغة العبرية ويقترح دون تردد تسميتها بـ "اللغة التوراتية"، ينظر ـ محفل: المصدر السابق، ص218؛ الزين: المصدر السابق، ص50.

2ـ طنطاوي: المصدر السابق، ج1، ص6.

Odijk, p., the Israelites, New Jersey, 1990, p.9; Albright: opcit, p.14.

3ـ ابراهيم، جابر خليل: المصدر السابق، ص158؛ خياطة: المصدر السابق، ص 19

أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان فنوئيل قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه وبخيت نفسي. وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يخمع على فخده[1]. أما الرواية الثانية فانها تضع هذه الحادثة بعد إقامة يعقوب لمذبح الرب في بيت إيل، وذلك بعد الصراع في يبوق بزمن لا بأس به: "فأتى يعقوب إلى لوز التي في أرض كنعان هو وجميع القوم، الذين معه وبنى هناك مذبحاً ودعا المكان ايل بيت ايل.. وظهر الله ليعقوب أيضاً حين جاء من فدان آرام وباركه، وقال له الله: اسمك يعقوب، لا يدعى اسمك يعقوب فيما بعد بل يكون اسمك إسرائيل[2].

ومضمون القصة واضح إذ تصور الله تعالى ينزل بشكل إنسان يصارع يعقوب حتى الفجر ثم لا يستطيع أن يصرعه، بل يريد أن يذهب فلا يسمح له يعقوب، ثم يباركه الله، لكن الله تعالى ضرب يعقوب على فخذه ومن أجل هذه الضربة وبسببها كان (عرق النسا) ثم تكون النتيجة أغرب من كل ذلك وهي تحريم اليهود أكل لحم الفخذ إلى هذا اليوم[3]. ومن الصعب جداً قبول هذا التفسير ووصف الإنسان تساوي قوته قوة إله من الآلهة. أما هنا فيعقوب عليه السلام لم يصمد في وجه يهوه وحسب، بل أنتصر عليه أيضاً، بغض النظر عن أنه خلع له حقه[4].

1- تكوين 32: 24-32؛ السواح: أرام، دمشق، إسرائيل. المصدر السابق، ص40؛ تاكسيل: المصدر السابق، ص134-135.

2- تكوين 345: 6-10، وينظر ايضا، السواح، : ارام، دمشق، إسرائيل، ص40؛ طعيمة: التراث الإسرائيلي، المصدر السابق، ص439-445؛ العقاد: المصدر السابق، ص49؛ محمد، قاسم محمد: المصدر السابق، ص78.

3- طعيمة، صابر عبد الرحمن: الدين الحق وبنو اسرائيل، ط1، بيروت، 1979، ص 111، طعيمة، صابر عبد الرحمن: بنو إسرائيل في ميزان القران الكريم، ط1، بيروت، 1975، ص 131-132؛ سنقراط، داود عبد العفو: أبناء يهوذا في الخفاء، ط2، عمان – 1984، ج1، ص 17.

4- تاكسيل: المصدر السابق، ص 133-134؛ الصليبي: خفايا التوراة المصدر السابق، ص 198-201.

وإسرائيل[1] من عباد الله المخلصين ولا يمنع أن يكون في هذه الطائفة من هو كافر بالمبدأ العام في فترة من الفترات أو حالة من الحالات كما يظهر ذلك من خلال الآيات الواردة بهذا الإطلاق هذا فضلاً عن أن غالب ما ورد من الآيات القرآنية مبدوءة بـ (يا بني إسرائيل) اقترن بشيء من العتاب أو التذكير بالنعم السابقة أو الدعوة إلى التوبة والإصلاح وهذه الأمور لا يخاطب بها من كان مؤمناً أو زاغ عن إيمانه بعض الشيء ويؤمل منه العودة[2] إلى الله وأما من كفر فانه يبقى ضمن تلك الطائفة نسباً ولكنه يخرج منها إيماناً ويظهر من خلال استعراض كامل الآيات القرآنية التي وردت خطاباً لبني إسرائيل أن هذه النسبة ذكرت زمن النبي عيسى عليه السلام كما ذكرت أيضاً في زمن رسولنا الكريم محمد ﷺ أما قبل هذا فكان يطلق عليهم اسم آل يعقوب[3].

إذا انتقلنا إلى الشواهد الآثارية والتاريخية فإننا لا نملك من المصادر والوثائق التاريخية شيئاً غير مسلة وحيدة يرد فيها أقدم ذكر لبني إسرائيل خارج أسفار العهد القديم ونظراً لعدم وجود مسلة أخرى تذكر اسم إسرائيل سميت المسلة بمسلة إسرائيل[4] وجدها بتري في عام 1906 بالرمسيوم في وادي الملوك خاصة بالملك أمنوفس أمنحوتب الثالث (1417-1379) ق.م والتي استعملها الملك مرنفتاح (1235-

---

1- جدير بالذكر أن ذكر يعقوب عليه السلام في القران الكريم واحدا واربعين مرة وال يعقوب كرر مرتين، اما بني اسرائيل فقد ذكروا في واحد وأربعين موضعا، بينما ذكر لفظ اسرائيل لوحده مرتين فقط. ينظر، طعيمة: الدين الحق المصدر السابق، ص 113.

2- أن تكرار القصة في القران وثيق الصلة بمنهجه القصصي اذ هو يخدم غرضين في آن واحد:

أ) غرضا فنيا يتمثل في تجدد أسلوبها ايرادا وتصويرا وتفنن في عرضها ايجازا واطنابا والتنوع في ادائها لفظا ومعنى.

ب) غرضا نفسيا بما له من تأثير في النفوس، لأن المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان ودوافعها كما هو مقرر في كل نفس. عن هذا الموضوع ينظر التهامي، نقرة: سيكولوجية القصة في القران، الجزائر - 1971، ص 116؛ طبارة، عفيف عبد الفتاح: اليهود في القران الكريم، ط4، ببيروت - 1974، ص 258-259.

3- كاظم، ناصر: "مفاهيم عبر التاريخ، إحياء التراث الإسلامي، ع8، بعداد - 1979، ص 81.

4- خياطة: المصدر السابق، ص 101.

1224) ق.م[1]، بعد حوالي 15 سنة ليخلد عليها في كتابة شعرية الوضع الدولي في عصره ويشير لأول مرة إلى اسم إسرائيل[2] وهي الآن موجودة في المتحف المصري في اللوحة المرقمة 599 يبلغ ارتفاعها 3 أمتار و 14 سنتمتر كتب على أحد وجهيها أمنوفس الثالث من الأسرة الثامنة عشرة وما عمله لمعبد آمون وفي الوجه الثاني فقد كتب خصيصاً مرنفتاح أعماله ويفتخر بانتصاره على اللوبيين[3]. كما يذكر خبر حملته التأديبية على عسقلان وجيرز ويوانام وإسرائيل ويقول أنه محا إسرائيل فلم تبق منها باقية ويؤيد خبره هذا أن النصب الذي أقيم بعد ذلك مسجلاً لانتصار رمسيس الثالث على العموريين والفلسطينيين والحيثيين عام 1190 ق.م لم يرد فيه ذكر لإسرائيل[4]. ونورد أدناه ترجمة النص الذي ورد فيه ذكر إسرائيل وهو السطر السابع والعشرون:

"انطرح الأمراء على الأرض صارخين السلام

لا ترى رأساً بين الساجدين التسعة

حيث ليبيا صارت خراباً، وحاتي هدأت خلف حدودها

أما كنعان فقد آلت إلى كل محنة وبلية

فعسقلون قد انهارت

وغزة قد محيت من الوجود

إسرائيل صارت خراباً وقطع دابرها

1- هو ابن رعمسيس الثاني، تولى الحكم بعد وفاة والده، فقد كان وليا للعهد في السنة الخامسة والخمسين من حكم والده حيث نصب رمسيس الثاني ابنه مع ام واست وليا للعهد ولكنه توفي أثناء حياة والده مما أضطر رعمسيس الثاني إلى اختيار ابنه مرنفتاح وليا للعهد وكان يشغل منصب الكاهن الأعظم وشغل منصب القائد الأعلى للجيش. ينظر، الشمري: المصدر السابق، ص215.

2- الصفدي، هشام: علم الآثار الشرقية، دمشق - 1982، ص49؛ الاحمد: "دراسة في معلومات العهد القديم" المصدر السابق، ص68.

3- خياطة: المصدر السابق، ص101؛ الصمادي: المصدر السابق، ص 64.
Hasel, M. "Israel in the Merenpath", BASOR, No. 29, 1994, pp. 45-61; Mitchell: opcit, p. 41; Johnson: opcit, pp. 39-40.

4- العقاد: المصدر السابق، ص 199.

حورور وصارت أرملة أمام هجوم مصر[1]

ولكن هل يقصد بإسرائيل هنا القبائل الإسرائيلية الاثنتا عشرة كما ترد في العهد القديم، أم جماعة أقدم كانت تسمى إسرائيل، ثم خلعت هذا الاسم لمناسبة تاريخية مجهولة على إسرائيل التي نعرفها؟

إن ما ورد في مسألة إسرائيل هو ذكر اسم إسرائيل مسبوقة بعلامة دالة على الأقوام أي أن المقصود من الكلمة هو "بني إسرائيل" أو "قوم إسرائيل"، علماً بأن العلامة الدالة المستخدمة تدل على الأقوام البدوية المتنقلة وبذلك فإن الكلمة لا تشير إلى وجود كيان سياسي أو مكان بهذا الاسم والملاحظة الجديرة بالذكر أن النقد النصي والتاريخي والأركيولوجي لروايات الآباء والخروج، قد أوصلنا إلى القول بكل ثقة علمية بأن جميع الوقائع تنفي نفياً قاطعاً وجود كيان إثني اسمه "إسرائيل"[2] كما أن المعلومات الأثرية حول فترة الانتقال بين العصر البرونزي المتأخر وأوائل العصر الحديد الأول بحدود 1200 ق.م تمدنا بمعارف قيمة حول الديموغرافية (السكان) والمستوطنات والاقتصاد والتنظيم الاجتماعي للمجتمع الفلسطيني، وهذه المعلومات لا تثبت وجود كيان يدعى (إسرائيل)[3] وعلى الرغم من ذلك فقد كتب عنها الكثير واتخذت أساساً لوجود إسرائيل منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد[4].

وبصرف النظر عن الإشارة الغامضة إلى إسرائيل في نص مرنفتاح، والتي يجمع المؤرخون اليوم على عدم صلتها بإسرائيل التوراتية، فإن النصوص المصرية عبر

1- السواح: ارام، دمشق، إسرائيل، المصدر السابق، ص 99؛ موسى، محمد العزب: موسى مصريا نظرية فرويد في التاريخ اليهودي، القاهرة - 1969، ص 75؛ هرتزوغ، زانيف: "هدم أسوار أريحا"، ترجمة فاتن البستاني، المنتدى العربي، ع 174، عمان - 2000، ص 18.

2- للمزيد من التفاصيل عن الخلفية التاريخية لسفر الخروج والنقد النصي والتاريخي والأركيولوجي لقصة الخروج، ينظر السواح: ارام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص 29-78.
Bimsson, J.J, "Reading The Exodus", B.A, Vol.8 No,4 ,1987, pp,41-53.

3- هرتزوغ: المصدر السابق، ص18-19؛ وايتلام: المصدر السابق، ص، 79-123
Thomson,T.L., The Bible In History, London,2000, p 79-123

4- السواح: ارام، دمشق، اسرائيل المصدر السابق، ص97-99.

التاريخ لم تعرض لذكر إسرائيل في أية صورة أو أية صيغة. أما النصوص الآشورية التي ساعدت المؤرخين المحدثين على رسم الخارطة السياسية والبشرية للمنطقة خلال الألف الأول قبل الميلاد[1] فلا يوجد فيها ذكر لكيان سياسي اسمه إسرائيل إن ما ورد في النصوص المسمارية يشير إلى السامرة أو بيت عمري وهو البيت الحاكم فيها للدلالة حصراً على السامرة التي تشكلت تاريخياً بحدود 880 ق.م[2]، التي أقامها الحاكم عمري (ق.م) عقب بنائه السامرة وإن اسرة الحاكم عمري الأسرة التي شكلت ولأول مرة أسرة حاكمة وهي معروفة تاريخياً وحكامها موصوفون في النصوص الآشورية، ومع بناء السامرة فقط يتوفر لدينا من الوثائق التاريخية والأركيولوجية ما يكفي للحديث عن دويلة السامرة واستمرت أقل من قرنين من الزمان حيث قضى عليها الآشوريون بحدود عام 721 ق.م[3]. ثم ترحيل أهلها. أما المقاطعة الآشورية التي قامت في الهضاب المركزية بعد ترحيل اليهود وإحلال أقوام جديدة محلهم فقد دعيت بمقاطعة السامرة، واستمرت تدعى بهذا الاسم خلال العصر الفارسي والهلينستي والروماني[4]. حيث نقرأ في عدد من الرسائل الآشورية إشارة إلى السامريين كأشخاص أو إلى المدينة بالسامرة ومنها "رسالة من

Arihu إلى Nabu-duru-usu دامت صحتك سيدي

بشأن ضريبة محصول ذرة السامرة (KUB·sa-mir-na-a-a) فإن سيدي سوف

يرسل إشعار إن كانت توجد أم لا. ودعنا نكون على قناعة بها.

والموظفون غير نشطين، حيث بقوا كما هم، ولم يذهبوا

1- المصدر السابق: ص178.

2- طومسون، توماس، ل: التاريخ القديم للشعب الاسرائيلي، ترجمة صالح علي سوداح. ط1، بيروت - 1995، ص 205-209، 374-375.

Hess, R., "Early Israel In Canaan" Essays on Ancient Israelite, Historiograhy, ed Long,V., Indiana-1999, p, 503-504.

3- السواح: ارام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص179.

4- المصدر السابق: ص183-184.

للقيام بعملهم. كما أننا لا نستطيع أن نفرض عليهم الأوامر

كنت أتوسل إليك منذ العام المنصرم حتى الآن بشأن الدخل

ولكننا لم نستلم أي دخل مهما يكن. والان أرسل إشعاراً هل موجودة أم

لا! "[1].

ونقرأ أيضاً:

"إن النهر الذي يجري أمام السامرة (URU.Sa-me-r i-na)

قد جف وهناك بئر واحد في المنطقة بأسرها [...] وبدأت [العمل...][2]

ونقرأ أيضاً:

"ربما سيدي الملك سيقول: لمن تعطي هذا الطابوق

[...]؟

40.000 لحاكم أرفاد و 40.000 للسامرة (URU.Sa-me-r I-na) و 40.000

مجدو وفي المجموع 120.000 أخذ الطابوق

من بلاط الملك"[3].

أما مفهوم إسرائيل فهو نتاج التقاليد التوراتية المتأخرة والتي بنيت أساساً على وجود تاريخ لإسرائيل السامرة وليس العكس[4]. يتبين لنا مما تقدم أن مصطلح إسرائيل لم يرد في الكتابات الآشورية؛ مع أنه كانت هناك حروب متواصلة بين الآشوريين وبين حكام السامرة وهم الذين أطلق عليهم بأنهم حكام "مملكة إسرائيل". وقد أفاض الملوك الآشوريين في وصف الحروب من غير أن ترد أية إشارة إلى مملكة إسرائيل. وهناك إشارة في أحد النصوص المسمارية من عهد شيلمنصر الثالث تصف آخاب (874-853) ق.م بأنه كما قرأها عدد من الباحثين (الإسرائيلي)

1- SAA: Vol. 1, p. 170.

2- SAA: Vol. 1, p. 198.

3- SAA: Vol. 5, p. 206.

4- السواح: ارام، دمشق. اسرائيل المصدر السابق، ص179.

في حين أن القراءة الدقيقة لهذه الكلمة غير مؤكدة، وقد وردت العلامات المسمارية بالشكل الآتي:

sir, zir, sir, sur[1]

sud, sut, t, sir, su, sar/4, sur, su[2]

آي بلاد سِر - إيلي (matsir-ila-a-a) وليست (إسرائيل) كما قرأها الباحثون الغربيون، كما أن العلامة sir لم ترد لها قراءة مختلفة لكي يقال أن المقصود منها أسم إسرائيل لذا فإن قراءتها على أنها تمثل كلمة إسرائيل هي قراءة غير دقيقة ولا يمكن الأخذ بها[3].

وفي مسلة شيلمنصر الثالث ورد اسم يهو الذي أطلقت عليه التوراة ملك إسرائيل مقروناً بـ "بيت عمري" أو "بيت خمري" (bit hu-um-ri-I) التي ترجمها كثير من الباحثين الغربيين بتأثير ما ورد في التوراة بالإسرائيلي في حين لم يرد في النص الآشوري اسم إسرائيل إطلاقا وإنما ورد اسمه الشخصي، وكذلك استعمل تيجلاتبليز الثالث اصطلاح "بيت عمري" في وصف حملته على فلسطين، نستنتج من ذلك أن أحبار اليهود عندما دونوا أسفار العهد القديم في وقت لاحق، أي بعد أكثر من مئتي سنة زادوا اسم "إسرائيل"، ومملكة "إسرائيل" إلى النصوص في حين لم يرد ذكرها في النص الآشوري، وتبعهم في ذلك الباحثون المحدثون من اليهود وغيرهم في تسمية (آخاب) بالإسرائيلي بدلاً من الاسم الحقيقي الذي ورد في النص الآشوري وهو "بيت عمري".

1- MDA: No. 374, p. 171.

2- BAL: No. 373, p. 151; MDA: p. 171.

3- سليمان، عامر: "مغالطات في تاريخ اليهود القديم"، بحث مقبول للنشر في مجلة المجمع العلمي العراقي.

المبحث الثالث

الموسويون أو قوم موسى

وقد تم تداول هذه التسمية بعد مرور الدور الذي تم فيه تداول تسمية إسرائيل بزهاء ستمئة عام. إشارة إلى الجماعة التي خرجت من مصر بقيادة نبي الله موسى عليه السلام[1]، لقد آثارت شخصية النبي موسى عليه السلام واسمه كثير من الجدل بين علماء التاريخ والدين، وهذه المشكلة دفعت الباحث اليهودي والطبيب النفساني سيجموند فرويد[2] إلى القول أن موسى كان مصرياً ويستند في ترجيح هذا الافتراض إلى ما يأتي:

1- لم يرد في أسماء العرب القدماء اسم نطقه كاسم موسى فهو أول شخص يحمل هذا الاسم.

2- أن كلمة موسى باشتقاقها الذي ذكر في العهد القديم (خروج 8: 10) قد اعتبره اسماً يهودياً وأنه سمي بهذا الاسم لأنه انتشل من الماء، حيث جاء في العهد القديم: "ودعت اسمه موسى وقالت لأني انتشلته من الماء" والكلام هنا على لسان آبنة فرعون[3] والفعل انتشل يقلباه في النص

1- تاكسيل: المصدر السابق، ص 164.

2- جدير بالذكر ان الطبيب الفرنسي موريس بوكاي نشر مؤخرا كتابا يحمل عنوان " العبريون في مصر " .The Hebrew In Egypt, 1994، من قبل NTT Mediascope Inc بطوكيو كثمرة مشروع مشترك مع مؤسسة إسلامية باليابان حيث قارن بين تعاليم العهد القديم واحداث التاريخ السياسي لمصر القديمة، ثم رجع بعد ذلك الى ايات القران الكريم لاستنتاج الحقائق الأكيدة ينظر: منظمة المؤتمر الأسلامي مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستنبول، ع36، 1995، ص27.

3- السواح: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ط4، دمشق - 1999، ص57-58؛ مني: جغرافية التوراة المصدر السابق، ص36-37؛ تاكسيل: المصدر السابق، ص167-168؛

اليهودي فعل نادر الاستعمال جداً بهذا المعنى هو الفعل (مشى) الذي اشتق منه اسم موسى (موشى). ويرد الطعن في هذا الأمر من نواح كثيرة أهمها أن كلمة (موشى) هي صيغة لاسم الفاعل في اللغة العبرية، لا يؤدي معنى الذي أنقذ أو انتشل من الماء وإنما تكون للدلالة على (المنقذ) الذي ينتشل الآخرين. ثم كيف يأتي لأبنة فرعون أن تفكر في تسمية صبي بلغة غير لغتها خصوصاً وهي لغة قوم يعتبر قصر الفرعون أعداء له. ثم هل يسوغ العقل أن يكون فرعون معنياً كل العناية بقتل كل أولاد اليهود وأن تفكر ابنته مع ذلك في تنشئته طفل يحمل اسماً من أسماء هؤلاء في داخل قصر فرعون نفسه؟ يضاف إلى ذلك ما ذكرناه آنفاً من أن مادة (مشى) لا تقوم عليها شواهد واضحة غير ما جاء آنفاً في العهد القديم.

3- نجد في اللغة المصرية كلمة قريبة جداً من نطق موسى هي لفظة (موسى) التي تعني مو = ماء، سا = ابن فيكون معنى الاسم ابن الماء[1] ويكتبونها أحياناً بالعربية (مُس) بدون واو، وهي التي توجد في أسماء الفراعنة نحو تمس (أي أبن الإله نحوت)، ورعمسيس (أي أبن الإله رع)[2].

وإننا نرى أن الاسم موسى مشتق من هذه الكلمة المصرية إذ كثيراً ما يطلق على الرضيع الذي ليس له اسم بعد، ويبدو أنه لم يطلق اسم على الطفل المنتشل من النهر فظل يسمى بهذا الاسم (موسى).

هناك حقيقة مهمة هي أنه ليس لدينا حالياً أية وثائق تاريخية عن موسى عليه السلام معاصرة له يمكن أن ترسم شخصية تاريخية. فلم يترك كتابات وليس عندنا عن

Albright, W.F., "From Patriarchs to Moses: Moses out of Egypt", B.A, Vol. 36, No. 2, 1973, p. 55-56.

1- قبيسي، محمد بهجت: ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية، دمشق ـ 1999، ص 336.

2- فرويد: سيجموند، موسى والتوحيد، ترجمة جورج طرابيشي، ط2، بيروت ـ 1977، ص 59؛ ابراهيم، جابر خليل: المصدر السابق، ص155؛ ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي، المصدر السابق، ص 17ـ18؛ موسى، محمد العزب: المصدر السابق، ص17ـ20؛ جودي، فاروق محمد: الصهيونية واللغة، القاهرة ـ 1977، ص 69ـ70.

عصره وحياته أي شيء، والمصادر المصرية لا تذكر عنه شيئاً ولا عن وجود اليهود في مصر، وما لدينا عنه ينحصر في المحفوظات الشفهية التي دونت بعد قرون عدة من الوقت الذي نسبت إليه[1]. وأمامنا أربعة نصوص، اثنان لهما علاقة بقصة ولادة موسى عليه السلام النص القرآني (من سورة القصص: الآيات 7-14، سورة طه: الآيات 37-40)، النص التوراتي (خروج 2: 1-10) النص الاسطوري قصة ميلاد سرجون الأكدي (2340-2284) ق.م والنص الروماني أسطورة أولاد الذئبة[2]. فمن خلال نصوص القرآن الكريم نتعرف على قصة ولادة سيدنا موسى عليه السلام، والطريقة التي استطاعت بها أمه أن تخلصه من بطش فرعون، والجدير بالذكر أن قارئ قصة ميلاد موسى عليه السلام في العهد القديم لا يمكن نكرانها رغم طابعها القصصي، وذلك لأن القرآن الكريم قد أكدها. وأن تأكيد بعض الأحداث والوقائع التاريخية الواردة من قبل القرآن الكريم لا يؤكد أصالة العهد القديم (التوراة) بوصفه كتاباً دينياً سماوياً، بقدر ما يؤكد الخطوط العامة لها[3].

وقد أشار عدد من الباحثين إلى الشبه الكبير بين ما ورد في قصة سرجون الأكدي وبين ما ورد في قصة موسى عليه السلام[4]. وربما يمكن تفسير التشابه في أسلوب التخلص من الوليد أن الطريقة المعتادة التي كان الناس يتخلصون بواسطتها من الأطفال غير المرغوب فيهم لأي سبب كان هو وضع الطفل في سلة من القصب وتركها تطفو في النهر، نهر النيل أو دجلة أو الفرات أو غيره طالما كانت المدن تقع على شواطئ الأنهار أملاً في أن ينتشل الطفل أحد ممن يعمل أو يقف على ضفاف

1- الأحمد، سامي سعيد: تاريخ فلسطين القديم، بغداد - 1979، ص17؛ السواح: الحدث التوراتي المصدر السابق، ص72.

2- الشويلي، داود سلمان: "رسالة الولادة المرفوضة دراسة تناصية بين ميلاد موسى عليه السلام وسرجون الأكدي"، الموقف الثقافي، ع 19، بغداد - 1999، ص86-87، وعن النص الأسطوري لميلاد سرجون ينظر مني: جغرافية التوراة المصدر السابق، ص37؛ ANET: p. 119.

3- الشويلي: المصدر السابق، ص87.

4- باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط3، بغداد - 1973، ج1، ص36؛ Biema: opcit, p. 42; Hollo, W., "Compare and Contrast: The Contextual Approach to Biblical Literature", In: The Bible in the Light of Cuneiform Literature, ed. Hollo, W., Jones, B.W., Mattingly, G.L., U.S.A - 1990, Vol. 8, p. 6-7.

النهر. فضلاً عن ذلك لا بد من الإشارة إلى أن النص الذي أورد القصة الخاصة بسرجون الأكدي كما تذكر المصادر الآثارية والتاريخية يتوفر لها نسختان، إحدهما تعود إلى العصر الآشوري الحديث في حدود 750 ق.م والأخرى تعود إلى العصر البابلي الحديث في حدود 600 ق.م[1].

أي أنها دونت بعد ولادة موسى عليه السلام أي بعد تاريخ ولادة النبي موسى بأكثر من ستة قرون كاملة (عاش النبي موسى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد)، وأن الآشوريين كانوا على اتصال دائم ووثيق بوادي النيل وبلاد الشام في هذه الفترة وربما كانوا قد تعرفوا على قصة مولد موسى عليه السلام كما وردت في التوراة، وتأثروا بها ونسبوا قصة مشابهة لها إلى شخصية سرجون الأكدي، تمجيداً له ورغبة في إضفاء القدسية على ولادته وحياته ثم ملوكيته. إن قراءة طوبولوجية لقصة ميلاد سيدنا موسى عليه السلام ولقصة سرجون تجعلنا نصل إلى نتيجة واحدة هي أن أسطورة سرجون قد بنيت أساساً على قصة ميلاد موسى عليه السلام المحفوظة شفاهاً أو المدونة في التوراة، فقصة سرجون التي بين أيدينا، ما هي إلا نص أسطوري نال نصيباً من قصة ميلاد سيدنا موسى عليه السلام لأن مصداقية وقوعها بوصفها حادثة تاريخية قد صادق عليها القرآن الكريم[2].

على أية حال كانت غالبية الذين خرجوا مع موسى عليه السلام من الهكسوس والمصريين وقلة من بقايا بني إسرائيل أولئك الذين بقوا في مصر من نسل يعقوب عليه السلام، حين قدم يعقوب عليه السلام وزوجاته وأسباطه عند يوسف عليه السلام في أعوام القحط[3]. والملاحظة الجديرة بالانتباه أن سفر الخروج يصمت صمتاً تاماً عن الفترة التي

1- الشويلي: المصدر السابق، ص91؛ Odijk: opcti , p. 9-10.

2- هناك رأي سائد بين المؤرخين يضع تاريخ اليهود خلال الهزيع الأخير من فترة حكم رمسيس الثاني (1290-1224) ق.م أما وليم فوكسيل أولبرايت يضع الخروج في تاريخ لا يتعدى عام 1280 ق.م أي خلال السنوات الأولى لحكم رمسيس الثاني وقد سار معظم المؤرخين على خطى اولبرايت مع تعديلات طفيفة ينظر، السواح: آرام، دمشق. إسرائيل المصدر السابق، ص74-75؛ Johnson: opcit, p. 40-41.

3- باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط1، بغداد - 1955. ج2، ص 284؛ الصليبي: خفايا التوراة المصدر السابق، ص 153 - وما بعدها.

قضاها بنو إسرائيل في مصر بين وفاة يوسف وولادة موسى عليه السلام، ولا نعلم سوى أن هؤلاء قد وقعوا تحت نير العبودية. فإقامة بني إسرائيل في مصر وفق سفر الخروج (12: 40) هي أربعمئة وثلاثين سنة، أما سفر التكوين (15: 13 و 16) فهي أربعمئة سنة فقط وفي نهاية قصة يوسف، لدينا إشارة واضحة الآن أن فترة الإقامة في مصر لم تتجاوز حياة جيل واحد فقط من أحفاد يوسف (تكوين 50: 23) والمدة الفاصلة بين موت يوسف ودخول كنعان بما فيها فترة الإقامة في مصر وفترة الخروج لم تتجاوز المئة سنة على أبعد تقدير، وأن الذين ولدوا في حياة يوسف عليه السلام هم الذين استعبدوا من قبل المصريين وهم الذين خرجوا أيضاً مع موسى عليه السلام ودخلوا مع يشوع[1].

ولم يكن عدد قوم موسى عليه السلام بأي حال من الأحوال عندما خرجوا من مصر يزيد على أربعة آلاف ولهذا عبروا فلسطين من جنوبي سيناء في مواجهة شرم الشيخ متجنبين الكثافة السكانية التي ستواجههم في شمالها عبر العريش وغزة أي الطريق بين مصر وفلسطين. لقد نزل موسى عليه السلام بقومه في جبال شرقي الأردن في مواجهة فلسطين وفشل في إقناعهم بدخولها، قائلين له: «..**إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ**..»[2]، «..**فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**»[3]. ومات موسى وهارون عليهما السلام في ظروف غامضة دون أن يتمكنا في دخولها. ودخلها يوشع بن ذنون قائد جيش موسى عليه السلام من جهة أريحا، بحيلة ساعدتهم فيها راحاب الجاسوسية الكنعانية التي تمجدها التوراة كلما ذكر اسمها[4].

لقد رفض كثير من الباحثين فكرة النبوة والوحي ولم ينظروا إلى النبي موسى عليه السلام على أنه رسول من عند الله إلى بني إسرائيل لإخراجهم من مصر، بل اعتبروه رجلاً مصرياً من أصل نبيل عاش في عهد الفرعون "أخناتون (1379-1362)

1- السواح: ارام، دمشق، اسرائيل المصدر السابق، ص65-66؛ Johnson: opcit, p. 40.

2- سورة المائدة: الاية 22.

3- سورة المائدة: الاية 24؛ طبارة: المصدر السابق، ص228-230. للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر، أبو عساف، علي: صلة موسى بالمدينيين والاسرائيليين. ضمن الندوة العلمية الاولى للآثار الفلسطينية، جامعة حلب - 1981، ص 1-7.

4- سنقراط: المصدر السابق، 1/52-53.

ق.م"[1] في النصف الأول من القرن الرابع عشر من الميلاد الذي أعلن لأول مرة في تاريخ مصر القديمة ديانة التوحيد ، وإن موسى عليه السلام قد تأثر بهذه الديانة وإن أخناتون كان معلمه وسيده[2]. إلا أن واقع الحال يدحض هذا الزعم نظراً لوجود خلاف جوهري بين الديانة التي دعا موسى عليه السلام قومه إليها وديانة أخناتون فمعروف أن أخناتون قد دعا إلى عبادة الشمس باعتبارها رمزاً لقوة الإله الواحد بينما دعا موسى عليه السلام لعبادة الله وحده مباشرة. هذا الخلاف يحاول بعض الباحثين تسويغه لدعم نظريتهم[3].

1ـ للمزيد من التفاصيل عن أخناتون وثورته الدينية ينظر شبل، فؤاد محمد: اخناتون رائد الثورة الدينية، القاهرة، بدون تاريخ، ص 91.

2ـ فرويد: المصدر السابق، ص37ـ39؛ شبل: المصدر السابق، ص 91؛ Bleman: opcit, p. 43.

3ـ فرويد: موسى والتوحيد، المصدر السابق، ص 129.

المبحث الرابع

الساميون

لقد ظل النص المكتوب في القرن الخامس قبل الميلاد، نوعاً من الكتاب المقدس والمرشد لدى المؤرخين والباحثين وعلماء الحضارات وفلاسفة التاريخ من الغربيين وعلماء الحضارات حتى لو ضلهم، وتعارضت خرافاته مع حقائق علوم الآثار واللغات والأجناس، والمتابع لكتب الرحالة الغربيين عن الأقطار العربية يلمس كيف بنيت في الذهنية الغربية صورة هذه الأقطار وهذا التصور التوراتي، والمفارقة أن هؤلاء الرحالة كانوا ينظرون إلى كل الأقطار العربية بمنظار توراتي حتى في القرن العشرين، لقد أصبحت تواريخ وجغرافيا وأجناس المنطقة وأصولها رهناً بما علمته التوراة (العهد القديم) للغرب، بينما لم يكن هذا بالنسبة لعمق المنطقة الحضاري غير قشرة على السطح[1]. من هذا المنطلق فقد تبنى أوجست لود فيج شلوتز (Augast Ludwig Schlozer) تسمية (السامية) لأول مرة عام (1781) في مقاله عن الكلدانيين (Von den Chaldaen)[2]؛ في "فهارس الأدب الشرقي والتوراتي" المجلد 8، صفحة 161، إذ جاء ما نصه: "من المتوسط إلى الفرات، ومن بلاد بين النهرين إلى شبه الجزيرة العربية تسود كما هو معروف، لغة واحدة. وعليه فالسوريون والبابليون والعبريون والعرب كانوا أمة واحدة. والفينيقيون الحاميون أيضاً يتكلمون بهذه اللغة التي أود أن أدعوها سامية"[3] وتلقف مستشرق آخر اسمه يوهان جوتفرايد ايشهورن (Johanu Gottfried Eichhorn) هذه التسمية وذكرها في

1- الأسعد: المصدر السابق، ص99-100.

2- موسكاتي، سبتيانو: الحضارات السامية القديمة (روما - 1957)، ترجمة السيد يعقوب بكر، القاهرة - بدون تاريخ، ص 238.

3- الخازن، نسيب وهيبة: من الساميين الى العرب، بيروت - 1979، ص9.

كتابه المطبوع (Repetoriam Furbibilische und Morgenlandische Literature) في جوتنجن عام 1807[1] وسعى لتعميمها بين العلماء والمؤرخين وذلك باعتبارها علماً على الشعوب الآسيوية الغربية المقيمة في الهلال الخصيب وفي شبه الجزيرة العربية[2].

ولقد التصقت هذه التسمية بالشعوب العربية ولهجاتها وحضارتها وللأسف فإن معظم من درس في الغرب من العرب عادوا وهم يحملون هذه الفكرة الخاطئة ونشروها وروجوا لها وأنشؤوا أقسام اللغات السامية والدراسات السامية والحضارة السامية. فمَن هو سام الذي نسبت إليه شعوب ولغات جزيرة العرب؟ لقد اقتبس العالمان الألمانيان شلوتز وايشهورن هذه التسمية مما ورد في سفر التكوين نسبة إلى (شم) وهو سام بن نوح حيث جاء في سفر التكوين آخر الإصحاح السادس "وولد لنوح ثلاثة بنين سام وحام ويافث".

وجاء في الإصحاح العاشر من نفس السفر "وهذه مواليد بني نوح سام وحام ويافث الكبير ولد له أيضاً بنون بعد الطوفان... سام أبو كل بني عابر، وولد لعابر ابنان أحدهما فالج لأن في أيامه قسمت الأرض واسم أخيه يقطان، ويقطان ولد له المودد وشالف وحضرموت ويارح وهدورام واوزال ودقلة وعوبال وابيمائيل وسبا واوفير وخويلة ويوباب، وكان هؤلاء بنو سام حسب قبائلهم وألسنتهم"[3]. لقد تسرب الشك في نفوس بعض الباحثين من صحة ما جاء في سفر التكوين، فالملاحظ أن سفر التكوين قد اعتمد في تقسيمه هذا على الروابط السياسية والثقافية والدينية والجغرافية أكثر من اعتماده على الظواهر اللغوية أو التاريخية"[4] ويعترض البحاثة نولدكه على هذه التسمية بجملة اعتراضات منها:

1- موسكاتي: المصدر السابق، ص239.

2- الكيلاني، لمياء؛ الألوسي، سالم: أوائل العرب من القرن التاسع وحتى السادس قبل الميلاد، لندن - 1999، ص15.

3- تكوين، 7-11، 21-31؛ بدر، محمد: المصدر السابق، ص43؛ سليمان عامر: اللغة الأكدية تاريخها، تدوينها، قواعدها، الموصل - 1991، ص63-65؛ موسكاتي: المصدر السابق، ص42.

4- الجبوري، عبد الوهاب محمد: اللاسامية في الفكر الصهيوني الجذور التاريخية والأهداف، بغداد - 1982، ص32؛ التونجي: المصدر السابق، ص 9-10.

1- إن هناك أقواماً ساميين، على ما ذكره العهد القديم، لا يتكلمون بلغة سامية كالعيلاميين والليديين. فهم ساميون بنص العهد القديم ولغاتهم ليست من اللغات السامية، فمن الثابت الأكيد أن اللغة العيلامية ليست من اللغات السامية، كما أنه ليست لها علاقة باللغة السومرية أيضاً. وعلى الرغم من عدم معرفتنا باللغة الأم التي تنتمي إليها اللغة العيلامية فالراجح أنها ترجع إلى مجموعة اللغات القوقازية هذا من الجانب اللغوي. أما إذا كان الغرض من الإشارة التوراتية موضوع البحث التلميح إلى وجود (الساميين) كقوم في بلاد عيلام فالمسألة حقيقة معروفة. فالسهل الرسوبي الممتد من وادي الرافدين إلى عيلام لا يشكل عائقاً أمام انتقال القبائل من الأراضي الواقعة شرق دجلة باتجاه عيلام. كما أن استعمال اللغة الأكدية في تدوين الوثائق القانونية والإدارية والمراسلات والعقود في بلاد عيلام خلال العصر الأكدي يشير بوضوح إلى وجود ثقل للثقافة الأكدية وبالتالي (للساميين) في بلاد عيلام[1]. يضاف إلى ذلك أن القبائل الأمورية في هجراتها إلى بلاد الرافدين قد استوطنت فضلاً عن السهل الرسوبي المنطقة الواقعة شرقي دجلة (منطقة ديالى)[2]، التي يحدها من الشرق جبال زاكروس والتي عرفت باسم يموت بعل وهو اسم القبيلة الأمورية التي استوطنت هذه المنطقة شبه الجبلية المتاخمة لبلاد عيلام مما جعلها أحياناً تقع تحت نفوذ العيلاميين السياسي[3].

1- عن هذا الموضوع بالتفصيل ينظر الطائي: ص 44-45.

2- الأعظمي. محمد طه: حمورابي (1792-1750) ق.م. بغداد - 1990. ص 76-78؛ علي. فاضل عبد الواحد: من الواح سومر إلى التوراة، ط 1. بغداد - 1989. ص51-52.

3- علي. فاضل عبد الواحد: "خلاصة عن الصراع العراقي - الفارسي في العصور القديمة". في الصراع العراقي الفارسي، بغداد - 1983. ص183.

2- ومن جانب آخر لم يعد من الساميين في هذا السفر الفينيقيون (الكنعانيون) والذين تمت لغتهم بصلة للهجة اليهود[1]، حيث جاء في الإصحاح التاسع من سفر التكوين أنه بعد الطوفان "ابتدأ نوح عليه السلام يكون فلاحاً وغرس كرماً وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فأبصر حام أبو كنعان عودة أبيه وأخبر أخويه، فأخذ سام ويافث الرداء فوضعاه على أكتافهما ومشياً للخلف وسترا عورة أبيهما ولم يبصراها، فلما أفاق نوح علم ما فعله ابنه الصغير فقال "ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لأخوته، وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم". ولنا أن نتساءل إذا كان حام وهو الابن الأوسط لا الصغير كما يرد ترتيبه قد ارتكب إثماً فلماذا قد صب لعناته على حفيده كنعان الذي لا صلة له بهذه الحادثة، بينما بارك ابنه سام؟ الجواب إن الكنعانيين وهم من القبائل العربية كانوا يسكنون بلاد الشام منذ أقدم العصور وكانت لهم حضارة متقدمة ودور مهم في التاريخ البشري[2] وقد أقام هؤلاء مدناً عامرة تحمل أسماء كنعانية مثل أريحا ومجدو وجازر وغيرها من المدن الكنعانية[3]، بينما كان اليهود رعاة أغنام ومواشي يقيمون في خيام جنوب فلسطين كما يذكر سفر الخروج ابتداءً من عهد يعقوب عليه السلام وأبنائه قبل أن يستضيفهم فرعون مصر، وانتهاءً بموسى عليه السلام عندما خرج من مصر مع اليهود ولم يكن لهم شأن في الحضارة فانعكس هذا على شكل حقد على الكنعانيين أصحاب الأرض صوره كتبة العهد القديم بهذه اللعنات التي نسبوها إلى نوح عليه السلام على حفيده كنعان الذي لم

1- نولدكه، ثيودور: اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، القاهرة -1963، ص8؛ ربحي: المصدر السابق، ص6؛ سليمان: اللغة الأكدية المصدر السابق، ص65؛ حومسكي: المصدر السابق، ص24.

2- الريس، محمد فتحي يوسف: الحقيقة في تاريخ العرب ولغتهم العريقة، القاهرة - 2000، ص63-65؛ علي، فاضل عبد الواحد: من الواح سومر المصدر السابق، ص 51.

3- للمزيد من التفاصيل ينظر: سرحان، نمر: المباني الكنعانية في فلسطين، ط1، عمان - 1989.

يرتكب إثماً بينما صبوا الدعوات بالبركة لسام الابن الأكبر لنوح الذي يزعم اليهود أنه جدهم[1].

3- إن هناك لغات سامية والناطقون بها غير ساميين ولا يجمعهم بالأمم السامية أصل قريب مثل الحيثيين إذن نسبت التوراة إلى كنعان عدة أبناء منهم حيث الذي انحدر منه بنو حث (الحيثيون) حسبما تذكر التوراة ومعروف أن الحيثيين من الأقوام الهندوأوربية التي استوطنت بلاد الأناضول وأن لغتهم من عائلة اللغات الهندوأوربية (تكوين: 10-15) ولذلك تكون نسبتهم إلى كنعان والكنعانيين مسألة ليس لها أي سند تاريخي وكذلك الحال بالنسبة إلى الأحباش فلغتهم سامية، وهم من الجانب الحامي حسب هذه التسمية[2].

فالتسمية إذاً لا تستند إلى أساس رصين من الواقع التاريخي ولا تدعمه المصادر المعتمدة والأدلة المستندة إلى التمحيص الموضوعي والدقة العلمية[3]. فهو يعكس لنا وجهة نظر اليهود السياسية والتاريخية في ذلك العهد، ولا يمكن تفسير هذا الخلط إلا أنه ناتج عن تحيز واضح من قبل كتبة العهد القديم، وتعصب بغيض ضد الكنعانيين الذين سبقوهم في استيطان الأرض التي سميت باسمهم أولاً وعدم معرفة اولئك الكتاب بتاريخ الاقوام الليدية والعيلامية ثانيا[4]. إلى جانب ذلك فقد

1- نولدكه: المصدر السابق، ص9؛ ربحي: المصدر السابق، ص7؛ سليمان: اللغة الأكدية المصدر السابق، ص66؛ محمد، قاسم محمد: المصدر السابق، ص14-15، 577.

2- الأحمد: المدخل إلى تاريخ اللغات الجزرية، بغداد - 1981، ص3-4؛ الجبوري: اللاسامية المصدر السابق، ص12-13؛ تاكسيل: المصدر السابق، ص 74-75؛ علي، فاضل عبد الواحد: من الواح سومر المصدر السابق، ص 52.

3- سليمان: اللغة الأكدية المصدر السابق، ص67-68؛ فريحة: المصدر السابق، ص157؛ الطعان: المصدر السابق، ص4-5.

4- علي، جواد: تاريخ العرب قبل الإسلام

، بغداد - 1968، ج2، ص287-288؛ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد - 1968، ج1، ص 187؛ باقر: المصدر السابق، ج1، ص63-64؛ الأحمد: اللغات الجزرية المصدر السابق، ص3 وما بعدها.

أصبحت تسمية الساميين والسامية تستخدم من بعد الحرب العالمية الثانية للدلالة على اليهود فقط واكتسبت معنى سياسياً ، وصف النازيون بأنهم ضد السامية كما وصف العرب، وهم في هذه المجموعة من الأقوام كأنهم ضد السامية أيضاً، لذا بات من الضروري عدم استخدام هذه التسمية واستخدام تسمية أخرى أكثر دقة للدلالة على هذه المجموعة من الأقوام وعلى لغاتهم وقد تنبه الباحثون العرب إلى ذلك وقدموا اقتراحات عدة منها تسمية الأقوام بالأقوام العربية القديمة أو أقوام الجزيرة العربية أو الجزريين[1] على اعتبار أن الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي لهذه الأقوام فقد كانت بمثابة الخزان البشري الذي أخذ يقذف بهذه الأقوام بعد أن حل الجفاف في الجزيرة العربية بفعل التغيرات التي حصلت في ظروف المناخ فقسم توجه إلى بلاد الشام، وادي الرافدين، وادي النيل، في فترات مختلفة وقد استقر الرأي الآن على تسميتهم بالعرب القدماء في حين سميت لغاتهم باللغات (العارية)[2] وكان علماء العرب قديماً قد نظروا إلى العرب وقسموهم إلى العرب العاربة والعرب المستعربة، وذهبوا إلى أن لغة الإنسان الأول كانت واحدة واختلفوا فيها ثم تفرقت الألسن بتفرق الناس في أصقاع الأرض المتباعدة. ولم يكن لدى علماء العرب إحاطة بكل لغات العالم لكي يقسموها إلى فصائل كما حدث في العصر الحديث[3].

1- علي، فاضل عبد الواحد: "الأكديون ودورهم في المنطقة"، كلية الاداب، ع24، بغداد، 1979، ص188. اقترح احد الباحثين اللبنانيين ان يطلق على تلك اللغات السامية اسم اللغات المشرقية أو السنة المشرق ينظر، نقاش، البيرفريد: "ألسنة المشرق او اللغات المشرقية". افاق عربية. ع10، بغداد، 1990، ص148-149.

2- هذه التسمية أقرها مؤخرا المجمع العلمي العراقي عن الموطن الأصلي للجزريين والنظريات التي قيلت ينظر، ولفنسون: المصدر السابق، ص4-6؛ ربحي: المصدر السابق، ص 8-12؛ نولدكه: المصدر السابق، ص21-26. وهناك أسباب تجعل العربي وعلى الأخص البدوي افضل ممثل للأرومة الجزرية بيولوجيا ونفسيا واجتماعيا ولغويا: تنحصر في عزلته الجغرافية في الصحراء، وعدم تبدل وسائل الحياة فيها وبقاء طرق العيش على ما كانت عليه منذ البدء. ينظر: حتي، فيليب: العرب تاريخ موجز، ط3، بيروت -1965، ص13-14.

3- جدير بالذكر أن كثير من علماء اللغة حاول ان يرجع اللغات الإنسانية بعد أن تم تفرعها إلى فصائل عامة بفعل العوامل الجغرافية والاقتصادية والسياسية، وقد اختلفت وجهات نظرهم بهذا الصدد اختلافا كبيرا. وتجمع الفصيلة اللغوية الواحدة خصائص معينة هي التي حدت بعلماء اللغة

وقد تنبه الكثير من الباحثين العرب منذ القرن الثاني الهجري إلى أن هناك تشابهاً بين ألفاظ اللهجات اليمنية والحبشية والنبطية واليهودية والسريانية وبين العربية الفصيحة، لكنهم لم يطلقوا تسمية معينة على تلك اللغات[1]، وإنما أخذوا بفكرة الأصل الإنساني الواحد وتشعبه بعد ذلك وهي الفكرة التي ذكرت في العهد القديم: "وَكَانَتِ الأرض كُلُّهَا لِسَاناً وَاحِداً وَلُغَةً وَاحِدَةً"[2]، وفي القرآن الكريم: **«كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ.. »[3]، «وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا..»[4].**

الى عدها فصيلة لغوية خاصة تختلف عن غيرها من الفصائل العالمية الأخرى، فكان تسمية هذه الفصيلة من باب اختيار المصطلح الأنسب وليس الأصوب وأطلق على هذه الفصيلة تسمية السامية. للاستزادة عن هذا الموضوع ينظر، عارف، مجيد حميد: الاثنوغرافيا والأقاليم الحضارية، بغداد، 1984، ص61-62؛ إسماعيل، خالد: "الأصول المشتركة للغات العراق القديمة" ضمن ندوة الأصل المشترك للغات العراقية القديمة، المجمع العلمي العراقي، بغداد ـ 1999، ص 92، زودن، فون: "في مشكلات تصنيف اللغات السامية"، ترجمة عرفة مصطفى، بين النهرين، ع 24، الموصل 1978، ص380-381؛ تونجي: المصدر السابق، ص9-10.

1- لقد كان لدى الكثير من المستشرقين الكبار منذ القرن السابع عشر امثال هوتنجر، وبوخارت، وكاستل، ولودولف، صورة واضحة إلى حد ما عن علاقة القرابة الموجودة بين اللغات العاربة فضلا عن علماء اليهود مثل ابن قريش، حوالي مطلع القرن العاشر الميلادي ينظر نولدكه: المصدر السابق، ص9؛ جودي، فاروق محمد: الصهيونية واللغة، القاهرة ـ 1977، ص96. عن جهود الدارسين العرب القدامى والمحدثين في مجال دراسات اللغات العاربة، ينظر، الطعان: المصدر السابق، ص8-26، 72-76؛ قبيسي: المصدر السابق، ص 31-35.

2- تكوين 11 : 1؛ جودي، فاروق محمد؛ حرب، سعيد: قواعد اللغة العبرية، القاهرة ـ 1967، ص24؛ حومسكي: المصدر السابق، ص32؛ تاكسيل: المصدر السابق، ص75.

3- سورة البقرة: الآية 213.

4- سورة يونس: الآية 19؛ إسماعيل، خالد: المصدر السابق، ص92؛ محمد، قاسم محمد: المصدر السابق، ص15-16.

المبحث الخامس

اليهود

والتسمية الأخيرة تختلف عن باقي التسميات وهي أما صفة لأقوام أو أسماء أعلام سموا بذلك أما عن سبب تسميتهم باليهود فقيل في ذلك عدة آراء:

1- قيل هم الذين هادوا، أي مالوا عن دين الإسلام.

2- وقيل إنهم سموا بذلك لأنهم يتهودون، أي يتحركون عند قراءة العهد القديم (التوراة).

3- وقيل إنهم سموا بذلك حين تابوا عن عبادة العجل وقالوا "..**إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ**.."[1] أي تبنا ورجعنا، قال صاحب لسان العرب: "الهود التوبة، هاد يهود هوداً، تاب ورجع إلى الحق فهو هائد"[2].

4- وقيل إنهم سموا يهوداً نسبة إلى يهوذا الابن الرابع ليعقوب عليه السلام[3].

وقد استخدم اسم "اليهود" "يهوديم" والمفرد يهودي يطلق على أبناء يهوذا، وكذلك لفظة "اليهودية"، "يهوديت" للدلالة على اللغة اليهودية فقد ورد في العهد القديم: "ثم وقف ربشاقي ونادى بصوت عظيم باللغة اليهودية" حيث إنه من الأمور

1- سورة الأعراف: الآية 156.

2- ابن منظور: لسان العرب، ج 15، ص439.

3- المكني، محمد حسين: "الاتصال والتواصل بين الرسالات السماوية"، الحضارة الإسلامية، ع4، الجزائر - 1998، ص 34؛ طعيمة: بنو اسرائيل في القرآن والسنة المصدر السابق ص78؛ طبارة: المصدر السابق، ص16، وينظر أيضا البرساوي، اسماعيل حقي: تفسير روح المعاني: 278/1، بغداد - بدون تاريخ؛ الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، د.ت، 125/1؛ ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ط1، بيروت، 1966، 103/1، 80/2، 210/3؛ أسود، عبد الرزاق، محمد: المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، بيروت - بدون تاريخ، ص141.

التي تستوجب الانتباه إليه بخصوص الحوار الذي تم بين القائد الموالي للآشوريين (الرابشاقي) وبين رجال حزقيا لم يرد في أي نص أو ضمن أية حولية لسنحاريب والذي حصل هو المزاوجة بين الراوية كما أوردتها الحوليات وما ورد في العهد القديم فلم تذكر اسم اللغة العبرية والنص الوارد في العهد القديم: "وقال الياقيم بن حلقيا وشبنة ويؤاخ لربشاقي كلم عبيدك بالآرامي ولا تكلمنا باليهودي في مسامع الشعب الذي على السور"[1].

والرابشاقي كما يذكر العهد القديم هو من لاخيش[2] (تل الدوير) وبذلك تتبين الصورة فلاخيش تقع قرب منطقة يهوذا أو محاذية لها وسكانها لابد أن يكونوا من الكنعانيين كما هو الحال في يهوذا فإذا صحت رواية العهد القديم وتحدث الرابشاقي بلغة غير الآرامية فستكون الكنعانية وهي لغة منطقة يهوذا، أما أن تتحول الكنعانية إلى اليهودية (العبرية) لدى الكثير من الكتاب فأمر يبتعد عن الدقة الموضوعية[3]. كما أن تسمية "اليهودي" و "اليهودية" صارت علماً على دين أورشليم وعلى الأفراد المنتمين إلى المجتمع الاورشليمي، من دون "الإسرائيلي". فكل ما هو إسرائيل أصبح ينتمي إلى الماضي، وكل ما هو يهودي ينتمي إلى حاضر ذلك المجتمع الجديد الذي يحاول مستميتاً آن يؤكد تلاحمه وتجانسه بوصفه شعبا مختاراً من قبل السماء. لقد اختار إله السماء حسب معتقدهم هذا الفئات التي تم تجميعها في منطقة أورشليم لتكون له شعباً، كما وجدت هذه الفئات وحدتها وتجانسها من خلال احساسها بالانتماء إلى ذلك الإله وإقامة العهد معه[4].

1ـ 2 ملوك 18: 26ـ28.

2ـ لاخيش تقع في الجنوب الغربي من مدينة أورشليم وتعرف حاليا باسم تل الدوير ويمثل هذا التل قلعة حصينة في العصر البرونزي المتأخر وقد ورد اسمها في رسائل تل العمارنة فهنالك إشارة الى مدينة باسمها Lakisu أو Lakisu للمزيد من التفاصيل ينظر هزايمة، محمد عبد الله محمد: الرسالة العبرية القديمة من القرن العاشر إلى الخامس من قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك ـ الاردن ـ 1996، ص10 وعن رسائل لاخيش ينظر ANET: P. 321-322.

3ـ السعد: المصدر السابق، ص207ـ208.

4ـ السواح: ارام، دمشق، اسرائيل المصدر السابق، ص289.

وقد تجاهل رحالة القرن الخامس قبل الميلاد ومن بينهم هيرودوتس ذكر اليهود وذكر دويلتهم ما عدا اورشليم، وبعض الأماكن التي لم تبعد عن القدس أكثر من عشرة أميال. ويعلق على موقف هيرودوتس هذا الدكتور فوكس جاكسون (Foakes Jackson) الأستاذ بجامعة كمبردج في كتابه (يوسف واليهود) أن تفسير هذا الأمر بسيط، لقد كانت دويلة يهوذا مقاطعة غاية في الصغر وكان سكانها من التفاهة في العدد لدرجة أن الرحالة الذين كانوا يزورون فلسطين آنذاك، كانوا لا يسمعون عن اليهود شيئاً. وكانت المنطقة تسمى بفلسطين سوريا أو سوريا الفلسطينية ولابد أن القدس كانت أيام. نحميا (445-432) ق.م المعاصر لهيرودوتس - مدينة خاملة الذكر جداً، بحيث لا تغري سكان المدن المجاورة بسكناها.

واليهود لم يكونوا قوة في البلاد إلا حوالي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، في فترة حكم المكابيين[1]، ويأتي استعمال اليهود بمعنى الطائفة الدينية على يد الرسول بولص (توفي عام 67 م تقريباً) الذي أول من اشتق لفظة "اليهودية" باليونانية (Ioudaismos) من اسم اليهود باليونانية (Ioudaioi) لدلالة على ديانتهم وذلك في رسالته الشهيرة إلى أهل غلاطية (1: 13-14) ولا توجد أية إشارة معروفة إلى اسم لهذه الديانة من قبل[2].

إن المسميات التي استخدمها الإسلام للديانات الأخرى تسميات تشريفية وتكريمية وهذا من شأنه أن يمهد لعملية التقارب بين الاديان السماوية[3]، فكل ما

1- خان، ظفر الإسلام: تاريخ فلسطين القديم، ط6، بيروت، 1992، ص97-98.

2- الصليبي، كمال: البحث عن يسوع قراءة جديدة في الأناجيل، ط1، بيروت - 1998، ص64-65
وهناك من يرى أن كلمة يهودي المستخدمة في اللغات اللاتينية (Jew) كانت حتى القرن السابع عشر تلفظ بأشكال مختلفة مأخوذة كلها عن كلمات يونانية وارامية ويهودية مشتقة هي الاخرى من كلمة جوديا (Judea) التي كانت تطلق على المنطقة الجنوبية من فلسطين ومن هذه الكلمة اشتق اسم (Juda) و (Judean) وتعني الشخص المقيم في جنوب فلسطين ومن ثم اطلقت التسمية على جميع القبائل الساكنة في الشمال والجنوب. ينظر، مني: جغرافية التوراة المصدر السابق، ص 20-21: فريج: المصدر السابق، ص 70.

3- المكني: المصدر السابق، ص34.

أثبته القرآن الكريم من الأجناس والأمم كالمؤمنين والمسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمشركين فلا يجوز تبدلها وتغيرها عما وضعت له[1] إلا أن تتغير صفة من وسم بها فيزول هذا الاسم بزوال سببه وصفته، مثال يصير اليهودي مسلماً فيزول عنه اسم اليهودي وهناك مسألتين يجدر بنا التوقف عندهما وهما:

المسألة الأولى:

القرآن الكريم يذكر بوضوح أن النبي إبراهيم عليه السلام وأبناءه وأحفاده كانوا على دين الإسلام. والإسلام بمفهوم القرآن الكريم: "الدين الإلهي الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل. وانتسب إليه أتباعهم ويتناول إطلاقه على جميع الأديان التي أمر الله تعالى رسله أن يبلغوها للناس ومثلما هو مطلق في ما يتعلق بالمكان، وفيما يتعلق بالزمان فإنه مطلق بالنسبة للجنس البشري، لا يقيده فهو يشير إلى جنس معين من البشر وهو الدين الذي قبله الله عز وجل للبشرية جمعاء قال تعالى: «**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ..**»[2]، وقوله تعالى: «**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ..**»[3] والقرآن الكريم يضيف حقيقة لا ينكرها أهل الكتاب من اليهود والنصارى وهي أنهم كانوا مسلمين قبل أن يتهودوا أو يتنصروا، قال تعالى: «**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ۝**»[4]، والقرآن الكريم يشنع على كل من يقول بأن إبراهيم عليه السلام وهو أبو الأنبياء - كان يهودياً أو نصرانياً، قال تعالى: «**مَا كَانَ إبراهيم يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن**

1- السرطاوي، فؤاد: "اليهود بين ايات الإسراء والوعد المقدس"، هدي الإسلام، ع24، عمان - 1980، ص63.

2- سورة ال عمران: الآية 19.

3- سورة ال عمران: الاية 85، وينظر أيضا سورة الزمر: الايات 11-12، سورة يونس: الاية 72، سورة البقرة: الايات 131-133، سورة يوسف: الاية 101، سورة يونس: الاية 84 والآية 90، سورة الأعراف: الاية 126، سورة النمل: الآيات 29-31، سورة النمل: الآية 44؛ سورة المائدة: الآية 111، سورة ال عمران: الاية 52.

4- القصص: 52-53.

كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»[1]. وأما ما جاء بالسنة النبوية الشريفة فقد جاء في صحيح الإمام البخاري عن ابن عباس (رضي الله تعالى عنهما) قال: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام"[2] فالنبي إبراهيم عليه السلام وأبناؤه وأحفاده كانوا على دين الإسلام، وأنهم بشروا بعبادة الله الواحد الأحد والإيمان به ونشروا ذلك وهو إله جميع الشعوب التي عاشوا بين ظهرانيها[3].

المسألة الثانية:

لا يحمل اليهود ولا النصارى اسماً معيناً لديانتهم أو لنظامهم. أي أنه لا اليهود ولا النصارى يتوافر لديهم اسماً معيناً لعقيدتهم أو مذهبهم ولا لأشكال ديانتهم وعبادتهم. ذلك لأن اليهودية والنصرانية ليستا متعلقتين بالكتاب المقدس ولم يفوضهما الله تعالى بذلك ولا خولهما مؤسسوا هاتين الديانتين. والحقيقة أن الديانة وإن كانت صحيحة لا يمكن تسميتها تسمية صحيحة باسم المؤسس الثاني، لأن الواضع الحقيقي والمؤسس للديانة الصحيحة هو الله تعالى وليس نبيه، فالاسم الصحيح للشرائع والتعاليم وأشكال العبادة وأنظمتها العملية التي أوحى الله تعالى بها إلى النبي محمد ﷺ تدعى الإسلام. وأن تسمية (المحمدية أو المحمديين) كما

1ـ سورة ال عمران: الاية 67.

2ـ جدير بالإشارة أنه كان قبل موسى عليه السلام يشير إلى الإسلام باعتراف أهل الكتاب. ففي الإصحاح 22: 21 من ذلك السفر ورد النص التالي: "تعرف به وأسلم" فإذا رجعنا إلى النص الأصلي نجده كالتالي "تعرف به وشلام" ومعناه في الترجمة الدقيقة الى اللغة العربية تعرف به وكن مسلما. الطل. محمد حماد: "أسماء الأديان". المعهد الملكي للدراسات الدينية، ع17. عمان. 2001م. ص17ـ18.

3ـ داود، عبد الأحد: محمد في الكتاب المقدس، ترجمة فهما شما، ط1، قطر ـ 1985، ص131-132. يشير العهد القديم وهو كتابهم المقدس في اكثر من موضع الى مظاهر الوثنية لديهم ففي سفر الملوك الثاني 21: 3ـ7 وأخبار الأيام الثاني 33: 3ـ7 نجد حديثا عن الحاكم منسي حاكم السامرة: "وعاد فبنى المرتفعات التي هدمها حزقيال أبوهم اقام مذابح للبعليم وعمل اشيرا وسجد لكل جند السماء وعبدها بونى مذابح في معابد يهود الذي قال عنه يهود في اورشليم يكون اسمي الى الآبد" ثم يقول "ووضع اشيرا في بيت يهود"وهنالك دليل اخر على وجود الممارسات الثانوية التي حذر منها العهد القديم في سفر التثنية: "ولا تنصب لنفسك اشيارا من شجرة ما بجانب مذبح يهود لك الذي تصنعه لك" تثنية 16: 21. وربما دل هذا على ان تمثلا للآلهة اشيرا (عشتار) كان ينحت من خشب ويوضع في معبد يهود ينظر، الشبار: المصدر السابق، ص 34.

يحلو للمستشرقين الغربيين أن يطلقوا على المسلمين في عصرنا هذه التسمية بدلاً من المسلمين في محاولة منهم لطمس اسم هذا الدين، كما أنها تسمية غير صحيحة، لأن النبي محمد ﷺ مثل إبراهيم عليه السلام وجميع الأنبياء الآخرين، كان نفسه مسلماً وليس محمدياً وإذا كانت المسيحية تنسب إلى سيدنا المسيح عليه السلام فماذا كانت ديانة المسيح هل كان مسيحياً أو جزويتياً؟ طبعاً لم يكن هذا ولا ذاك. ونفس الأمر ينطبق على اليهودية التي تنسب إلى يهوذا فماذا كانت ديانة يهوذا؟ فإنه لم يكن يهودياً[1]. فالصورة التي يجب أن تكون في أذهاننا أن الإسلام هو الدين السماوي المنزل من عند الله عز وجل، وبقي هذا الاسم في أذهان البشرية حتى انحرفت وجانبت الصواب فأطلقت اسماً من عندها كما حصل مع بني إسرائيل عندما غير الضالون منهم اسم الدين من الإسلام إلى اليهودية فأصبحت ديانتهم ديانة توصية لعرق معين دون سائر البشر، وبما أن هذه التسمية هي التي أصبحت شائعة فالقران الكريم يخاطبهم بها مع بيان اسم الدين الصحيح كما في الآيات السابقة[2].

ومن بين الأمور التي توقع بالخطأ ما يظنه البعض أن اسم اليهود مشتق من (يهوذا) الابن الرابع ليعقوب فقد نسب كاتب سفر التكوين ليعقوب قوله فيه مراعياً أنه ستكون له حظوة وسيادة على إخوته والناس: "يدك على قفا أعدائك يسجد لك بنو آبيك" ويستطرد كاتب السفر فيما ادعاه يعقوب عليه السلام في وصف يهوذا بأنه من فريسة صعد، جثا وصعد كأسد ولبوة، ثم أطنب واستطرد كاتب السفر في وصف يهوذا على لسان يعقوب قائلاً: لا يزول قضب من يهوذا ومشترع من رجليه، حتى شيلون ويكون له خضوع شعوب رابطاً بالكرمة جحشة وبالجفنة ابن آتانه، غسل بالخمر لباسه، وبدم العنب ثوبه، مسود العينين من الخمر ومبيض الأسنان من اللبن"[3].

غير أن هذا الاشتقاق أو الإطلاق لم يذكره القرآن الكريم زمن موسى عليه السلام قط وإنما ذكر على الراجح بعد مجيء عيسى عليه السلام، ولذلك كثيراً ما نراه مقترناً

1- داود: المصدر السابق، ص 98.

2- الطل: المصدر السابق، 18.

3- تكوين 49: 10؛ طعيمة: التراث الإسرائيلي المصدر السابق، ص447-448.

باسم النصارى فكيف يتسنى للبعض آن يرجعوا بهذا الاسم العلم الذي أطلقه القرآن الكريم في أكثر من اثني عشر موضعاً إلى الاشتقاق من اسم ليس له أثر أو تأثير في مجال الدعوة إلى الله تعالى؟. ولو كانت التسمية صحيحة لكان الله عز وجل قد أعلمنا وأرشدنا عن طريق قوله لهؤلاء القوم بقوله مثلاً يا بني يهوذا كما قال يا بني إسرائيل[1]. وهناك من أيد هذا الرأي وذهب إلى أن العرب أبدلوا الذال بالدال وقد استقي هذا الرأي من خلال الرؤية العلمية لآيات العهد القديم[2]. فإن كان ذلك محل نظره ذلك لأنه قد أرجع وجود اليهودية (الديانة) إلى ما قبل دعوتها بأكثر من 200 سنة. ولا ندري أية رؤية علمية تلك التي تفرض وجود مخلوق قبل خلقه بقرنين مع وجوب الملاحظة أن الرسالة السماوية منزلة وليست مخلوقة فكيف يفترض وجودها قبل نزولها ولم يكن لأحد أي جهد في تسميتهم باليهود ولم يسبق للعرب أن استبدلوا الذال بالدال كما لم يرد لهم في العهد القديم ولا غيره ولو مرة واحدة بأن اسمهم يهوذا[3].

كما أن من صور المنهج القرآني الرفيع استعمال اسمين عند التحدث عن هذه الفئة تارة يهود وتارة بني إسرائيل. وتقوم عبارة (الذين هادوا) في بعض المواضيع مقام لفظ (يهود) وقد تنبه إلى هذا الأمر مؤلفو السيرة النبوية في تبويب فهارس مؤلفاتهم حيث كانوا يقولون مثلاً (باب الحديث عن بني إسرائيل) و (باب في إخراج اليهود من جزيرة العرب)[4].

والقرآن الكريم حين يستعمل الاسمين لا يفعل كأنهما مترادفان، فيطلق اليهود والذين هادوا في معرض السخط عليهم، وتقريعهم واقترنت بمواضع الذم والتنديد بسوء أعمالهم، أو عند حكاية ما أصابهم من الذلة أو العبودية لفسادهم وسوء نيتهم، واللوم على كفرهم وعصيانهم، فإذن اقترنت لفظة (اليهود) دائماً

1- السرطاوي: المصدر السابق، ص65؛ سوسة: المفصل المصدر السابق، ص457.

2- طعيمة: التاريخ اليهودي العام، بيروت - 1972، ص24.

3- كاظم: المصدر السابق، ص25.

4- السرطاوي: المصدر السابق، ص 65.

بذكر الجوانب السيئة في خلق بني إسرائيل[1]، قال تعالى: «**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ..**»[2]. ومن المفسرين من يذهب إلى تفسير لفظة «..**الْمَغضُوبِ عَلَيهِمْ**..»[3] الواردة في سورة الفاتحة بأنها وصف لليهود[4]، وقد وردت كلمة اليهود في القرآن الكريم ثماني مرات معرفة بأل التعريف (سورة البقرة: الآيات 113، 120؛ سورة المائدة: الآيات 18، 51، 64، 82؛ سورة التوبة: الآية 30) ومرة واحدة بلفظ يهودياً (سورة آل عمران: الآية 67)، وست مرات بلفظ الجمع المنون "هوداً" (سورة البقرة: الآيات 111، 135، 140؛ سورة الأعراف: الآيات 65، 58) والقاسم المشترك الذي يجمع بين هذه الآيات جميعاً هو الكفر والعناد وعدم سلوك الطريق الصحيح[5]. إذا انتقلنا إلى الشواهد الآثارية والتاريخية لم يكن لليهود ذكر بين القبائل التي في طريق مصر، ولم يذكر لهم اسم في أثر من الآثار التاريخية قبل سنة 1220 ق.م[6]. وعندما قسم النبي سليمان مملكته إلى اثني عشر إقليماً كان يحكمها وكلاؤه الذين كان عليهم ان يمدوا الملك وأهل بيته بالمؤمنين وكان على كل وكيل أن يقوم بتقديم هذه المؤن لمدة شهر في السنة، ولا يظهر اسم يهوذا في قائمة هذه الأقاليم ولا نعلم هل كان هذا لأنها معفاة من تلك الضريبة أو لسبب آخر[7].

كما لم يرد في النصوص الآشورية في نحو القرن الثامن قبل الميلاد اسم دويلة يهوذا ولا ذكر أحد من حكامها إلا بعد مرور قرن ونصف على ورود بلاد سرايلاي وأسرة عمري. فقد ورد اسم احاز (la-u-ha-zi ^{mat}la-u-da-ai) حاكم يهوذا في النصوص الآشورية حوالي (732 ق.م) بشكل عارض وضمن لائحة الحكام الذين

1ـ السرطاوي: المصدر السابق، ص66؛ فريح: المصدر السابق، ص69.

2ـ سورة المائدة: الاية 64.

3ـ سورة الفاتحة: الاية 7.

4ـ فريح: المصدر السابق، ص69.

5ـ السرطاوي: المصدر السابق، ص64ـ65؛ محفل: المصدر السابق، ص219.

6ـ العقاد: المصدر السابق، ص64ـ65؛ الصفدي: علم الاثار المصدر السابق، ص49.

7ـ دائرة معارف كتابية، ج3، ص123، وللمزيد من التفاصيل عن شكل الحكومة لدى اليهود ينظر المصدر السابق، ص121ـ124.

أرسلوا الجزية إلى الملك تيجلاتبليزر الثالث في نينوى، وهذا أول ذكر في التاريخ لأول حاكم من يهوذا الأمر الذي يقدم بينة إضافية على أن دولة يهوذا قد نشأت بعد السامرة ولم تعاصرها إلا فترة قصيرة فقط، من هنا فإن حكام أورشليم السابقين الذين يرد ذكرهم في المرويات التوراتية عن أسمائهم وسنوات حكمهم لم يكونوا سوى أمراء محليين لمدينة أورشليم التي كانت صغيرة ومنعزلة عن الأحداث الدولية[1] كما ورد في نصوص الملك تيجلاتبليزر الثالث إشارة إلى عزريو أو عزريا من يهوذا (Azriyau matla-u-da-ai) تسبقها العلامة الدالة على المدن أو البلاد. كما يرد في رسالة يعود تاريخها إلى الملك تيجلاتبليزر الثالث إشارة إلى بلاد يهوذا حيث جاء فيها

"لقد فتشت خمسة وأربعين حصاناً

وإن مسؤول Mah من المصريين

وشعب غزا وبلاد يهوذا و Moab (matla-u-da-ai)

من أبناء آمون عندما دخلوا كلخُ

في اليوم الثاني عشر أعطوها لهم

وكانت أربعة وعشرين حصاناً من شعب غزة في أيديهم

جاء الآدوميون... وسوف يأتي مع رماة الأقواس

وكان معهم التورتانو"[2]

وفي نصوص الملك سرجون يرد ذكر حكام يهوذا أو بلاد يهوذا (matla-u-da-ai)، وفي نصوص الملك سنحاريب يرد ذكر حزقيا من يهوذا (Ha-za-ki-a-u matla-u-da-ai)، وفي نصوص الملك اسرحدون يرد ذكر منسي حاكم يهوذا (Me-na-si-I matla-u-da-ai). أما في نصوص الملك نبوخذ نصر الثاني فيرد ذكرها بصيغة (alula-

---

1- السواح: ارام، دمشق، اسرائيل المصدر السابق، ص 270؛ طومسون: المصدر السابق، ص 376؛ Dalley: opcit, p. 62.

2- Saggs, H.W., "The Nimrud Letter Relation in the West", Iraq, Vol. 17, pt. 2, 1952, p. 135.

ahu-du) واستمرت هذه التسمية بعد عودة المرحلين إليها من بابل وظل قائماً حتى العصر الروماني[1].

1- السواح: ارام، دمشق، اسرائيل المصدر السابق، ص 184.

اليهود في نصوص ملوك
المملكة الآشورية الأولى (911-746) ق.م

المبحث الأول

متغيرات الاحداث على الساحة الدولية مع مطلع الألف الأول قبل الميلاد

مدخل

بعد فترة الضعف التي مر بها الآشوريون[1] في أواخر العصر الآشوري الوسيط (1521-911) ق.م، عاش الآشوريون فترة نهوض سياسي دخلوا مع بدء حكم أدد - نيراري الثاني (911-891) ق.م في عصر جديد عرف لدى الباحثين بالعصر الآشوري الحديث، الذي دام زهاء ثلاثة قرون (911-612) ق.م ونظراً لطول الفترة الزمنية التي شغلها العصر الآشوري الحديث وكثافة أحداثه، فقد عمد الباحثون المختصون إلى تقسيمه إلى حقبتين رئيستين، تشمل مملكتين كبيرتين تستغرق كل منهما نصف الفترة تقريباً أي قرابة قرن ونصف، فالمملكة الأولى تبدأ من أواخر القرن العاشر وحتى أواسط القرن الثامن قبل الميلاد (911-746) ق.م حكم خلالها تسعة ملوك. أما المملكة الثانية فتبدأ من أواسط القرن الثامن قبل الميلاد وحتى نهاية العصر الآشوري الحديث (745-612) ق.م وحكم خلالها عشرة ملوك وقد تميز هذا العصر بتعاظم قوة الآشوريين وبازدهار حضارتهم وامتد نفوذهم حتى شملت حدود دولتهم معظم آقاليم الدول المجاورة[2].

1- الاشوريون: فرع من العرب القدماء الذين كانوا يقطنون في شبه الجزيرة العربية ثم هاجرت بعضها إلى بوادي الشام والعراق واستقر في القسم الشمالي منه ولا يعرف بالضبط متى كانت هجرة هذه الأقوام وينسب الأشوريون باسمهم لأول مرة إلى أول مراكزهم الحضارية الذي أصبح عاصمة لهم ربما يكون الاسم نسبة إلى الهم القومي ينظر، باقر: المصدر السابق، 1/471-473، ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص 35.

2- عن العوامل التي وراء قوة الأشوريون ينظر، سليمان: "منطقة الموصل المصدر السابق 1/ 82-86، وجدير هنا أن ننبه إلى أننا لم نستخدم مصطلح الشرق الأدنى، لأنه يدل على فهم أوربي استعماري ضيق للتاريخ ويفضل الفول العراق والدول المجاورة له، وايتلام: المصدر السابق، ص 85، وللمزيد

ومع ذلك تخللت العصر العصر فترات من الارتباك السياسي والانكماش العسكري كان آخرها إيذاناً بسقوط المملكة الآشورية، ومن حسن حظ الآشوريين في هذا العصر أن الدول المجاورة كانت قد أصبحت دولاً ضعيفة وغير قادرة على مناجزة الآشوريين سياسياً وعسكرياً.

وتمهيداً للحديث عن اليهود في نصوص ومنحوتات العصر الآشوري الحديث لا بد من تقديم موجز مركز جداً عن الوضع السياسي العام على المسرح الدولي القديم، فمع بدأية الألف الأول قبل الميلاد كانت هناك قوتان كبيرتان تتنازعان الحكم و السيطرة على العالم القديم هما: مصر في الغرب والمملكة الآشورية في الشرق. كانت مصر في بداية الألف الأول قبل الميلاد دولة ضعيفة قد فقدت مركزها بوصفها دولة عظمى. التي سبق وأن تمتعت بها على عهد المملكة الحديثة (1585-1085) ق.م[1] عندما خسر معظم نفوذها في المناطق الواقعة غربي آسيا ومن أسباب ذلك هو الضعف الداخلي الذي أصاب حكومة مصر العليا[2]، وتقلص نفوذها على أثر الازدهار في مدن مصر السفلى (الدلتا) وقيام دويلات مدن فيها نتيجة التغلغل والهجرات القادمة من جهات ليبيا واستيطانها في غرب الدلتا وواحة الفيوم ونتيجة لضعف السلطة المصرية فإن ذلك كان حافزاً لتشجيع الليبيين وقيامهم بتأسيس السلالتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين اللتين دام حكمهما مدة مئتين وعشرين سنة أي من سنة (950-730) ق.م ولم تلبث مصر السفلى أن

من التفاصيل عن اول من استخدم هذه التسمية اي الشرق الادنى والمفهوم المكاني الذي تضمنه ينظر، بوتيرو، جون. واخرون: الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان. الموصل، 1979. ص 25-28؛ الشمري، طالب منعم حبيب: الوضع السياسي في الشرق الأدنى القديم بين القرنين السادس عشر والحادي عشر قبل الميلاد، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد. 1996. ص 1-6.

1- للمزيد من التفاصيل عن أوضاع مصر خلال هذه الفترة ينظر، الشمري: المصدر السابق، ص200-234.

2- تنحصر اسباب الضعف في ثلاث مشاكل 1. ولاية العهد 2. تدخل النساء في الحكم 3. الصراع الجبني ينظر، الشمري: المصدر السابق، ص 220.

انقسمت إلى دويلات، أما مصر العليا وعاصمتها طيبة فإنها خضعت إلى غزوة جاءت من السودان كان من نتائجها تأسيس السلالة الخامسة والعشرين[1].



خارطة رقم (1)

سورية في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد

1ـ الكيلاني: المصدر السابق، ص 21ـ22.

أمـا بالنسـبة للأوضـاع السياسـية في بـلاد الشـام[1]، فقـد كشـفت التنقيبـات الأثرية عن تاريخ بلاد الشام في هذه المدة وبينت أنه كان هنـاك خليط مـن الشـعوب، وأن المنطقة كانت مقسمة إلى عدة دويلات مدن[2]، فسواحل البحر المتوسـط كانـت محتلـة مـن قبـل الحيثـيين[3] في حـين كانـت الأجـزاء الداخليـة مقسـمة إلى ممالـك

1- بلاد الشام: قيل في اشتقاق التسمية أنها مأخوذة من اليد الشومي وهي اليسرى وقد استعملها العرب للدلالة على الشمال، كما ان عرب الشمال كان يطلقون اسم اليمن على مناطق الجنوب وهناك من يقول من جمع شامة سميت بذلك لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض، فشبهت بالشامات، وحدود بلاد الشام بحسب ما أورده الجغرافيون العرب الأوائل هي تقريباً سوريا ولبنان وفلسطين والأردن، ينظر، الحموي، ياقوت: معجم البلدان، بيروت - 1977، 3/311-312؛ الأصطخري، أبي إسحق إبراهيم بن محمد: المسالك والممالك، ط2، ليدن - 1906، ص 43؛ ابن حوقل، أبي القاسم: صورة الأرض، بيروت - 1979، ص 154-160؛ المقدسي: احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت - بدون تاريخ، ص 154-155؛ اما في ما يخص تسمية سوريا فقد كان المؤرخ هيرودتس (484-420) ق.م أول من ذكر التسمية في مؤلفه (التاريخ: الكتاب الأول، 105) ثم شاعت التسمية فيما بعد لدى غيره من الكتاب الأغريق، قبل ان تعم في الكتابات اللاتينية اعتباراً من القرن الأول قبل الميلاد ينظر محفل، محمد: "متى لكان لسوريا والعراق حدود مميزة خاصة"، دراسات تاريخية، دمشق، ع 49-50، 1994، ص 125؛ وذكر المستشرق نولدكه آن اسم سوريا مشتق من اسم بلاد آشور ثم انتقلت الدلالة الجغرافية وتوسعت لتشمل المنطقة المتاخمة لها غرباً، عن مختلف الآراء حول اشتقاق اسم سوريا ينظر فاروق، اسماعيل: حول أصل الاسم "سوريا"، دراسات تاريخية، دمشق، ع 49-50، 1994، ص 119-123.

Tredtnes, J. A., "The Origin Of The Name Syria", JNES, Vol. 40, No. 2, 1981, p. 139-140.

لكن لا توجد في الغالب صلة في الاشتقاق بين سوريا واشور وجدير بالذكر ان هناك مقاطعة بابلية تعرف باسم سوري (su-ri) تقع إلى الغرب من الفرات الأعلى ثم عم هذا الاسم على مبدا تسمية الكل ببعض منه وهناك من يعتقد أنها تحريف اللفظة اشور - اسور وسمي اهلها سريان عندما تضرت القبائل الأرامية فتخلت عن اسمها القديم (ارم) لأنه يذكرها بوثنيتها، ينظر، فريحة: المصدر السابق، ص 99، 222-223.

2- ينظر خارطة رقم (1). وللمزيد من التفاصيل عن الأسباب التي أعاقت تكوين دولة واحدة قوية ينظر، الكيلاني: المصدر السابق، ص 22-23؛ السعد: المصدر السابق، ص 111.

Moscati, S., The Face of the Ancient Orient, London - 1979; p. 21; Oijk: opcit, p.10-11.

3- الحيثيون: شعب سكن أسيا الصغرى وامتد نفوذهم منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد وجنوبا إلى سوريا وحتى بعد سقوط المملكة الرئيسة حوالي 1200 ق.م استمرت ممالك حثية صغيرة بالازدهار في شمال سوريا في منطقة نهر الفرات وانتهت هذه الدويلات على يد الاشوريين في عهد

(دويلات) آرامية، أما الأجزاء المعروفة بلبنان فكانت مكونة من دويلات كنعانية (فينيقية)[1] وكان قد تأسس في فلسطين[2] فيها لمدة محددة ممالك أو دويلات مدن صغيرة هما في كل من السامرة[3] وأورشليم[4] وقد تمكن الآشوريون من القضاء

الملك سرجون الثاني، للمزيد من التفاصيل ينظر، جرني، أر: الحيثيون (لندن ـ 1952). ترجمة محمد عبد القادر، بغداد ـ 1963؛ الشمري، المصدر السابق، ص 235؛

Hawkins, J.D., "Assyrians and Hitties", Iraq, Vol, 36, 1974, p. 64.

1- تقع فينيقية على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وتتكون من ارض ضيقة محصورة بين مصب نهر العاصي شمالاً ونهر بيلوس (النعيمي حالياً في فلسطين) جنوباً، يحدها في الشرق جبال اللاذقية وسلسلة جبال لبنان ينظر حامدة، احمد: "الملك والأسرة المالكة في فينيقية"، دراسات تاريخية، دمشق، ع 49ـ50، 1994، ص 129.

2- فلسطين: اسم أطلقه المؤرخ اليوناني هيرودتس على أرض كنعان وقد جاءت التسمية نسبة إلى إحدى القبائل الإيجية التي هاجرت من كريت والمعروفة باسم بيليستي Pelesti أو بالستو Palastu أو برست Prest التي دخلت أرض كنعان 1300 ق.م فشغلت الساحل الجنوبي الغربي لفلسطين، أي البقعة المحصورة بين غزة إلى يافا آما قبل نزول هذه القبائل فقد كانت تعرف باسم كنعان Kanan وهو اسم جزري مشتق من فعل كنع ويعني منخفض أو انخفض فالتسمية تعني سكان المنخفض ربما جاءت هذه التسمية للتمييز جغرافياً بين الساحل المنخفض بالنسبة للمرتفعات المجاورة، كما وردت هذه التسمية في اللغة الحورية كناجي Knaggi وفي الأكدية كناخي Kinakhni وكلاهما يعني الصبغة الحمراء وقد شاعت هذه التسمية التي تعني بلاد الأرجوان مع مطلع الألف الأول قبل الميلاد ينظر، غريبة: المصدر السابق، ص 35ـ36، 40؛ سوسة: العرب واليهود المصدر السابق، ص 9ـ10؛

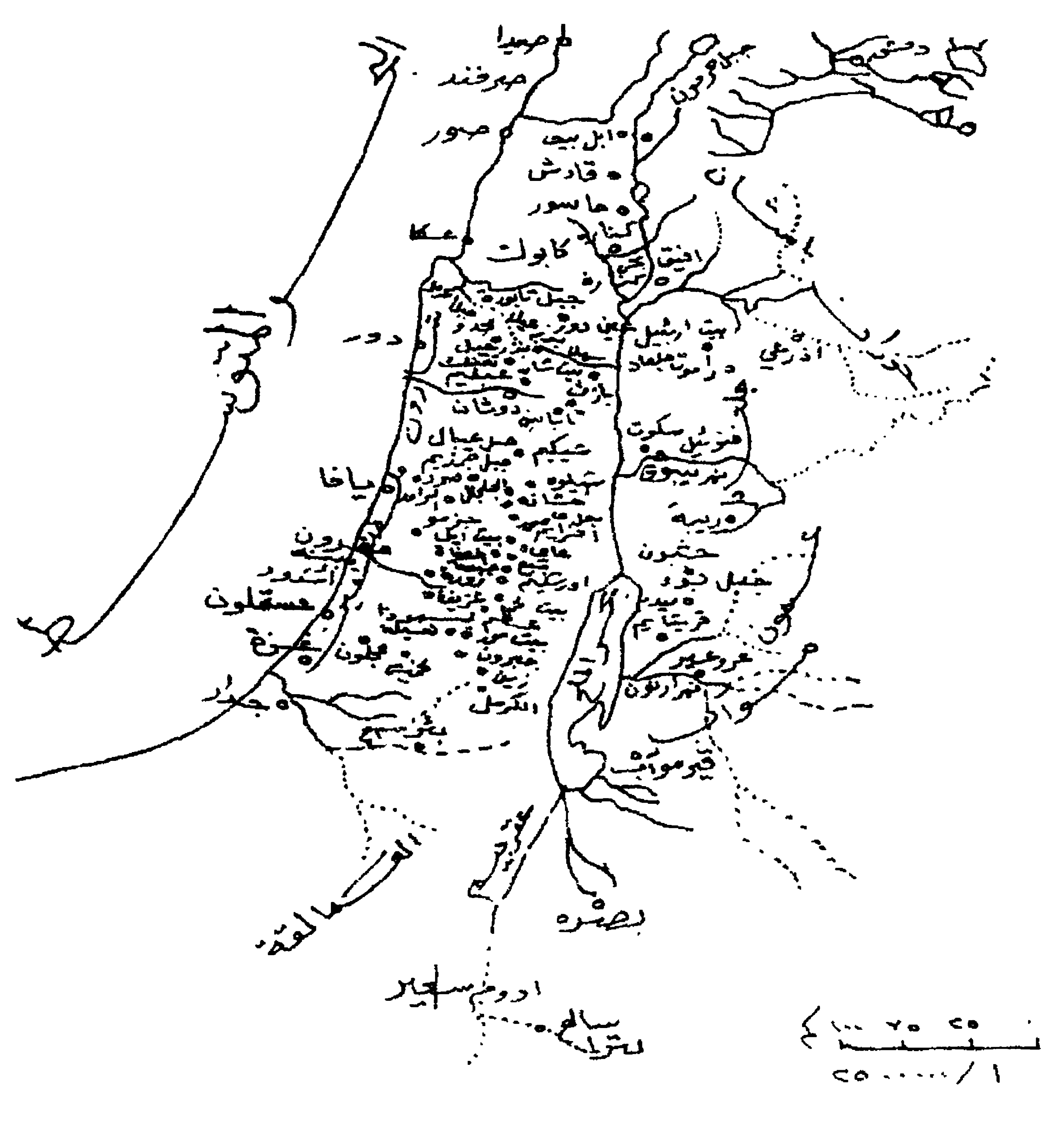
Mitchell: opcit, p.28; Moscati, S. The World of Phoenicians, translated by Hamilton, A., London-1968, p. 21.

3- السامرة: لعل اسم المدينة مشتق من مادة شمر العبرية التي تدل على معنى الحراسة فان معناها يكون الحارسة، ولا عجب فهي في موقع حصين تقع على أعلى قمة جبل الى الشمال من اورشليم بنحو أربعين ميلاً تأسست على يد عمري في نحو 875 ق.م ومات عمري قبل ان يتم بناء المدينة فأكملها ابنه اخاب، ولم تكن العاصمة الجديدة (السامرة) لا تطور للمدينة السابقة (ترصا) ينظر، 1 ملوك 16 : 24؛ تاكسيل: المصدر السابق، ص 409؛ السواح: الحدث التوراتي المصدر السابق، ص 159ـ161.

Moscati: The Face opcit, p.234-35; Kenyon, K.: Archaeology in the Holy Land, London - 1960, p. 340-341; Buccellati, G., Cities and Nation of the Ancient Syria, Rome - 1967, p. 183.

4- أورشليم: سماها الكنعانيون، سكان البلاد الأصليون "يرو ـ شالم" أو "يرو ـ شلم" و "شالم"، "شلم" اسم الاله الكنعاني معناد السلام وقد جاءت فيما بعد بهذد التسمية، اي أورشليم في التوراة وهي مشتقة من التسمية الكنعانية الأصلية. وسميت أيضا في التوراة "ساليم"، "شاليم"، "مدينة الله"،

على الأولى والسيطرة على الثانية في حين قام البابليون في عهد نبوخذ نصر (605-562) ق.م بالقضاء التام عليها[1].



خارطة رقم (2) فلسطين الكنعانية

"مدينة داود"، "مدينة الملك العظيم"، "مدينة يهوذا"، "ايئيل"، "القدس"، ورد ذكرها في الإنجيل باسم "شليم" في رسالة العبرانيين، 7: 12، وقد وردت باسم "أوروسالم" في الكتابات الكنعانية التي ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وظل اسم أورشليم شائعا منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا ومنه جاء الاسم الغربي "جيروزاليم" Jerusalem. ينظر. سوسة: العرب واليهود المصدر السابق، ص 338-399؛ الأحمد: تاريخ فلسطين القديم المصدر السابق، ص 76؛ السواح: الحدث التوراتي المصدر السابق، ص 141-142.

1- الجبوري: التوراة مصدرا المصدر السابق، ص 16.

أدت الكارثة المناخية الشاملة خلال الفترة الانتقالية من عصر البرونز الأخير إلى عصر الحديد إلى هجرات واسعة وتحركات سكانية شملت شرقي أوربا واليونان وبحر إيجة والأناضول وأقطار شرقي المتوسط، فانطلقت شعوب البحر من مواطنها في بحر ايجة إلى الأصقاع المجاورة، وحلت المجاعة في جميع أرجاء المملكة الحيثية وفي مناطق سوريا وفلسطين، ويبدو أن المملكة الحيثية قد انهارت قبل وصول شعوب البحر إليها[1]. ثم توجهت جماعة منهم نحو سوريا وفلسطين فسقطت أمامها ممالك سوريا الشمالية التي كانت مزدهرة خلال عصر البرونز الأخير (1600-1200) ق.م مدينة أوغاريت إلى كركميش، فقد أثبتت التنقيبات الأثرية أن مدينة أوغاري قد أحرقت وفر منها سكانها نتيجة لغزو شعوب البحر[2]. ثم بعد ذلك تقدمت هذه الشعوب نحو أواسط سوريا حيث أقامت لها محطة مستقرة في مملكة "آمورو" ونتيجة لذلك هجرها أهلها لعدم قدرتها الاقتصادية على إعادة البناء، وربما تحول هؤلاء السكان إلى رعاة متنقلين أو أنهم أوغلوا شرقاً بحثاً عن أماكن أكثر ملائمة لاستقرار جديد[3]. وبذلك تكون شعوب البحر قد وصلت إلى مناطق مقفرة. ومهدمة لم تشجعها على الاستقرار، لذلك فقد تابعت هذه الجماعات، التي كانت ترتحل مع نسائها وأطفالها وأدواتها المنزلية الخفيفة، مسيرتها نحو مصر حيث قضى الفرعون رعمسيس الثالث حوالي عام 1191 ق.م على كل طاقاتها وزخمها القتالي، ولم تمض بضعة عقود حتى ذابت هذه الجماعات في الأمكنة التي توقفت عندها وضاع أثرها[4].

1- الشمري: المصدر السابق. ص 243-244.

2- ابو عساف، علي: "ملوك أوغاريت من خلال الوثائق لمحة عن تاريخ أوغاريت"، دراسات تاريخية، ع1، دمشق - 1980، ص 140-141.

3- السواح: ارام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق. ص 84-85، 188؛ السواح: الحدث التوراتي المصدر السابق. ص 1854-186؛ حتي: المصدر السابق، ص 111.

Sander, N.K., The Sea Peoples Warriors of the Ancient Mediterranean 1250-1150 B.C. London-1985, p. 165-166.

4- السواح: ارام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص 85؛ السواح: الحدث التوراتي المصدر السابق، ص 186؛ ANET: P. 262-263. وعن مصادر تاريخ هذه المنطقة في هذه الحقبة ينظر:

MaLamat, A., "Sources for Early Biblical History. The Second Millennium B.C" Orientalia, Vol. 50, fasc.1, 1978, p. 111-112.

لقد غير إعصار شعوب البحر الذي داهم المنطقة العربية حوالي 1200 ق.م الخارطة البشرية والسياسية لبلاد الشام. فتدمير المدن الكنعانية في فلسطين[1] قد سهل تسرب الجماعات الهامشية التي كانت تتنقل دون هدى باحثة عن مأوى في منطقة شرقي الأردن وتدمير الممالك الكنعانية في سوريا الداخلية من كركميش إلى مشارق فلسطين، خلق فراغاً أخذت تملؤه تدريجياً القبائل الآرامية التي كانت جوالة في المنطقة منذ زمن بعيد، فاستقرت وشكلت ممالك قوية رسمت تاريخ بلاد الشام خلال الألف الأول قبل الميلاد[2]، ونحن نعرف على وجه التحديد تاريخ الهجرة المفترضة لهؤلاء الآراميين إلى مناطق الهلال الخصيب، ولا نعرف البدايات الأولى لتواجدهم فيها. ولعلهم كانوا هنا منذ أقدم الأزمنة يعيشون حياة البداوة والتنقل[3].

ومع مطلع القرن العاشر قبل الميلاد، كان الآراميون قد شكلوا دويلات مدن قوية على طول حوض الخابور وحوض الفرات الأوسط والأعلى، وفي الشمال السوري فيما بين الفرات والبحر المتوسط، وكذلك فيما بين حلب شمالاً ودمشق في الجنوب السوري. وفي مقابل الضغط الآشوري العسكري على بلاد آرم منذ مطلع القرن العاشر قبل الميلاد، كان الآراميون يمارسون ضغطاً سلمياً ومعاكساً على بلاد الرافدين وخصوصاً باتجاه بابل حيث تمكنت أفراد القبائل الآرامية أن تعبر الأراضي الواقعة بين المدن الكبيرة ويستقروا على الضفة الشرقية من نهر دجلة بينما كانت منطقة الأهوار في الجنوب قد شغلت من قبل قبائل كلدو بعد فترة من

1- ينظر خارطة رقم (2). كان اليبوسيون سكان فلسطين الأصليين وتؤكد التوراة ان الإسرائيليين لم يستطيعوا طرد اليبوسيون من أراضيهم فبقوا في مدينهم واراضيهم فسكنوا بينهم وشاركوهم في وطنهم ينظر قضاة 1: 21، يشع 15: 62؛ 2 صومانيل 24: 24-25؛ سوسة: العرب واليهود المصدر السابق، ص 293. عن الكنعانيين وحضارتهم، ينظر. كونتينيو، جورج: الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرا، القاهرة - بدون تاريخ؛ خلف، علي حسين: الحضارة الكنعانية والتوراة، ط1، بيروت - 1999، ص 29-30.

Gray, J., Legacy of Canaan, London - 1957.

2- منصور، ماجدة حسو: الصلات الاشورية الارامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد - 1995، ص 1 وما بعدها.

3- السواح: ارام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص 189؛ السواح: الحدث التوراتي المصدر السابق، ص 279.

التسرب التدريجي، وتأسيس المملكة البابلية الحديثة في أواخر القرن السابع قبل الميلاد[1].

نستطيع من تتبع أسماء الممالك الآرامية الأولى أن نستنتج أن التنظيم القبلي قد بقي سائداً بين الآراميين مدة طويلة من الوقت بعد تكوين ممالكهم المستقرة فأسماء هذه الممالك مستمرة من أسماء الأسر الحاكمة، وذلك مثل "بيت زماني" في حوض دجلة وعاصمتها "أميدي" في موقع دياربكما الحالية؛ و "بيت بحياني" في حوض الخابور وعاصمتها "جوزان أو كوزان" في موقع تل حلفا الحالية[2]، وبعدها إلى الشروق "بيت عديني أو أديني" كركميش على الفرات ونهر البليخ وعاصمتها "تل بارسيب" في موقع تل أحمر اليوم[3]، "وبيت اكوشي" في منطقة حلب وعاصمتها "ارفاد"[4].

1- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص 109؛ منصور: المصدر السابق، ص 72-73.

2- يقع تل حلف على بعد ثلاثة كيلومترات إلى الجنوب من بلدة رأس العين على منابع نهر الخابور، اكتشفت فيها دار المحفوظات الاشورية التي حوت وثائق كثيرة إدارية واقتصادية ألقت الضوء على تاريخ المدينة خلال القرون الثامن والسابع والسادس قبل الميلاد. ينظر أبو عساف، علي، "مملكة بيت بحياني الارامية"، دراسات تاريخية، دمشق، ع 6، 1981، ص 156.

3- يقع تل بارسيب: على الشاطئ الأيسر من نهر الفرات وإلى الجنوب من جرابلس شمال سوريا، وقد كشفت أعمال التنقيب فيه عن قصر آشوري يرجع تاريخه إلى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد وعثرت بعثة التنقيبات الفرنسية فيه على رسوم جدارية ملونة تمثل مشاهد ملكية اشورية وعلى انصاب منقوشة بكتابات حيثية هيروغليفية ينظر، طوير، قاسم: "الصورة التاريخية الحضارية لسوريا"، دراسات تاريخية، دمشق، ع 19، ص 127. وكان مركزا لتجمع الجيوش الاشورية في حروبها في سوريا وفلسطين. ينظر منصور: المصدر السابق، ص 59-63؛ الكيلاني: المصدر السابق، ص 110؛
Ussishkin, D., "Was Bit-Adini A New Hittite Or Aramean State", Orientalia, Vol. 40, 1971,P.437.

4- منصور: المصدر السابق، ص 37-42؛ طوير: المصدر السابق، ص 125-126 تتمثل أطلالها اليوم بتل رفعات على بعد 35 كم الى الشمال من حلب وقد عرفت هذه الدويلة باسم (ياخان) في القرن التاسع قبل الميلاد وعرفت باسم ارفاد منذ عهد الملك أدد - نيراري الثالث ينظر
Williams, S. "Preliminary Report on the Excavations at Tell Rifaat", Iraq, vol. 23 1961, p. 86-87; The same author,:"The Excavations at Tell Rifaat, 1964, Second Preliminary Report", Iraq, Vol 29, 1967, p. 16-33.

وهناك "مملكة يأدي" التي سيطرت على منطقة جبال الأمانوس وعاصمتها سمأل" في موقع بلدة "زنجرلي" الحالية[1]؛ ومملكة حماة نحو الجنوب[2] تليها مملكة دمشق[3]. وهناك بضع ممالك آرامية لا يتوفر حولها الكثير من المعلومات التاريخية والآثارية ووردت أخبارها مفصلة في العهد القديم: "آرام صوبة" إلى الشمال الغربي من دمشق، وآرام معكة على سفوح جبل الشيخ الغربية، وجيشور من جنوب جبل الشيخ إلى نهر اليرموك، وبيت رحوب في منطقة شرقي الأردن، "طوب" على المناطق الحدودية اليوم بين سوريا والأردن[4].

بدأت الممالك الآرامية بالتشكيل مع البدايات الأولى للتوسع العسكري الآشوري الذي ما انفك يوجه الضربة تلو الأخرى لممالك بلاد الشام التي كانت تواجهها إما منفردة أو من خلال أحلاف مؤقتة، وعندما انهارت المملكة الآشورية لم تتأثر كثيراً المملكة البابلية الحديثة في ملء الفراغ الناجم عن غيابها في بلاد الشام، ثم حل كورش الأخميني (640-600) ق.م وخلفاؤه محل هؤلاء[5].

أما فيما يخص اليهود في فلسطين فإننا اذا وضعنا النص التوراتي جانباً نظراً لما يكتنفه من شكوك وما يتميز به من تحيز في كتابة التاريخ، فإن الأدلة الآثارية لا تشير إلى أن القرن الثالث عشر قبل الميلاد، قد شهد تشكيل شعب جديد في فلسطين. إن الأدلة الآثارية لا تشير إلى دخول جماعة إثنية جديدة في فلسطين، كما

1- حامدة: المصدر السابق، ص 135.

2- منصور: المصدر السابق. ص 37-42.

3- منصور: المصدر السابق. ص 31-37؛ زهدي، بشير: "مملكة دمشق الارامية"، الحوليات السورية، مج8، دمشق - 1959، ص 79.

4- منصور: المصدر السابق، ص 27-28؛ ابو علي: عساف: الأراميون، سوريا - 1988. ص 1-74 من الجدير بالإشارة إلى أن هناك دراسة لغوية وجغرافية لأسماء أماكن شرق الأردن الواردة في العهد القديم في منطقتي جنوب ووسط الأردن ضمن ممالك كانت تدعى مادون ومؤاب وعمون. وتتناول هذه الدراسة فترة العصر الحديدي وقد تمت دراسة المواقع والأودية والأنهار والجبال وتعيينها بحدود ما امكن. ينظر المومني. اسماء احمد رشيد: دراسة لغوية وجغرافية لأسماء اماكن في وسط جنوب الأردن، الواردة في العهد القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 1997.

5- السواح: آرام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص 8.

أنه لا توجد مخلفات مادية تشير إلى وصول عناصر ذات طابع ثقافي متميز عن طابع الجماعة السابقة. أما القول بأن الجماعات البدوية لا تترك وراءها الكثير من المخلفات ذات الطابع الثقافي المتميز فهو قول مردود، لان تقنيات التنقيب الجديدة صارت قادرة على تتبع تحركات الجماعات البدوية القوية ورصد علاقاتها وتفاعلاتها مع محيطها[1].

يتفق المؤرخون التقليديون على أن مملكة شاؤول قامت حوالي عام 1020 ق.م وضمت القبائل الشمالية المدعوة بالإسرائيلية، ثم قامت مملكة داؤد وسليمان فيما بين (1001-931) ق.م التي شملت منطقة يهوذا الجنوبية إلى جانب منطقة السامرة فيما يدعى بالمملكة الموحدة، ثم انقسمت بعد ذلك إلى مملكتين[2]، وليس هناك من الأدلة الأثرية مما يشير إلى نفوذ أو سلطة هاتين المملكتين قد امتدت إلى خارج حدودها الضيقة، كما لم تشر النصوص المسمارية إلى اتساع نفوذ هاتين المملكتين، وإنما ورد في أسفار العهد القديم يشير إلى هاتين المملكتين[3] كانتا

1- يتفق معظم المؤرخين اليوم أن المكوث في مصر والخروج منها قد جرى لبعض العائلات وان روايتهم الخاصة قد وسعت وعممت على نطاق وطني لتفي بحاجات الإيدلوجيا الدينية، هرتزوغ: المصدر السابق، ص 17

Ahlstrom, G. W. "Where Did Israelites Live", JNES, Vol 41, No. 2, 1982, p. 133-138; Lods, A. Israel from its beginning to the Middle of the Eighth Century, Translated by Hook S.H., London - 1932, p. 53-84; Hess: Ibid, p. 49 ff; Aharoni, J., "Nothing and Nothing Late" Re-writing Israel's Conquest", B.A, Vol. 39, No. 2, 1970, p. 74.

2- ينظر خارطة رقم (3)؛ الأحمد: دراسة في معلومات العهد القديم المصدر السابق، ص 71-73؛ السواح: ارام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص 178-179؛ 2 ملوك: 14-21؛ 43-10: 1-15.
Malamat, A., "Aspects of the foreign policies of David and Solomon", JNES, Vol. 1983, p.1 ff; Buccelati: opcit, p. 148-160.

3- جدير بالذكر انه عثر في تل دان على بعد 3 اميال غربي بانياس وهو المعروف الان بتل القاضي في صيف 1993 على جزء من لوح حجري منقوش من قبل المنقب اليهودي أفراهام بيران. قرئت عليه كلمة واحدة واضحة تتألف من ستة احرف هي "ب ي ت دود" (byt dwd) وفسرت على أنها بيت داود وارخ النقش الى عام 883 ق.م وهو التعبير المستعمل في النص التوراتي للإشارة الى اسرة او سلالة داود وقد اثارت هذه القراءة نقاشاً بين المختصين وتم تنفيذها بشكل علمي من قبل فيليب. ر. ديفس الذي يرى أن الكلمة تدل على اسم مكان. وليس على اسم علم ينظر. السواح: ارام، دمشق، اسرائيل المصدر السابق، ص 133-134؛ وايتلام: المصدر السابق، ص 259-260. Thompson: opcit p. 203-204.

لهما شأن كبير وأهمية قصوى في الأحداث التي وقعت في القرون الثلاثة الأولى من الألف الأول قبل الميلاد إلى الدرجة التي يظن فيها القارئ أن هاتين المملكتين كانتا تضاهيان الممالك الكبرى الأخرى مثل مملكة آشور وبابل والمملكة المصرية وأنهما كانتا تتعاملان مع تلك الممالك الكبرى معاملة الند وأن في ذلك مبالغة واضحة إذ إن جميع الدراسات الحديثة المعتمدة على نتائج التنقيبات الآثار ية وقراءة النصوص ولا سيما المسمارية منها تؤكد أن الحكم في بلاد الشام في التاريخ القديم كانت تتوزعه العديد من المدن، ولم تكن بين تلك المدن من هي الأقوى لتبسط نفوذها على غيرها لذا لم تقم في بلاد الشام مملكة قوية توحد تلك المدن أو بعضها على غرار ما حدث في بلاد الرافدين أو وادي النيل منذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد وكانت كل مدينة في بلاد الشام تحكم المنطقة التي تحيط بها بما فيها من قرى وبلدان صغيرة قد يزداد نفوذها قليلاً أو يتقلص تبعاً للتطورات السياسية في المنطقة، وقد يلقب حكام المدن بلقب (ملك) شأنهم في ذلك شأن دول المدن التي حكمت في بلاد الرافدين في عصر فجر السلالات والقسم الأول من العصر البابلي القديم[1] وجدير بالملاحظة أن القرن العاشر قبل الميلاد قد شهد المد الآشوري، وتحولت الحملات الآشورية الاستعراضية التي امتدت منذ القرن الثاني عشر إلى حملات توسيع. فابتدأ الملوك الآشوريون أولا بفرض نفوذهم الاسمي على الممالك الآرامية عند الفرات والخابور، ثم أخذوا منذ مطلع القرن التاسع قبل الميلاد بالاقتراب تدريجياً نحو مناطق غربي الفرات، فإذا أضفنا إلى تلك النصوص الآشورية التي أعطتنا معلومات تفصيلية عن كل الدويلات المهمة التي قامت في بلاد الشام خلال القرن العاشر قبل الميلاد لا تذكر وجود مملكة يهودية في فلسطين وصلت مناطق نفوذها إلى الفرات، أما التنقيبات الآثارية، فإن التنقيبات التي تمت في مدينة أورشليم كشفت عن أسس أسوار المدينة التي تعود إلى حوالي عام 1800 ق.م[2] وهو

1- سليمان: مغالطات في تاريخ اليهود المصدر السابق.

2- للاستزادة في المعلومات عن انظمة الدفاع المستخدمة في عدد من دويلات المدن المبكرة في شمال الأردن وشمال فلسطين خلال هذه الفترة، ينظر الهودلية، صلاح حسين أحمد: "أنظمة الدفاع في دويلات المدن في شمال الأردن وفلسطين خلال العصر البرونزي القديم، رسالة ماجستير غير

تاريخ بناء أورشليم لأول مرة بوصفها مدينة مسورة وقد تبين آثارياً إصلاحات متتالية على هذا السور أبقته قائماً حتى دمار أورشليم عام 587 ق.م على يد البابليين، حيث وجدت آثار تدمير شامل في السور وفي أبنية المدينة إلا أن أعمق ما استطاعت عمليات التنقيب الوصول إليه هو أورشليم عصر نبوخذ نصر، أما المدينة الأقدم والعاصمة المفترضة للمملكة الموحدة فلم يتم العثور على بنية واحدة من بناها، بسبب استخدام حجاراتها لبناء الطبقات السكانية التي قامت فوقها. وبذلك تعطينا التنقيبات سوراً يرجع إلى عام 1800 ق.م ومدينة ترجع إلى عام 587 ق.م أما ما بينهما مفقود تماماً[1] بعد فترة حكم داود وسليمان تنتهي الفترة ما قبل التاريخية ويدخل الحدث التوراتي فيما يشبه التاريخ، فنجد أول شخصية موثقة تاريخياً هي الشخصية الحاكم عمري مؤسس سلالة حاكمة في السامرة[2].

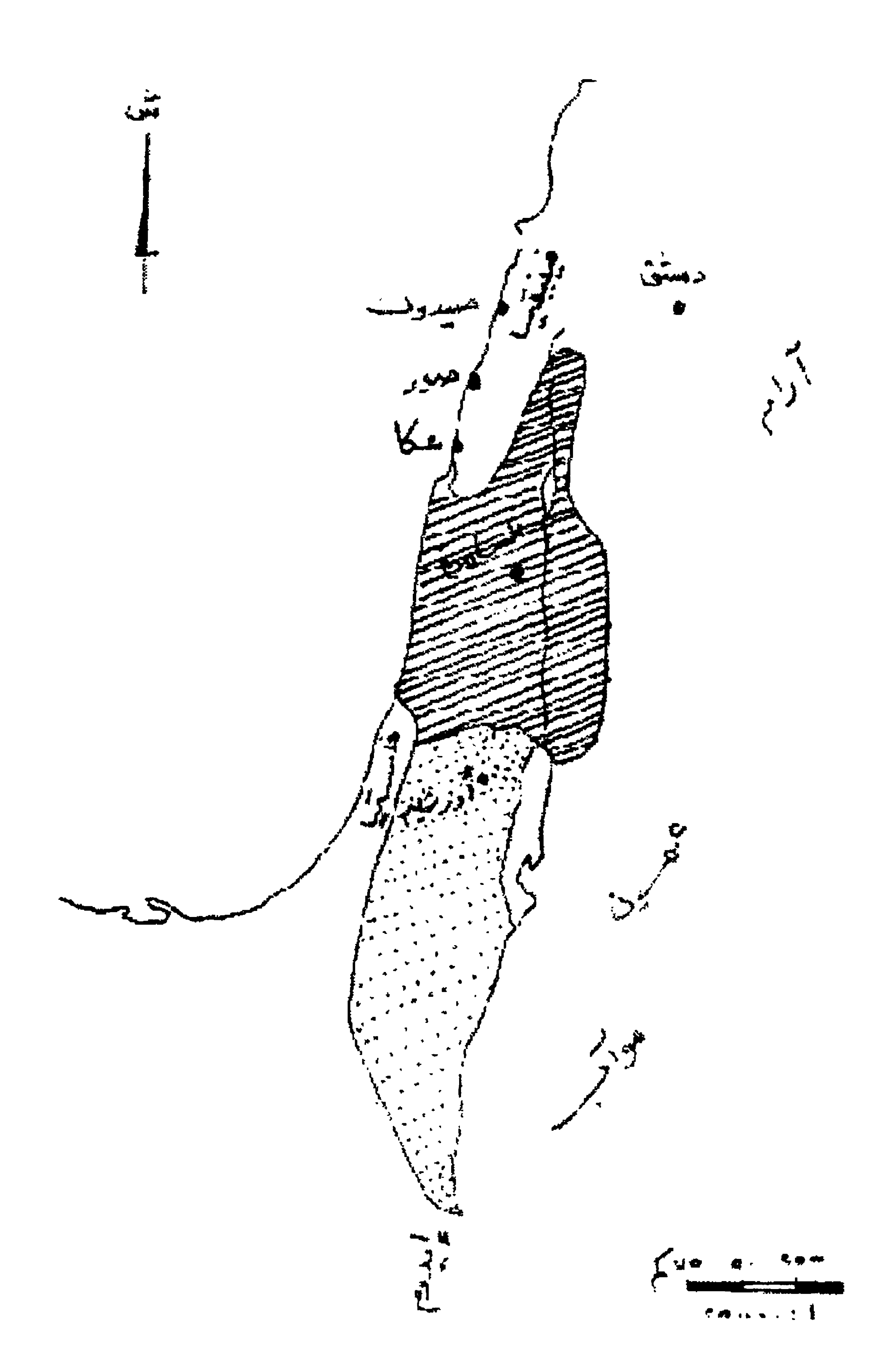
وإذا ما نظرنا إلى الجهة الغربية من الممالك الآرامية الواقعة على ساحل البحر المتوسط فإننا نجد الدويلات الفينيقية (الكنعانية) التي اعتمدت على التجارة للبحرية لغناها[3].

منشورة، كلية الاداب، جامعة اليرموك، الأردن - 1992؛ Aharony,. "The Stratification of Judahite Sites in the 8th and 7th Century B.C", BASOR, No.224, 1976, p.

1- السواح: ارام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص 149-150.

2- إن الفشل الذي حالف الباحثين المحافظين حتى الآن في ايجاد مستندات تاريخية لإسرائيل التوراتية، قد قاد الى الاستقلال التدريجي للبحث في أصول اسرائيل عن البحث التوراتي والبحث اللاهوتي وفيما عدا البقية المتعنتة من تلاميذ اولبرايت والحلقات الأكاديمية ذات الخلفية اللاهوتية، فإن الباحثين اليوم يضربون صفحاً عن كل ما سبق فترة الاستقرار في كنعان باعتباره "ما قبل التاريخ" بالنسبة لمسألة اصول إسرائيل ويركزون دراستهم على عصر الحديد الأول والفترة الانتقالية من البرونزية الأخير الى عصر الحديد. وذلك من أجل الكشف عما حدث فعلا في فلسطين وادي إلى نشوء إسرائيل والنظريات هي: أ) نظرية ألت في التسرب لسلمي ب) نظرية الانتفاضة الداخلية ج) نظرية بودقة الانصهار د) النظرية الأركيولوجية، للمزيد من التفاصيل عن هذه النظريات ينظر السواح: ارام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص 161-176.
Cohen S.J.D., "The Modern Study of Ancient Judaism" In The State of Jewish Studies ed. Chohen, S.J.D. Greenstein, Wayne State Detroit - 1999, pp. 55-73.

3- الكيلاني: المصدر السابق، ص 23، جدير بالذكر أن الممالك الكنعانية القديمة مثل مملكة قطنا وقادش وكركميش (الالاخ) وتونيب وصوبة وغيرها قد غابت لتحل محلها في سوريا الداخلية الممالك الارامية الحديثة، ولم يبق في منأى عن المد الارامي سوى دويلات مدن الساحل الكنعاني



خارطة رقم (3)

السامرة وأورشاليم

المحصورة بين جبل لبنان والبحر المتوسط من جزيرة ارفاد الى صيدا وقد حافظت منطقة فلسطين الداخلية وشرقي الأردن على ثقافتها الكنعانية القديمة دون أن يترك الحكم السياسي في السامرة القصير الأمد بصمته على أي منحى من مناحي حياتها ينظر السواح: الحدث التوراتي المصدر السابق، ص 92؛ سوسة: العرب واليهود المصدر السابق، ص 295.

وفي القرن الثامن قبل الميلاد يظهر العرب كقوة لها دورها المؤثر في أحداث المنطقة، وتصفهم الكتابات الآشورية المعاصرة بأنهم أقوام يجولون في البوادي القريبة من الأراضي الزراعية، وكان استخدامهم للجمال[1] قد سهل عليهم السفر والحركة والتنقل إلى مسافات طويلة في الصحاري القاحلة، وهذه الميزة هي التي أعطتهم أهمية خاصة في التعامل التجاري[2]. فقد كان العرب يتحكمون بالطرق التجارية الكبرى التي تصل تجارة الهند وجنوب العربية واليمن وإفريقيا بمناطق بلاد الشام الداخلية وثغورها الساحلية، كما كانوا يسيطرون على الطرق الواصلة بين بلاد الرافدين وسوريا من جهة ومصر وشمال إفريقيا من جهة أخرى، وكان النزاع على هذه الخطوط التجارية هو الدافع إلى الحملات العسكرية الآشورية المنظمة للمنطقة. ولهذا، كان من الطبيعي أن نعثر على أول ذكر للعرب في السجلات التاريخية، في أخبار القرن التاسع قبل الميلاد وعلى وجه التحديد في سجل شيلمنصر الثالث عن معركة القرقر، والتي قررت مصير السياسة الآشورية في بلاد الشام[3].

وإذا ما نظرنا إلى جهة الشرق من سوريا عبر الصحراء فإن بلاد الرافدين[4]، "كان يحكمها الآشوريون منذ مطلع الألف الأول قبل الميلاد. وقد كان الآشوريون

1- للاستزادة في المعلومات عن استخدام الجمال ينظر: الهاشمي، رضا جواد: الإبل في ضوء المخلفات الاثار ية والكتابات القديمة، كلية الاداب، ع 33 (ملحق)، بغداد - 1978، ص 185-232.

2- الكيلاني: المصدر السابق، ص 23.

3- السواح: الحدث التوارتي المصدر السابق، ص 289.

4- استخدم مصطلح Mesopotamia بلاد ما بين النهرين للدلالة على بلاد بابل واشور أو تسمية العراق في الوقت الحاضر. والتسمية يونانية الأصل وكان أول ما استخدمت في النسخة اليونانية من كتاب العهد القديم للإشارة الى "ارام نهرايم" التي كانت تتمثل على الأرجح بالإقليم الواقع بين نهر الفرات ونهر الخابور أو الباليخ، ثم شاع استعمال هذا المصطلح عند كتاب الأوربيين بعد ترجمة العهد القديم إلى اللغات الأوربية، ففي سفر التكوين جاء ذكر إقليم باسم (ارام نهرايم) أي (ارام النهرين) والتي تعني بلاد النهرين، وعند ترجمة العهد القديم استعملت الكلمة الإغريقية Mesopotamia كمقابل لمصطلح (ارام نهرايم). فالمصطلح في الحقيقة لم يكن يشمل كافة العراق بل اقتصر على الجزء الشمالي منه المعروف بالجزيرة وحتى حدود جنوب بغداد. بينما عرف الكتاب القدامى الجزء الجنوبي منها باسم بلاد بابل أو بلاد الكلدان، ومع الزمن اندمج الجزان في اصطلاح واحد يعبر عن واقع جغرافي اكثر مما يصب في تحديد واقع حضاري. ذلك أن

أول أمرهم منشغلين بتعزيز أوضاعهم وإحكام سلطتهم في الداخل، ولم يلبثوا بعدها أن تمكنوا في الاستيلاء والسيطرة على بابل وعيلام في الجنوب وعملوا على تقوية الوسائل الدفاعية وتعزيزها في الشمال لدرء الأخطار وصد الهجمات الآتية من مملكة أُرارتو التي كانت تحكم المنطقة المحيطة ببحيرة وان في الأناضول، وقد امتدت سلطة هذه المملكة ونفوذها غرباً حتى كركميش وأرفاد في حلب[1].

المراكز الحضارية الكبرى التي عرفت تفتح البراعم الأولى للتمدن البشري في العالم القديم لم تكن محصورة بين خطي مسار مياه دجلة والفرات فحسب، بل تتجاوزهما شرقا وغربا. لقد شاعت تسمية ميزوبوتاميا واتسع مدلوله بحيث أصبح يطلق على القطر كله وليس جزء منه وبخاصة في الكتب الأجنبية التي تتحدث عن تاريخ العراق القديم. الا أن التسمية غير دقيقة من الناحية الجغرافية والتاريخية وقد يثير الالتباس للقراء العرب غير المختصين كما أن فيها محاولة لعزل الماضي عن الحاضر وتجريد بلاد الرافدين من عمقها التاريخي و الحضاري. لذا فسوف نستخدم مصطلح (بلاد الرافدين) نظرا لشيوع هذه التسمية للدلالة على العراق عند الحديث عن تاريخه القديم ينظر ساكز: قوة اشور المصدر السابق ملاحظة د. عامر سليمان. ص 38، Finkelstein, J.J., "Mesopotamia", JNES, Vol 21, No. 2, 1962, p. 73ff.

1- الكيلاني: المصدر السابق، ص 23-24.

المبحث الثاني

ذكر اليهود في نصوص المملكة الآشورية الأولى

لقد واجهت السلالة الآشورية الجديدة التي أسسها آشور - رابي الثاني في بداية القرن العاشر قبل الميلاد تحسناً بطيئاً في الأوضاع وخلفه آشور - دان الثاني (933-912) ق.م، وهو ابن تجلاتبليز الثاني (966-935) ق.م الذي لا يعرف عنه شيئاً كثيراً[1] وعلى عهد ابنه أدد - نيراري الثاني (911-891) ق.م دخلت البلاد ثانية في فترة ازدهار اقتصادي وتوسع عسكري، فبعد أن ضمن الحدود الشرقية والجنوبية كان أدد - نيراري الثاني قادر على التوجه إلى الأقاليم الواقعة غربي دجلة حيث كانت معظم المنطقة لا تزال في أيدي القبائل الآرامية وأحلافها[2] وتركزت جهود خليفة توكلتي - ننورتا (890-884) ق.م على أبعاد خطر القبائل الآرامية المنتشرة على طول نهر دجلة والفرات والخابور وإحكام السيطرة عليها واضطره إلى تقديم الجزية دلالة على قبول التبعية الآشورية[3].

أما في عهد آشور ناصربال (883-859) ق.م، فقد اختط سياسية جديدة إزاء الأقاليم المجاورة فعمد إلى ضمها إلى دولته مباشرة لأجل ضمان الاستقرار وإشاعة الأمن وتوسيع المصالح التجارية الآشورية، فسجلات آشور ناصربال الثاني الغزيرة تعكس مدى نشاطاته بوصفه مؤسساً حقيقياً للمملكة الآشورية[4] وبعد أن أتم

1- ساكز : عظمة بابل المصدر السابق، ص108.

2- ساكز : عظمة بابل المصدر السابق، ص109-110، ARAB: Vol. 1, p. 306ff.

3- ساكز : عظمة بابل المصدر السابق، ص111-112؛ Smith, G., "The Foundation of the Assyrain Empire", In: CAH, Cambridge - 1960, Vol.3, p. 1-14; ARAB: Vol ,p.1 405.

4- للمزيد من التفاصيل عن الملك اشور ناصربال الثاني، ينظر ، الراوي، شيبان ثابت: اشور ناصربال الثاني (883-859) ق.م، اطروحة ماجستير غير منشورة، كلية الأداب، جامعة بغداد -1988.
Samuel, P., King of World Ashur-Nasir-Pal II of Assyria 883-859 B.C, New York - 1976.

إكمال الحزام الأمني الذي يحيط بالمملكة الآشورية، بدأ آشور ناصربال المرحلة الثانية من سياسته ولم يكن أي من الحكام الآشوريين قد سيطر على الطرق التجارية إلى البحر المتوسط منذ عهد تيجلاتبليزر الأول (115-1077) ق.م فاندفع آشور ناصربال الثاني إلى أعالي الفرات من تقاطع الخابور وبلغت حملته بيت - أديني الآرامية عند منحنى الفرات[1]. واحتاجت تهدئة المنطقة القيام بعدة حملات وتأسيس مدينتين هما "ميناء آشور ناصربال"، "مكان عبور آشور" اللتان سيطرتا على معابر الفرات وأصبحت بيت - أديني رسمياً مقاطعة آشورية في بدأية حكم خليفته وبعد ضمان أمن المؤخرة كان آشور ناصربال الثاني مستعداً للاندفاع نحو البحر المتوسط، وعبر نهر الفرات، وقد ضمن له سحقه السابق لجميع المعارضة خضوع كل ملوك شمال سوريا، الذين جاؤوا لتقديم الطاعة وهو في طريقه عبر أورنتوس إلى جبل لبنان وساحل البحر المتوسط حيث كان يستلم الجزية حتى وصل مدينة صور جنوباً[2].

يتبين لنا مما تقدم أن الحملات التي قام بها الملوك الآشوريون كان الدافع الأساسي منها هو تأمين حدود المملكة من الأخطار المحيطة بها وبخاصة، الآراميون في الجبهة الغربية فتحول الآشوريين من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم على مراكز هذه الممالك وإحكام السيطرة عليها، وفرض الجزية دلالة على قبول التبعية الآشورية لكن لم نرَ خلال تلك الفترة أي ذكر لليهود فليست لدينا نصوص مكتوبة تذكر اليهود قبل عهد شيلمنصر الثالث. ولكن مما لاشك فيه آن حملات هؤلاء الملوك الآشوريين السابقين قد أدت إلى اقتراب الاحتكاك من اليهود، وهذا ما سوف نلاحظه في عهد شيلمنصر الثالث الذي تابع سياسة والده بصورة عامة ووسع فيها وإن كانت هناك بعض التطورات الجديدة المهمة والمتمثلة بالاحتكاك

1- ينظر خارطة رقم (4). ساكز: قوة اشور المصدر السابق. ص111-112؛ ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص112؛

Lambrert, W.G, "The Reign of Assurnasirpal II And Shalmaneser III: an Interpretation", Iraq, Vol.36 , 1974, p 107; Williams: opcit , p.71.

2 -Lambrert, W.G, opcit, p.107-108; ARAB: Vol.1, p.443-480; ANET: p275-276.

باليهود فهو أول ملك آشوري يحتك باليهود ويصطدم معهم وكان له مغهم صولات وجولات عديدة.

شيلمنصر الثالث (859-824) ق.م:

يعد الملك الآشوري شيلمنصر الثالث أحد مؤسسي المملكة الآشورية الأولى، وهو ابن وخليفة لآشور ناصربال الثاني، وأول ملك آشوري يحتك باليهود وبالتحديد دويلة السامرة[1]. ومصادر معلوماتنا عن اليهود تعتمد على الإشارات التي ورد فيها ذكر اليهود في حوليات هذا الملك وبالتحديد في سنة حكمه السادسة، ولم يكتف بهذا وإنما أرخ واقعة قرقر أو قرقار[2] على المسلة السوداء ومسلة الكرخ، كما أن الدلائل تشير إلى أن المعركة مدونة في عدة منحوتات وعلى تماثيل من بينها وأهمها كتابة منقوشة على تمثال للملك عثر عليه في موقع النمرود وتمثال آخر من أطلال آشور[3] كما أن المعركة واسم الموقعة مدونة على قاعدة العرش التي عثرت عليها بعثة التنقيب البريطانية في قلعة شيلمنصر في نمرود والقاعدة معروضة في المتحف العراقي. كما دونت أحداث السنة السادسة والحادية عشرة والرابعة عشرة على

1- Budge,E.A.W, A Guide To The Babylonian and Assyrian Antiquities, London -1922, p.13; Hallo, W.W, "The Ancient Near East" In History of The World Earliest Time To The Renaissance, Hong Kong-1988, ch.3, p.29: Hallo: Mesopotamia opcit, p.1502.

وللمزيد من التفاصيل من ارتقائه العرش ينظر حازم. حسين يوسف: الملك الاشوري شيلمنصر الثالث (859-824) ق.م. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل - 2001 م. ص 11-14.

2- قرقرا وقرقار: كلمة عبرية معناها "قعر" أو قاع والقرقر في اللغة العربية من الأودية أو القيعان: الأملس الذي لا شجر فيه ولا حجارة ولا يعلم موقعها على وجه اليقين ولعلها كانت سهلا على المجرى الأسفل من نهر اليبوق في شرقي جلعاد. وإن كان البعض يرى أنها "قرقر" على نهر العاصي بالقرب من حماة وقد جاء اسمها في نقوش شيلمنصر الثالث وسرجون الثاني ويرى بعض الاثاريين أنها قرية في وادي سرحان على بعد نحو 120 ميلا الى الجنوب الشرقي من عمان ينظر دائرة معارف كتابية: القاهرة -1997، 206/4. وحاليا تقع جنوبي بلدة جسر الشغور الحالية غربي نهر العاصي ونجد صدى لاسم الموقع في تل قرقور الواقع في نفس المنطقة. ينظر، محضل: قراءة في جغرافية باطلة المصدر السابق، ص217.

3- الكيلاني: المصدر السابق، ص25.
Lassoe J., "A Statute of Shamaneser III from Nimrud", <u>Iraq</u> ,Vol. 12, pt.2, 1959,147-148.

تماثيل في بلوات[1] وبعض هذه النصوص مكرر في أكثر من مصور، وكتابات شيلمنصر الثالث تعد مصدراً تاريخياً لتاريخ بلاد الشام بشكلٍ عام وتاريخ اليهود بشكل خاص[2].

تركزت نشاطات الملك العسكري على الجبهة الغربية والشمالية الغربية، وهي أكثر الجبهات تهديداً لمصالح المملكة الآشورية الاقتصادية[3] وأخطرها على أمنها واستقرارها، فشعرت ممالك شمال بلاد الشام بالخطر الآشوري[4] فسارعت إلى تشكيل حلف مضاد ضم كلاً من ممالك كركميش وبيت أديني وحايتنا، وإزاء هذا الموقف أصبحت الطرق التجارية الآشورية ممهدة مما دفع شيلمنصر الثالث إلى توجيه حملة عسكرية استطاع أن يقضي على هذا الحلف وذلك في سنة حكمه الرابعة، فهوجمت بيت أديني وجعلها تدين بالتبعية ووضعت تحت السيطرة المباشرة[5] كانت هذه الانتصارات تهديداً لبقية الممالك السورية بما فيها المدن الساحلية والجنوبية، ونتيجة حتمية لهذا الوضع الجديد أصبحت الممالك الآرامية في

1- يقع تل بلوات بالقرب من قرية بلاوات على مسافة 24 كم جنوب شرقي الموصل وتبين من خلال النصوص المسمارية التي تم الكشف عنها في الموقع بأن اسم المدينة القديم كان امكر - بيل وتسجل هذه الشرائط الحملات العسكرية التي تمت حتى عام 849 ق.م كما تناولت هذه الصفوف الموضوعات التقليدية كمواكب المحاربين أو دافعي الجزية وحصار القلاع واحراق الموت، غير أنها حفلت بتفصيلات لم تعالجها لوحات النقش البارز ورافق المشاهد كتابات قصيرة حفرت فوق الأشكال تصف تلك الأحداث ينظر:

Budge: opcit, p.5152; Barnett, R.D., Assyrian Palace Reliefs in British Museum, London -1970, p.16-19; Oates, D., "Balawat (Imgur-Enlil): The Site and Its Building", Iraq ,Vol. 36, 1974, p. 173; Oates, D., "Balawat: Recent Excavation and a new Gate" In: Essay on Near East and Archaeology, ed. Prudence, I., Harper, O., Pittman, H., New York-1983, p.40-47.

2- مرعي، عيد: "دمشق القديمة". دراسات تاريخية، ع31-32، دمشق - 1989، ص175.

3- Greengus, S., "Economic Relation in the Lands, The Bible 1000-539 B.C", Orientalia, Vol. 50, fasc. 2, 1981, p. 213-215.

4- Lambert: opcit, p.108.

5- منصور: المصدر السابق، ص 108-109؛ ساكز: عظمة بابل المصدر السابق ص124.

ARAB: Vol.1, p.601-609; Williams: opcit, p71-72; Smith: opcit, p. 24.

وللمزيد من التفاصيل عن الأحلاف وتشكيلها والغرض من عقدها ينظر، إسماعيل، شعلان كامل: العلاقات الدولية في العصور العراقية القديمة، أطروحة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل - 1990، ص 45 وما بعدها.

وسط وجنوب سوريا وجهاً، مما دفعهم إلى تشكيل حلف لصد الخطر الآشوري، وتزعمت الحلف مملكة دمشق في عهد ملكها أدد - أودري "بنهدد في العهد القديم"[1] وضم الحلف معظم الممالك القائمة أنذاك منها مملكة حماة وأرفاد وكيليكيا وعمون وآخاب (Aha-ab-bu ^{mat}sir-ila-a) حاكم السامرة[2] وغيرهم إضافة إلى إحدى القبائل العربية التي تزعمها جنديب العربي[3] وقد تحقق المتوقع ففي عام 853 ق.م حيث عبر نهر الفرات في ذروة فيضانه وتلقى الجزية من كركميش (جرابلس الحالية) ثم تقدم نحو حلب واستولى عليها وأخذ منها الجزية ومن حلب اتجه نحو حماة ومنها واصل تقدمه إلى موقع قرقر عند ثنية نهر العاصي حيث احتشد أطراف الحلف الأكبر هناك، ووقعت معركة حامية الوطيس بينه وبين القوات المتحالفة، واعترضته قوات الحلف المكونة من اثني عشر حليفاً وكان

1- يعني اسم "برحدد" ابن الإله حدد حيث ان الكلمة "بار" الارامية تعني ابن باللغة العربية وترادفها في اللغة العبرية كلمة "بن" حيث ورد هذا الاسم في العهد القديم بشكل "بن حدد" أو "بن هدد" وظهر في المصادر الأشورية بشكل "أدد - أودري". عن هذا الموضوع ينظر، منصور: المصدر السابق، ص 36.

2- اخاب الوارد في نص المعركة هو ابن عمري الحاكم السابع في سلسلة حكام السامرة التي أسسها ياربعام عقب موت سليمان ﷺ ويبدو ان المعركة قد جرت في بداية حكم اخاب لأننا إذا جمعنا سنوات حكام السامرة كما وردت في العهد القديم لوجدناها 62 سنة فإذا طرحنا هذه الفترة من 925 ق.م وهو عام موت سليمان ﷺ لحصلنا على 853 ق.م وهو العام المقرر لمعركة القرقار، ينظر، السواح: الحدث التوراتي المصدر السابق، ص 98.

3- فهو أقدم نقش يذكر العرب كما ان العهد القديم في العديد في مقاطعه الى العرب اشعيا 23: 25؛ حزقيا 27: 21؛ خروج 9: 14، ينظر مني: جغرافية التوراة المصدر السابق، ص41؛ الهاشمي، رضا جواد: "العرب في ضوء المصادر المسمارية"، كلية الاداب، ع22، بغداد - 1988، ص 639-683؛ نفس المؤلف: "الجوانب العسكرية والعلاقات السياسية في تاريخ العرب القديم للألف الأول قبل الميلاد"، كلية الاداب، ع36، بغداد - 1989، ص 208-240؛ الوائلي، فيصل: "تاريخ العرب القديم في النصوص الاشورية 853-630 ق.م" في كتاب الذكرى والتاريخ، باشراف شاكر مصطفى، الكويت - 1978، ص 85-109؛ غالب، عارف أحمد إسماعيل: صلات العراق بشبه جزيرة العرب من سنة 1000 حتى سنة 539 ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد - 1992، ص 127-128؛ Irvine, A.K, "The Arabs and Ethiopians" In: People of the Old Testament Times, Oxfrod -1975, p290.

بين الحلفاء آخاب حاكم السامرة الذي أمد جيوش الحلفاء بعشرة آلاف مقاتل وألفي مركبة حربية، أي حوالي نصف مركبات جيش الحلفاء[1] والدليل الوحيد المباشر الذي لدينا عن المواجهة العسكرية هو سجل شيلمنصر الثالث نفسه، ويدعي أنه دحر الحلف وقضى نهائياً على المشتركين فيه ومن ضمنه آخاب وأوقع نتيجة لذلك عشرات الآلاف من القتلى والجرحى، ومما يؤكد احتمال كون انتصاره ليس بالحاسم هو عدم تعقيب شيلمنصر الثالث للجيوش المنسحبة بعد المعركة وإحجامه عن الوصول إلى المنطقة لثلاث سنوات متتالية[2] فالانتصار العسكري الذي ادعى الملك تحقيقه في هذه المعركة كان بمثابة دعاية وحرب نفسية لخلق نوع من الدعاية حول قوة الجيش الآشوري وأن هذه الدعاية كانت موجهة إلى ممالك شرق الأردن وجنوب سوريا وفلسطين[3] فالموقعة كانت متأرجحة بين الطرفين وفوق ذلك لم يتمكن الملك شيلمنصر الثالث من تحقيق أهدافه في فتح حماة أو دمشق ولا السامرة، فالتجمع المناهض للآشوريين لو كان فعلاً قد هزم، عندئذ لم يكن هناك ضرورة للجيش الآشوري ليعود إلى بلاده استعداداً للجولة الثانية[4].

1- السواح: ارام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص209؛ منصور: المصدر السابق، ص111-112؛ Hallo: The Ancient Near East opcit, p29; Hallo: Mesopotamia opcit, p150; Lods: opcit, p.381.

2- ينظر خارطة رقم (5) ابو عساف: الاراميون المصدر السابق ص55؛ منصور: المصدر السابق، ص151؛ حتي، فيليب: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد، عبد الكريم رافق، بيروت - 1958، ص 151؛

Cameron, G.G., "The Analysis of Shelmanesr III", Sumer, Vol. 29, 1950, p. 72.

3- الصمادي: المصدر السابق ص504. لم يستطع شيلمنصر الثالث البقاء في بلاد الشام بسبب الثورة التي حدثت في بابل ضد حاكمها مردوك - زاكر - شومي الأول بقيادة أخيه مردوك - بيلي اوصر الذي لقي مساعدة كبيرة من ديالى والقبائل الآرامية فاضطر شيلمنصر الثالث الى ترك الجبهة الغربية للتفرغ إلى بابل طيلة عامين، ينظر، ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص 115- 114؛ ARAB: Vol. 1, p. 203-204.

4- Hallo: Mesopotamia opcit, p.1502; Lods: opcit, p. 381.

"في عام ديان آشور في شهر أياور في اليوم الرابع عشر.. غادرت نينوى وعبرت الفرات واقتربت من مدينة جيامو على نهر الباليخ... وقد تملكهم الذعر من قوتي ومن أسلحتي القوية، فقتلت سيدهم بأسلحتهم ذاتها ثم دخلت مدن كتلالا وتل شامراخي وجئت بتماثيل آلهتي في قصورهم. وأقمت احتفالاً في قصورهم ثم حملت متعلقاتهم غنائم إلى مدينتي آشور. وانتقلت من كتلالا فجئت إلى كارشيلمنصر وعبرت الفرات مرة أخرى في فيضانه على معابر من جلد المعز وأخذت الجزية من ملوك أيناآشور وتيراسبات والتي يسميها أهل حاتي بيترو من ملوك عبر الفرات، آخذت الجزية وهم سنكار من كركميش وكُند أشبي من كمّوخ وآرام من أكوشي ولالي من مليداني وخياني من كباري وكلبارودا من حايتنا وكليباردو من كُركم. فضة وذهباً ورصاصاً ونحاساً ثم ارتحلت من ضفاف الفرات إلى حلب وخشي أهلها الحرب وأمسكوا بقدمي وأخذت جزية فضة وذهباً وقدمت القرابين أمام أدد إله حلب ثم انتقلت من هناك إلى مدينة أرخوليني في حماة واستوليت على مدن أدينو وبرجانو وأرجانا عاصمتها وأخذت منها الغنائم ومتعلقاته الشخصية وأشعلت النار في قصره ثم انتقلت إلى قرقر مدينته الملكية، هدمتها وأحلتها إلى خراثب وأشعلت النيران فيها 1200 عربة، 1200 فارس، 20000 جندياً من جنود أدد - آودري، 700 فارس و 1000 جندي من أرخوليني ملك حماة، 2000 عربة و 10000 من جنود آخاب من سيرالاي (A-ha-ab-bu matsir-la-a) و 500 جندي من قوي و 1000 جندي من مصر، 10 عربات و 1000 من جنود أرقانتا و 200 جندي من ملك أرفادا متينو بعلو و200 من جنود الأوشناتو و 30 عربة و[...(؟)] من جنود آدونا بعلو من سيانو و10000 جمل من جنديب من بلاد العرب و...(؟) من بعشابن رحوبي ومن عمون... هؤلاء الملوك الاثنا عشر[1] أخذهم لمعاونته وللقتال ووقفوا أمامي، وبالقوة التي

1- جدير بالذكر ان النص المسماري الخاص بأحداث السنة السادسة الخاص بذكر معركة القرقر ومشاركة اخاب فيه. ورد في أكثر من مصدر حيث هناك نص موجود وعلى تمثال للملك يذكر خبر معركة القرقر بمشاركة 12 حليفا دون ذكر أسماء الحلفاء ومنهم اليهود وعن هذا النص ينظر

منحني إياها الإله آشور، وبالسلاح القوي الذي أمدني به الإله نرجال، حاربت جيوشهم، وأوقعت بهم الهزيمة بين مدن "قرقر" و "جيلزو" وذبحت 14000 من جنودهم بالسيف، واجتحتهم كسيول "أدد" حيث يبعث بها ونثرت جثثهم في كل مكان وملأت السهل كله بجنودهم الفارين، وقد جعلت دماءهم تسيل خلال المعركة في "خوريالو" في تلك الناحية وكان السهل أصغر من أن يجعل كل أرواحهم تنزل إلى العالم السفلي، وأما ساحة الوغى فقد ضاقت عن أن يدفنوا بها وعبرت نهر الأورونيتس فوق جثثهم قبل أن يكون هناك معبر، وغنمت في المعركة عرياتهم وفرسانهم وخيولهم ودروعهم"[1].

بعد خمس سنوات من معركة قرقر يتوجه شيلمنصر الثالث مجدداً إلى مناطق غربي الفرات عام 849 ق.م فيسكت التمرد القائم هناك حيث يكون بانتظاره أدد - أودري ملك دمشق على رأس المتحالفين السابقين[2]، لم يرد الملك أسماء الحكام الاثني عشر المتحالفين السابقين مثل ما فعل في معركة قرقر فعلى الاغلب هي الأسماء ذاتها[3]. ويرد خبر هذه الحملة في أحد تلك النصوص المختصرة، التي تلخص أخبار الحملات الآشورية التالية حيث يقول نص حملة 849 ق.م بعد وصف سريع لمسار الحملة ما يأتي:

"عندها أدد - أودري ملك اميريشو، وارخوليني ملك حماة، والملوك الاثنا عشر وضعوا ثقتهم بقواتهم المشتركة وشنوا الحرب ضدي، فقاتلتهم وانتصرت عليهم وغنمت عرباتهم وخيول فرسانهم واسلحتهم الحربية، فهربوا من وجهي طالبين سلامة أرواحهم"[4].

Laso: opcit, p.152; Hulin, K.R., "The Inscription on the Cared Throne-Base of Shalmaneser III", Iraq, Vol. 25, 1963, p.49; The same author: "Building Inscription from Fort Shalmaneser in Nimrud", Iraq, Vol. 21, 1959, p.148.

1 _ARAB: Vol.1, No.610-611, p. 231-232; Camern: opcit, p. 6-26.

2_ السواح: ارام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق. ص211_212.

3_ منصور: المصدر السابق، ص114.

4 _ARAB: Vol.1, No. 651-652, p. 239; ANET: p. 279-280; Pitard: opcit, p.129; Cameron: opcit, p.26.

2 ملوك: 8_15.

وفي هذا النص لا يتابع شيلمنصر تقدمه نحو أية عاصمة من عواصم التحالف الأمر الذي يدل على عدم تحقيقه نصراً نهائياً، ونستدل من النصوص المختصرة لبقية المعارك اللاحقة بين الطرفين في الأعوام 848 و 846 و 845 ق.م على عدم مقدرة الآشوريين على تحقيق أي تقدم يذكر في مناطق غربي الفرات خلال حياة أدد - أودري، الذي توفي بعد الحملة الآشورية الأخيرة ورغم أن دويلة السامرة لم تذكر في النصوص الآشورية كعضو في الحلف، إلا أن مسار الأحداث يشير إلى أنها بقيت مع صفوف التحالف المعادي للآشوريين.

بعد أربع سنوات عندما وجه شيلمنصر الثالث القوة الآشورية الرئيسة ضد الغرب كان الوضع قد تغير، ففي ذلك الوقت كان قد توفي اثنان من الشخصيات البارزة في التحالف هما آخاب وأدد - أودري ملك دمشق وكان الأخير قد اغتيل استناداً إلى ما ورد في العهد القديم من قبل خادمه خزائيل والذي اغتصب العرش بعد ذلك[1]، فالتحالف المعادي للآشوريين والذي حارب شيلمنصر الثالث بشكل ناجح لمدة أربع مرات بين (853-845) ق.م قد انحل ومن غير الممكن معرفة فيما إذا كان هذا يعود إلى تغيير السلالة الحاكمة في دمشق ولكن يمكن أن يكون أحد الأسباب فعندما عاد شيلمنصر الثالث مرة أخرى عام 842 ق.م كانت دمشق فقط بين الحلفاء السابقين مستعدة للدخول في حرب معه. اما حماة التي كانت بعد دمشق من حيث الأهمية فقد عقدت سلماً مع الآشوريين وهكذا وقفت دمشق وحدها أمام شيلمنصر الثالث واستطاع شيلمنصر الثالث أن يحقق انتصاراً وأوقع خسائر كبيرة وتمكن الجيش الآشوري من دخول السهول المجاورة لدمشق، ثم عاد بعد ذلك وعسكر عند مصب نهر الكلب. فشخص إليه ملوك صور وصيد ويهو ابن عمري حاكم السامرة استناداً إلى ما جاء في النص المسماري[2]:

"في السنة الثامنة عشرة لملكي عبرت الفرات للمرة السادسة عشرة حزائيل ملك دمشق، اعتمد على العديد من قوات جيشه وألف جنوده جمعاً غفيراً وتحصن

1ـ مرعي: المصدر السابق، ص175؛ منصور: المصدر السابق، ص115.

2ـ النص المسماري المذكور انفا جزء من حولية كان قد نشرها رولنصون ثم ظهرت ترجمته في ARAB: Vol.1, No. 663, p.241; ANET: p.200.

في سانيرو جعله قلعة له حاربته وغلبته، 1600 من مقاتليه قتلوا بالسلاح وغنمت منه 121 عربة، 470 فارساً مع ذخائرهم واستوليت على معسكره لينقذ حياته ولى هارباً طاردته وفي دمشق حاصرته، حدائقه قطعت بلغت في سيري جبال حوران، مدناً له لا عدد لها تقدمت إليها وأحرقتها ودمرتها، وأخذت منها أسرى لا عدد لهم، بلغت جبل بعلراس ووضعت تمثالاً ملكياً لي، وفي تلك الأثناء وصلت إلي الجزية من صور وصيدا ومن يهو بن عمري ^{mar}Hu-u-ri-I la-u-a أو la-a-u".

يتبين لنا من هذا النص أن الحملة الآشورية لم تحقق كل من أهدافها ولكنه مع ذلك تمكن من أخذ الجزية من صور وصيدا وحاكم دمشق ومن يهو بن عمري ولم يذكر في النص اسما ملكي صور وصيدا، بينما ذكر اسم يهو الذي حضر بنفسه إلى شيلمنصر الثالث معلناً ولاءه المطلق وتقديم فروض الطاعة والولاء وهذا ما يجسده نحت بارز عثر عليه في النمرود جزء من المسلة المعروفة بالمسلة السوداء دونت عليها أخبار حملاته العسكرية منذ توليه العرش حتى السنة الحادية والثلاثين من حكمه يصل ارتفاعها إلى حوالي ستة أقدام وست إنجات تنتهي بعدة دكات تشبه الزقورة الصغيرة وقد نحت المسلة على وجوهها الأربعة بعشرين (إفريزاً) أي خمسة حقول على الوجه الواحد بالنحت البارز، فالنحت الذي يتضمنه النصف الأعلى يؤلف مجموعة واحدة والنصف الثاني في كل جهة من جهاتها الاربع يؤلف المجموعة الثانية وهكذا تتضمن الكتابات التي تتخللها أنباء الحملات التي قام بها الملك في أرجاء مملكته الواسعة بما في ذلك أعماله العمرانية[1].

تتميز هذه المسلة بأهمية خاصة بالنسبة لموضوعنا ذلك لأن الصف الثاني يظهر شخصاً يدعي يهو بن عمري وهو يقدم الجزية وفروض الطاعة والولاء للملك الآشوري[2]. أما عن تسمية يهو في النص الآشوري بابن عمري، فقد فسره المؤرخون بأحد الأمرين الأول أن دويلة السامرة كانت تدعى أحياناً بأرض أو بلاد عمري نسبة

1- الكيلاني: المصدر السابق، ص92؛ رويستين بايك: المصدر السابق، ص72؛
Mitchell: opcit, p.4; Budge: ocpit, p.46; Lassoe: opcit, p. 148.

2- هو أول شخصية يهودية ذكرهم في العهد القديم تظهر في المدونات المسمارية؛
Mitchell: opcit, p. 47; North, R., "High-Points of Mesopotamian Art", Orientalia, Vol.37, fasc.2 , 1968, p.231; Budge: opcit, p.139; Lods: opcit, p.373.

إلى المؤسس وقد وردت هذه التسمية أكثر من مرة في السجلات الآشورية من هنا يمكن أن يكون المقصود بابن عمري هنا هو رجل بلاد عمري أو صاحب بلاد عمري أو ما شابه ذلك[1]. والثاني هو أن كاتب النص الآشوري قد ألحق يهو بأسرة عمري جهلاً منه بحقيقة الأوضاع الداخلية في السامرة[2]. ولكن هناك تفسيراً أكثر إقناعا نستطيع أن نلاحظه من خلال متابعة أخبار يهو في سفر الملوك الثاني وهي:

1- أن يهو هو الحاكم الوحيد من حكام السامرة الذي عني المحرر بذكر اسم أبيه واسم جده أيضاً فقال يهو بن شافاطبن نمشي[3].

2- لم يذكر النص التوراتي اسم أب أحد من مغتصبي العرش في دويلة السامرة قبل يهو من أمثال زمري وعمري اللذين دعيا باسمهما فقط نقرأ في سفر الملوك الأول (16: 15) "في السنة السابعة والعشرين لآسا ملك يهوذا ملك زمري سبعة أيام في ترصة" وفي الإصحاح نفسه الفقرة 15 نقرأ "فملك كل إسرائيل عمري رئيس الجيش على إسرائيل في ذلك اليوم".

1- لقد أفاض الملوك الأشوريين في وصف حملاتهم على البلدان المجاورة وذكروا أسماء حكام الدول التي أخضعوها ولقبوا رؤساءها بالملوك إلا حكام السامرة لم يطلق عليهم تسمية ملوك، إنما ذكروا بصيغة بيت عمري حيث ترجمها بعض الباحثين الغربيين الى "عمري ملك إسرائيل" بتأثير ما ورد في التوراة. وهذا يدل على أن ما سماه العهد القديم بمملكة لم يكن اكثر من قبيلة لم ترتفع الى مستوى المملكة او الدولة ينظر سوسة، أحمد: ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ط1، بغداد - 1978، ص25؛ السعد: المصدر السابق، ص100-101؛ Buccellati: opcit, p.217.

2- يستبعد أن يجهل الأشوريين بحقيقة الأوضاع الداخلية في السامرة بحكم ما يتوفر لديهم من جهاز استخبارات عسكرية فعالة جدا، للتفاصيل عن هذا الموضوع، ينظر، عبد الله، يوسف خلف: المصدر السابق، ص 59-63؛ عطا: المصدر السابق، ص80-96؛ جاسم، زهير ضياء الدين سعيد: نظام الاتصالات في بلاد اشور، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل - 2000، ص 33-34؛
Caown, A.D., "Tidings and Instructions: How News Traveled in the Ancient Near East", JESHO, Vol. 17, pt. 3, 1978, p. 244-271.

3- كان يهو اول عهده ضابطا في الجيش فتزعم ثورة ضد اسرة عمري وقضي فيها على السلالة الحاكمة، واستولى على العرش عام 842 ق.م ينظر: الكيلاني: المصدر السابق، ص84؛ تاكسيل: المصدر السابق، ص409-410.
Thiele, E.R., "An Additionnal Chronological Note on Yaw son of Omri", BASOR, No.222, 1976, p.19-23; Mccarter, K., "Yaw son of Omri A Philological Note on Israelite Chronology", BASOR, No.216, 1974, p.5-7.

3- يلاحظ أحد الباحثين[1] أن يهو كان يتصرف في علاقاته مع أفراد الأسرة المالكة وكأنه واحد منهم ويورد عدداً من الأمثلة على ذلك. ثم يضيف الباحث إلى هذه الملاحظات رأيه في مسألة جهل الآشوريين بالأوضاع الداخلية للسامرة، ويفند ذلك معتمداً على عدد من الأمثلة التي تثبت أن البلاط الآشوري كان يتابع بدقة ما يجري في الممالك المعادية ويرصد أوضاعها الداخلية. وقد لاحظنا على سبيل المثال رصده لأحوال دمشق وتسجيله لوقعة موت أدد أودري وقيام حزائيل باغتصاب السلطة فيها. ثم يخلص إلى القول بأن كاتب النص الآشوري كان يعرف بأن يهو كان واحداً من أبناء عمري، ولكنه ليس من سلالة آخاب بن عمري بل من أخ غير شقيق له اسمه نمش. من هنا فإن النص الآشوري قد دعا يهو باسمه الحقيقي عندما لقبه بابن عمري، ويرسم الباحث المخطط الآتي لشجرة نسب يهو.

وهناك ملاحظة أخرى في رواية سفر الملوك الثاني عن اغتصاب يهو للعرش وإبادته لذرية آخاب، تدعم هذا التفسير، وهي أن النص كان يكرر على الدوام أن يهو قد أباد أسرة آخاب من دون التطرق إلى أسرة عمري دلالة على أن المغتصب قد قضى على فرع من آخاب من أسرة عمري أو على أسرة عمري كلها[2].

تظهر المسلة يهو بن عمري بحجم ضئيل راكعا بتواضع يقبل الأرض وواضعاً رأسه تحت قدم الملك الآشوري ومن ورائه وفد يقدمون الجزية للملك الآشوري وهي محمولة على أكتاف اليهود أو أكفهم وكان من بين هذه الهدايا هدية من الذهب والفضة، والقصدير وأوانٍ مختلفة وأثاث ملكية. في حين يشاهد الملك منتصبا تحت

1- وهو الباحث Tammi Schneider في مجلة علم الآثار التوراتي 1995. ينظر، السواح: ارام، دمشق، اسرائيل المصدر السابق، ص 226.

2- السواح: ارام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص 226-227؛ Buccellat: opcit, p.181-182; Johnson: opcit, p. 64-56.

مظلة لوقايته من حر الشمس يحمل بيده كأس شراب للدلالة على انتصاره، وباليد الأخرى يمسك قوساً ورمحاً، وهو محاط بعدد من أفراد الحاشية الملكية[1].

وقد جاء في الكتابات المنقوشة على هذه المسلة:

"الجزية من يهو بن عمري Id-u-a marHu-um-ri-i، فضة وذهب وطاسة ذهبية ومزهرية ذهبية، ودلاء ذهبية وأقداح من ذهب، وقصدير، أثاث ملكي [و] رماح للصيد استلمت منه"[2].

والملاحظ أن سفر الملوك الثاني: (9–10) لا يشير إلى هذه الواقعة[3]. لكن جاء ذكرها في النصوص الآشورية بعد تغلب الملك شيلمنصر الثالث على حزائيل حاكم دمشق عام 842 ق.م وعلى أثرها أرسل يهو بن عمري الهدايا المشار اليها آنفاً.

كما خلّد هذا النصر على مسلة أخرى عرفت بمسلة الكرخ، حيث اكتشفت هذه المسلة المهمة عند موقع نهر الكرخ (Kurkh) بالقرب من مدينة ديار بكر في تركيا في عام 1861 أي قبل أكثر من مئة عام، وهي اليوم معروضة في المتحف البريطاني بلندن[4]. وقد نحتت هذه المسلة من الحجر بصورة الملك الآشوري وهو يقف يتطلع إلى رموز الآلهة الآشورية[5]. وقد نقش على ظهر المسلة كتابة مسمارية تتكون من 102 سطراً تتضمن الأحداث الرئيسية منذ توليه الحكم حتى السنة السادسة 853 ق.م ويصف حملته على جهة الغرب وهو يواجه تحالف المدن التي تضمنت حلب، حماة، آرم، السامرة، وآمون عند القرقر على ثنية نهر الأورنتس

1- ينظر شكل رقم (1). الكيلاني: المصدر السابق، ص 92؛ رويستنك بايك: المصدر السابق، ص 73؛ AAF: p. 90-91; Mitchell: opcit, p.47; Reade, J.E. "Two Slabs from Sennacerib's palace", Iraq, vol. 29, pt 2, 1967, p. 44; Porads, E., "Remarks about Some Assyrian Beliefs", AS, vol. 35, 1983, p. 15-18.

2- نشرت الكتابة المنقوشة على المسلة السوداء من قبل لايارد ووجدت لها ترجمة في المصادر. ARAB: Vol. 1, No.590, p. 211; ANET: p. 281; Mitcehll: opcit, p. 47; Bodge: opcit, p, 46.

3- ربما السبب في ذلك حفاظاً على سمعة هذا الحاكم الذي تبجله أسفار العهد القديم لأنه أعاد عبادة يهو إلى السامرة وازال المعابد الكنعانية منها فان هناك اشارات واضحة الى الجزية التي كانت تقدم الى المملكة الأشورية في ذلك الوقت، ويمكن بهذا الخصوص مراجعة سفر هوشع 5: 17 و 12: 1. ينظر: السواح: الحدث التوراتي المصدر السابق، ص 102.

4- الكيلاني: المصدر السابق، ص 21؛ Mithcell: opcit, p. 44.

5- الكيلاني: المصدر السابق، ص 90؛ Mitchell: opcit, p. 44.

حيث هزمهم في المعركة، حيث نقرأ في نهاية السطر 91 وبداية 92 أو اذا قلبنا فيكون السطر 12 و 11 من الأسفل حسب الترتيب المذكور.

ترجمة نص المسلة[1]:

"في اليوم الرابع عشر من شهر أيار، غادرت نينوى وعبرت دجلة متجهاً نحو مدن الملك خيامو على ضفاف نهر الباليخ، فهربوا من بأسي وجبروت قوتي... ثم سرت وعبرت الفرات في موسم الفيضان، وتسلمت الجزية من ملوك (حاتي) واتجهت نحو مدينة حلب. ولكن سكانها استولى عليهم الرعب وخافوا من مواجهتي عن قرب... ثم لاحقت العدو إلى (قرقر) وحطمتها وأحرقتها. وكان مع (ارخوليني) ملك (حما) وحلفائه 1200 عربة و 1200 فارس، 20000 جندي من (حداد - ادري) ملك دمشق، 700 عربة، 700 فارس، 10000 جندي من ارخوليني ملك حماة و 20000 عربة و 10000 جندي من (آخاب) ملك سيرالاي (A-ha-ab-bu ^{mat}sir-i'-la-aa) 5000 جندي من قو، 1000 جندي من مصر و 10 عربات و 10000 جندي من ارقناته، 200 جندي من ملك (اسنات)، 30 عربة و 10000 جندي من أدن بعل ملك شيان، 1000 جمل وجنوده من (جنديب) ملك العرب. وجنود من (باسن بن رحبي) ملك آمون، ومجموعهم اثنا عشر ملكاً كانوا جمعوا قواتهم وتوجهوا لمحاربتي. وقد قاتلتهم وكانت خسارتهم 25 ألف جندي واستوليت على عرباتهم وفرسانهم ومعداتهم الحربية. ولقد هربوا بأرواحهم وكانت المعركة قائمة بين مدينتي (قرقر) و(كلزاوا) وكانت جثث قتلاهم متناثرة لمسافات بعيدة وفي كل مكان وجنودهم الهاربون ينتشرون في الوديان المجاورة"[2].

وفي السنوات الثمانية التالية كان شيلمنصر الثالث منشغلاً بتثبيت موقفه في الغرب فوسع سلطانه باتجاه الشمال الغربي ليشمل تابال وقوي وكيليكيا وجعلهم من التابعين. وفي وسط سوريا ألحق المزيد من الهزائم والخسائر بحزائيل. وهكذا

1- Mitchell: opcit, p. 44-45; Budge: opcit, p. 47.

2- ARAB: Vol.1, No., p.610- 611.

أصبحت المملكة الآشورية مسيطرة تماماً على مدن سوريا وفلسطين وعلى جميع الطرق التجارية إلى آسيا الصغرى[1].

بلغت مدة حكم شيلمنصر الثالث وأبيه آشور ناصربال الثاني ستين سنة، بسياسة مستمرة واحدة، قاد خلال الخمس وثلاثين سنة من حكمه اثنتين وثلاثين حملة عسكرية، لكن شهدت السنوات الأخيرة من حكمه الطويل تمرد واسع في البلاد[2]. كان زعيم التمرد آشور - دانن - ايلي ابن شيلمنصر الثالث وقد ضمن فيه تاييداً واسعاً، بما في ذلك تأييد المدن القديمة المهمة كمدينة نينوى وآشور وأربيل وربما كان هناك علاقة مباشرة بين تجديد شيلمنصر الثالث الملكية في سنته الحادية والثلاثين وبين العصيان[3].

يتبين لنا مما تقدم أن أول إشارة لليهود في نصوص العهد الآشوري الحديث ترد في نصوص الملك شيلمنصر الثالث فهو أول ملك آشوري يحتك بهم والملاحظة المهمة جداً هي ذكر آخاب من سيرالاي وليس الإسرائيلي كما ترجمها الباحثون الغربيون، والصيغة التي اتخذت لمواجهة الآشوريين لم تكن تجرؤ أي من المدن في بلاد الشام على مواجهة الآشوريين على انفراد فاتخذت صيغة المواجهة صيغة التحالف لهذا نلاحظ تكرار الحملات الآشورية ما دامت الأحلاف المناهضة للآشوريين مستمرة ومن بين المتحالفين كان اليهود ثم يرد لنا ذكر يهو بن عمري مقرونا بذكر إضافة من المترجم الغربي ذو الخلفية التوراتية "الإسرائيلي" في حين الذي جاء في النص يهو بن عمري وليس الإسرائيلي وجاء ذلك مجسداً على المسلة السوداء وهو يقدم فروض الطاعة والولاء للملك شيلمنصر الثالث.

1- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص 115.

2- فالتمردات التي اعقبت شيلمنصر الثالث وسنحاريب على سبيل المثال انما نجمت أساسا عن إعطاء قسم من النبلاء تأييدهم لمرشح أخر غير ولي العهد المختار. ينظر. رو: المصدر السابق، ص 460.

3- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص 116-117؛ ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص 116.

المبحث الثالث

فترة الركود السياسي الأول

قبيل نهاية حكم شيلمنصر الثالث كان هناك تمرد واسع في الأقاليم الآشورية مما أدى إلى فقدان كثير من هذه الأقاليم، وتزعم هذا التمرد اثنان من أبناء شيلمنصر الثالث، فأوكل مهمة سحق المتمردين إلى ابنه الأصغر شمشي - أدد (824-811) ق.م فعمت الاضطرابات لمدة أربعة أعوام، استطاع شمشي - أدد من إخماد التمرد الذي قاده آشور - دانن ايلي، وأخيراً تمكن من تثبيت موقفه بمساعدة ملك بابل الذي اضطر أن يعترف بسيادته بموجب معاهدة رسمية[1]. وأعاد سيطرته على المدن السبع والعشرين من المدن الثائرة، وقد ضمت هذه المدن مع عدد من الأقاليم، بعضاً من المدن الرئيسة مثل نينوى، أربيل، وآشور، والرابخا (كركوك) وكان الاستثناء الظاهر من قائمة المدن (كلخ) ومن الواضح أن كلخ ظلت تحت سيطرة شيلمنصر الثالث وشمشي - أدد[2].

توفي في هذه الأثناء شيلمنصر الثالث فتسلم ابنه شمشي - أدد الخامس الحكم عام 824 ق.م ومع عهده تبدأ فترة الركود السياسي للآشوريين دامت حوالي قرن من الزمان[3]. لقد أمضى شمشي - أدد بقية حكمه في توكيد سلطته على البابليين وحكام الأقاليم الجبلية في الشمال والشرق الذين كانوا قد انتهزوا فرصة انشغال الآشوريين في حربهم الأهلية ليعلنوا أبطال الحماية الآشورية وإيقاف دفع الجزية. ونجم عن غياب الاستقرار السياسي وتأثيره الكبير على الهيكل الداخلي للدولة ضعف وقتي ألمَّ بالبلاد خلال النصف الأول من القرن الثامن قبل الميلاد،

1- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص 117؛ باقر: المصدر السابق، 504/1.
Hallo: Mesopotamia opcit, p.1502.

2- ساكز: قوة آشور المصدر السابق، ص 354؛ باقر: المصدر السابق، 504/1-505.

3- رو: المصدر السابق، ص 400.

وكان لصغر سن ورخاوة بعض خلفاء شمشي - أدد الخامس دور في تزايد أهمية مملكة أُرارتو وتوسعها حتى أعالي الفرات[1]. وكانت هذه المنطقة ذات أهمية كبيرة بالنسبة للآشوريين، إذ إن النهر يؤلف الطريق الطبيعي الوحيد إلى الأناضول من سوريا وبلاد الرافدين، وعندما تجاوزت أرارتو على تابع آشوري مهم وهي الدولة التي كانت قاعدتها ميليد (ملاطيا)، فإن هذا الأمر قد أثار تابعين آخرين في ظل الحكم الآشوري في كل من شمال وجنوب سوريا، وقد انعكس ذلك في امتناع على نطاق واسع لدفع الجزية في عهد شمشي - أدد الخامس[2].

فيما يخص اليهود فليس لدينا أية معلومات عنهم خلال هذه الفترة، لأن النصوص المسمارية بقيت صامتة تماماً عما يجري في مناطق غربي الفرات وذلك حتى عام 810 ق.م[3] ولم ترد نصوص وافية عن تحركات شمشي - أدد في سوريا وفلسطين[4]. وأخبارنا عن هذه الفترة مصدرها الوحيد سفر الملوك الثاني، فقد أطلق الوضع الجديد هذا يد حزائيل، حاكم دمشق في مناطق نفوذه التقليدية، وبدأ بإعادة ترتيب شؤون دولته استعداداً لأية مواجهة مقبلة مع الآشوريين، فتفرغ أولاً لعقاب يهو حاكم السامرة بسبب مواقفه السابقة مع الآشوريين وخيانته لدمشق، وبعد أن ضمن خضوع السامرة له، قام ببسط نفوذه على كامل المدن الفلسطينية ووصلت قواته حتى مدينة جت على الساحل الفلسطيني[5].

- أدد - نيراري الثالث (811-783) ق.م:

أعقب أدد - نيراري الثالث والده شمشي - أدد الخامس فلم يكترث كثيراً للصراعات الداخلية التي ميزت فترة حكم شيلمنصر الثالث بسبب صغر سنه، فقد

1- رو: المصدر السابق، ص 404؛ باقر: المصدر السابق، 505/1. Lambert: opcit, p. 108.

2- ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص 120-121. Lambert: opcit, p. 108-109.

3- السواح: آرام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص 228.

4- باقر: المصدر السابق، 507/1. للمزيد من التفاصيل عن مدونات شمشي أدد الخامس، ينظر: ARAB: Vol. 1, No. 713-716, p. 255; Williams: opcit, p. 72.

5- ملوك: 10: 32-33؛ 12: 17-18: 13: 7؛ السواح: آرام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص 228؛ منصور: المصدر السابق، ص 117.

كشف لنا أحد النصوص أن أدد - نيراري الثالث لم يعتل العرش حتى السنة الخامسة من حكمه، مما يؤيد الافتراض أن والدته شمو - رامات أو كما سماها اليونان سمير اميس[1] كانت وصية عليه بعد وفاة شمشي - أدد وإن لم يكن هناك ادلة قاطعة سواء أكانت وصية عليه أم لا فإن شهرتها الاستثنائية تؤيدها نصب من الحجر من بين المكتشفات في العاصمة الآشورية القديمة آشور إذ كشف عن صفين من المسلات المدونة، كان من بينها مسلة تذكارية للملكة سمو - رامات[2]. إلى جانب المسلات الخاصة بالملوك وكبار موظفي بلاد آشور وذكرت أيضاً وبشكل استثنائي إلى جانب الملك في أحد النصوص النذرية[3].

معلوماتنا عن اليهود في هذه المدة تنحصر في قائمة الليمو ومسلة شيخ حمد[4] وقطعة من لوح حجرية ومسلة السابعة[5] ومسلة تل الرماح[6].

1- يتكون اسمها من مقطعين الأول "سمو" ومعناها الحمامة و "رامات" ومعناها المحبوبة فيكون اسمها "محبوبة الحمام". للمزيد من التفاصيل ينظر: الأحمد، سامي سعيد، سمير اميس، بغداد - 1988؛ عفراوي، ثلماستيان: المرأة دورها ومكانتها في العراق القديم، بغداد - 1978، ص 252-253؛ ARAB: Vol. 1, No.731, p. 260.

2- عن نص ترجمة المسلة، ينظر: ARAB: Vol.1, No. 754, p. 264.

3- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص 119؛ ساكز: قوة أشور المصدر السابق، ص 117-118.

4- مسلة من البازلت الخشن يظهر فيها أدد - نيراري بلباسه الملكي ووقفته التي تماثل تلك الموجودة في تمثال تل الرماح وتظهر أمام الملك رموز الالهة القرص المجنح والنجمة والرموز الأخرى التي تشغل المساحة خلف رأس الملك، ينظر:

Milliard, A.R.; Tadmor, H. "Add-Nirrari III in Syria", Iraq, Vol. 35, pt. 1, 1973, p. 58; Shea, W.H., "Add-Nirrari III and Jehoash of Israel", JCS, No. 12, 1978, p. 104.

5- تم الكشف عن مسلة السابعة في الأصل في الصحراء جنوب غرب تلول سنجار وهي الان في متحف اسطنبول وهي مقسمة إلى خمسة أقسام التضرع، الاسم والنسب، ووصف للحملة التي قام بها وقائمة بأسماء المدن الواقعة تحت سلطة الحاكم في نركال اريش والدعاء على كل من يحاول ان يشوه أو يزيل المسلة.

Millard and Tadmor: opcit, p. 58; Shea: opcit, p.104.

6- يقع تل الرماح على بعد 13 كم الى الجنوب من مدينة تلعفر والاسم الاخر لتل الرماح (كرانا) وقد أجرت التنقيب فيه بعثة مشتركة من المدرسة البريطانية ومن متحف بنسلفانيا برئاسة دافيد اوتس حيث تم الكشف عن أربع غرف داخل المعبد واستظهر عقد منتصب فوق أحد الممرات مبني بالطابوق المصفوف وهو نموذج فريد من نوعه كما عثر على مزار صغير يعود الى العصر

لم يتفق المؤرخون على تاريخ حملة أدد - نيراري الثالث وذلك بسبب تشوش السجلات الخاصة بهذا الملك من الناحية الكرونولوجية وعدم التوصل إلى ترتيب زمني متسق لحملاته[1] فهناك من يحدد تاريخ هذه الحملة بعام 805 ق.م[2]. وهناك من يحدد تاريخ الحملة بالفترة الزمنية من (802-796) ق.م[3]، لكن أغلب الظن أنها جرت حوالي 796 ق.م[4].

فمسلة تل الرماح[5] قد ذكرت قائمة بأسماء حكام مدن بلاد الشام الذين قبلوا بسيادة أدد - نيراري الثالث وتعقبهم له أثر الحملة العسكرية التي قام بها باتجاه القسم الجنوبي منها فقدم قائمة بأسماء الحكام الغربيين الذين دفعوا له الجزية، وتتضمن ماري حاكم دمشق وحزائيل أو بنهدد الثالث وصور وصيدا ومن

الأشوري المتاخر ووجدت في داخله مسلة ملكية دقيقة الصنع تعود إلى أدد - نيراري الثالث سجل فيها أخبار حكمه. ينظر:

Oates, D. "Excavation at Tell Al-Rimah", Iraq, Vol. 16, 1963, p. ; Shea: opcit, p. 101-102.

وقد نشرت الدكتورة ستيفاني دالي التي اشتركت في التنقيبات البريطانية في نمرود وتل الرماح كتاباً بعنوان "مادي وكرانا مدينتان من العهد البابلي القديم".

Stephani, D., Mari and Karan Two Old Babylonia Cities, London - 1984.

1 _Pitard: opcit, p.164.

2 _Ibid.

3 _Malamat: opcit, p.31.

4 _Pitard: opcit, p.164.

5- حيث يشاهد على هذه المسلة نحت بارز للملك بلباسه الرسمي ممسكا الصولجان باحدى يديه رافعا يده الأخرى ومن حول رأسه رموز كأنها معلقة في الفراغ للإله اشور، سين، وعشتار وانليل وأدد، سبيتي "كوكبة الجوزاء" وتعني سبعة نجوم وازميل يمثل إله الكتابة ومردوخ ويكتنف المسلة من تحت حزام الملك أدد - نيراري الثالث إلى قرب قدميه كتابات مسمارية مسح قسمها الأسفل تذكر اسم الملك وألقابه وأعماله وحملاته باتجاه الغرب والشمال وجدت موضوعة على مذبح وبجانبها اربع قطع من الرخام اسطوانية الشكل نقشت نهايتها بصورة رؤوس اسود وهي الان محفوظة بالمتحف العراقي. ينظر، عكاشة: المصدر السابق، ص 521؛ بصمجي، فرج: كنوز المتحف العراقي، بغداد - 1972، ص 284؛

Page, S., "The Tablets of Tell Al-Rimah", Iraq, Vol. 30, 1968, p. 87-97; The same aitho: "A Stela of Add-Nirari III and Nirgal Eres from Tell Al-Remah", Iraq, Vol. 30, 1968, p. 138; Shea: opcit, p. 105-106.

بينهم يهواش (la-a-su ^{mat}sa-me-ri-na-a-a) (782-797) ق.م من السامرة في السطر الثامن من المسلة (797-782) ق.م[1].

حيث جاء في النص المسماري المدون على مسلة تل الرماح ما يأتي:

"A - انا أدد - نيراري هيّأت العربات والجنود وأمرت بحملة ضد أرض حاتي وفي سنة واحدة جعلت أرض أمورو وأرض حاتي ترضخ كاملة على أقدامي وفرضت عليهم الجزية [و] الجزية المنتظمة للأيام القادمة. وزحفت إلى البحر الكبير حيث تغيب الشمس وأقمت مسلة (لي) في مدينة أرفاد والتي تقع في وسط البحر وصعدت جبال لبنان وقطعت الأخشاب ومئة شجرة من الأرز وهي مادة ضرورية لقصري ومعابدي.

B - تلقيت ألفي وزنة[2] من الفضة ومئة وزنة من الرصاص، وألفي وزنة من الحديد وثلاثة آلاف من الثياب المتعددة الألوان بوصفها جزية من ماري من أرض دمشق، وتلقيت جزية من يهواش (la-a-su ^{mat}sa-me-ri-na-a-a) من السامرة ومن الصوريين والصيدويين واستلمت الجزية من كل ملوك بلاد نائيري"[3].

في حين يرد في نص مسماري آخر مكتشف في نمرود ذكر انتصاراته على خصومه في صور وصيدا وبيت عمري وآدوم وبلاد فلسطين وجميع ساحل البحر المتوسط، إذ ورد فيه ما ترجمته:

"من شاطئ الفرات أخضعت بلاد حاتي، وكل بلاد أمورو، صور وصيدا وبلاد عمري (^{mat}Hu-m-ri) وادوم وفلسطين، إلى البحر الكبير حيث تغرب الشمس

1- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص 119؛ ساكز: قوة آشور المصدر السابق، ص 121؛ Hallo: Mesopotamia opcit, p. 1502.

2- الوزنة (الطالنت) من الأوزان والمكاييل التي استخدمت في بلاد الرافدين في مختلف العصور وبساوي في وقتنا الحاضر 30.3 كغم ويعرف بـ SUM بـ gu-un، و AKK بـ bittu، عن الأوزان والمكاييل في العراق القديم ينظر، حمود، حسين ظاهر: التجارة في العصر البابلي القديم، رسالة دكتوراد غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل - 1995، ص95-104.

3 -Tadmor, H., "The Historical Inscription of Add-Nirari III", Iraq, Vol. 35, pt. 2, 1973, p. 143; ANET: 281-282.

أخضعتهم جميعهم تحت قدمي وفرضت عليهم الجزية. سرت نحو بلاد دمشق وحبست ماري ملك دمشق في دمشق مقره الملكي. فغمره الخوف من بهاء مولاي الاله آشور وأمسك قدمي خضوعاً لي. فتلقيت منه الجزية في قصره الملكي في دمشق، 2300 وزنة من الفضة، 20 وزنة من الذهب، 5000 وزنة من الحديد، أقمشة ملونة مع أنسجة من كتان أسرة (من) العاج، مناضد من العاج [و] مقتنيات من كنوزه بمقادير لا تعد"[1].

أما مسلة السابعة فقد كتبت بعد فترة من هزيمة دمشق ويعود تاريخ مسلة السابعة ومسلة تل الرماح إلى زمن ما بعد عام 797 ق.م والذي أمر بذلك نركال اريش حاكم الجزء الغربي والجنوبي للمملكة الآشورية وكل النصوص المدونة في المسلات المشار إليها آنفاً تتعلق بلا شك باتجاه الحملات الموجهة إلى الغرب ولا شك أن نركال اريش كان شخصية رئيسية في تلك المآثر[2] حيث جاء فيها:

"في السنة الخامسة (من حكمي الملكي) جلست على عرشي الملكي واستعديت للحرب وأمرت قطعات جيشي الآشوري الكثيرة للسير إلى فلسطين عبرت نهر الفرات في ذروة فيضانه لأن الملوك هناك تآمروا سابقاً على والدي شمشي - ادد. وبعون من الإله آشور وسين وشمش وأدد وعشتار استسلموا لي وخضعوا لسلطاني ودفعوا الجزية المترتبة عليهم بشكل منتظم، حيث استلمت كل الجزية من [...] والتي أرسلت إلى آشور. (وبعدها) أصدرت الأوامر [للسير] إلى دمشق وأرسل

1- النص المدون على قاعدة تمثال مكسورة، عثر عليها في (نمرود) نشرد رولنصون ثم ترجمه لوكنبيل في: ARAB: Vol. 1, No. 739-740, p. 262; ANET: p. 282; Shea: opcit, p. 109.

2- جدير بالانتباه أن هناك تشابها في أقسام مسلتي الرماح والسابعة مما يشير الى أنهما تعودان إلى الحملة نفسها لكن هنالك بعض التفاصيل في مسلة تل الرماح ليست موجودة في مسلة السابعة حيث تحتوي على تفاصيل اكثر عن الحملة حيث يرد ذكر يهو اش حاكم السامرة بدفع الجزية بينما لا يرد ذكر ذلك في السابعة ويختلفان في مقدار الجزية بين المسلتين وهما يختلفان عن لوح النمرود، ولكن هذه الاختلافات البسيطة لا تقدم دليلاً كافيا على الفصل بين هذه الحملات. ينظر: Shea: opcit, p. 106-107.

ماري من دمشق [والذي استسلم]، مئات وزنة من الذهب (ويماثلها) ألف وزنة من [الفضة]، 60 وزنة من... [استلمت منه] كجزية"[1].

أما مسلة تل حمد تساهم بشكل قليل بمعرفة فعاليات أدد - نيرادي الثالث في الغرب، فالمسلات السابعة، وتل الرماح، وتل حمد يضاف إليها نص نمرود تؤكد جميعها على الحملات التي جلبت الجزية من دويلات المدن السورية في أقصى شمال دويلة السامرة وفلسطين، وتتماثل مع المذكور في مدونات قوائم الليمو للسنوات (805-803) ق.م حيث جاء في مسلة تل حمد ما ياتي:

"أدد - نيراري الملك العظيم [الملك] القوي، ملك العالم، ملك بلاد آشور ابن شمشي - أدد [ملك العالم، ملك بلاد آشور ابن] شيلمنصر، ملك الجهات الأربع [وبأمر آشور] استدعيت [عرباتي] (و) جنودي [وأمرتهم بالزحف] إلى بلاد حاتي وعبرت الفرات في فترة طوفانه... وتقدمت إلى أرفاد واتراشونكي بانا [والملوك الذين] تمردوا [وثقوا بقوتهم] والعظمة المخيفة لآشور سيدي [قد سحقتهم...] وفي سنة واحدة، أرض بلاد حاتي [بكاملها] غزوتها [...]"[2].

إلا أن الدراسة المتأنية للنصوص لهذا الملك على ضوء الاحداث التي سبقتها يمكن أن تساعدنا على صياغة لما كان قد حدث بين أدد - نيراري الثالث وحكام التحالف الغربي. فمن المرجح اعتماداً على أسلوب صياغة نص الحملة، أن لا يكون هذا النص خلاصة لنتائج حملة آشورية واحدة بل خلاصة لعدة حملات قام بها هذا الملك.

ففي الحملة الأولى وجه أدد - نيراري الثالث ملوك التحالف الذي حاصر حاتريكا وأجبرهم على التراجع، مستولياً على مناطق سوريا الشمالية المدعوة "حاتي" بمصطلح نصوص الألف الأول قبل الميلاد. وفي الحملة الثانية أستولى على

1- نشر نص هذه المسلة الباحث

Unger, E., Relief Stele Adad-Nirari III Asu Saba'a Und SemiraMisl (Publication der Kaiselichern Osanaischen Museem), No. 12, Konstantionpel - 1916.

ثم ظهرت ترجمة أخرى لها في

ARAB: Vol.1, No. 734, p. 261; ANET: p. 282; Tadmor: The Historical inscription opcit, p. 144-145; Shea: opcit, p. 101.

2 -Millard and Tadmor: opcit, p. 58-59; Shea: opcit, p.102-103.

مدن بلاد آمورو في وسط وغرب سوريا ومنها هبط إلى الساحل الفينيقي نحو صور وصيدون، وربما تصدى له بنهدد الثالث قبل وصوله إلى آمورو منفرداً أو على رأس تحالف الحكام الجنوبيين الذين وقفوا إلى جانبه في حصار السامرة. وفي الحملة الثالثة توجه إلى فلسطين فاستولى على أرض أو بلاد بيت عمري، وآدوم وفيليستيا ومن هناك صعد إلى دمشق التي تم عزلها عن جميع حلفائها وأجبرها على دفع الجزية للمملكة الآشورية لأول مرة منذ قيام الأسرة الحاكمة الآرامية فيها. وفي نص أدد - نيراري الثالث نقطة مهمة ينبغي الإشارة إليها فجميع الدويلات والممالك الواردة في النص المسماري قد جرى تعدادها بأسمائها دون ذكر حكامها أو شرح مجريات المعارك التي قادت إلى إخضاعها، عدا دمشق التي توقف النص عندها طويلاً وأعطانا تفصيلات حول استسلامها والجزيرة التي دفعتها. وهذا يدل دلالة قاطعة على أن الهدف الرئيسي لحملة أدد - نيراري الثالث في مناطق غربي الفرات كان اخضاع مملكة دمشق، وأن الحملات الأولى على ممالك الشمال التي أجملها النص تحت اسم بلاد حاتي، وممالك الوسط والجنوب لم تكن إلا مقدمة ضرورية لضمان استسلام دمشق. أما عن اسم ملك دمشق الذي ورد في النص على أنه "ماري" فمن المؤكد أنه يشير إلى بنهدد الثالث وتفسير ذلك هو أن كلمة "ماري" بالآرامية تعني "مولاي" وهي مشتقة من كلمة "مرا" التي تعني السيد، وكان لقب "ماري" أو "مري" يوضع قبل أسماء ملوك دمشق في النصوص الآرامية ويبدو أن لقب ملك في عصر بنهدد كان يستخدم تبادلياً مع اسمه الشخصي، أو أنه طغى عليه في معظم الحالات، كما هو الحال في لقب "فرعون" في مصر، الذي استخدم تبادلياً مع الاسم الحقيقي لملك مصر في أكثر من نص آشوري[1].

كانت السامرة أول المستفيدين من ضعف دمشق، فقد ولي عرش السامرة بعد يهواش ابنه يربعام الثاني (797-753) ق.م ويروي سفر الملوك الثاني في نص

1- السواح: أرام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص 233-234؛ منصور: المصدر السابق، ص 120؛ Pitard: opcit, p.164.

مختصر وبدون أية تفاصيل خبراً عن حملة يربعام الثاني هذا على مملكة دمشق التي لم تكن قد التقطت أنفاسها من الحملة الآشورية السابقة[1].

أما الدويلة الجنوبية، (يهودا) ففي هذه الفترة تعرض حاكمها يواش إلى حادثة اغتيال فخلفه ابنه امسيا (796-767) ق.م وقد تمكن الحاكم الجديد من استعادة بعض القوة السباقة لدويلته وهزم الآدوميين في الجنوب في وادي الملح وأبعدهم عن دويلته وأخذ منهم مدينة سيلا والتي كشف عن هويتها بأنها بتراء ففتح بذلك طريقاً لبلاده يوصله إلى البحر الأحمر[2].

- فترة الركود السياسي الثاني:

مرت المملكة الآشورية بفترة ركود سياسي دامت حوالي 36 عاماً بعد حكم أدد - نيراري الثالث، حيث تعاقب على العرش الآشوري ثلاثة ملوك ضعفاء من أولاده حكموا الواحد بعد الآخر، لم يتمكنوا من مواجهة التحديات وازداد في عهدهم ضعف المملكة الآشورية وانكماشها ورافق ذلك تعاظم دولة أُرارتو على طول الحدود الآشورية الشمالية، ولعدم وجود حاكم قوي يتمكن من تقليص نتائج هذا التقدم فقد قاست الدولة كثيراً وتمكنت أُرارتو من السيطرة التامة على المناطق الواقعة جنوبي بحيرة اورميا مباشرة وبذا تمت السيطرة على الطرق التجارية القادمة من شمال إيران. وكان الوضع في الغرب أكثر تأزماً حيث اكتسح الأرارتيين المنطقة وآخذوا من الآشوريين جميع المنطقة شمال وغرب كركميش تقريباً وسلبوا المملكة الآشورية السيطرة على تجارة المعادن في آسيا الصغرى كما كان لها تأثير من ناحية تجهيز الآشوريين بالخيل. وكان التأثير الاقتصادي لقطع الطرق التجارية إلى آسيا الصغرى قد أدى إلى اضطراب في سوريا وعاد التحالف الغربي يهدد مصالح الآشوريين مرة أخرى[3].

1- 2 ملوك 14: 23-28؛ السواح: أرام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص 234-35. Pitard: opcit, p. 176.

2- الصالحي، رافد كاظم كريدي: حقيقة الوقائع التاريخية بين عرض التوراة ومعالجة النصوص العراقية القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية - 1999، ص 33.

3- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص 119-120.

ولا يعرف عن عهد شيلمنصر الرابع (782-772) ق.م إلا القليل، حيث تذكر قوائم السنين ست حملات ضد أُرارتو في ثماني سنوات وأربع حملات ضد شمال سوريا في المدة بين (772-754) ق.م. إلا أن الدلائل تشير إلى أن هذه الحملات كانت إما عمليات دفاعية من الحكام المحليين أو غارات مبالغ فيها أو مناوشات حدودية[1]. فبعد عشرين سنة من حملة أدد - نيراري الثالث شن الآشوريين حملة جديدة على دمشق في عهد شيلمنصر الرابع[2]. وقد جرت هذه الحملة بقيادة حاكم الآشوريين على مناطق الفرات المدعو شمشي أيلو. وكان يقيم في مدينة تل بارسيب والتي غير اسمها شيلمنصر الثالث إلى كار شيلمنصر أي (حصن شيلمنصر) وكان يتمتع بصلاحيات عديدة، فقد كانت له مطلق الصلاحية في التصرف بشؤون منطقة الفرات والخابور والنيابة عن الملك في الحملات العسكرية التي يقرر الملك شنها على مدن بلاد الشام. ترك شمشي أيلو نصاً منقوشاً على نصب حجري يذكر فيه إنجازاته ومنها حملته على بلاد أمير يشو وأخذه الجزية من ملكها المدعو حديانو (770-؟). وقد اكتشف النص منذ سنوات وقرأه الباحث هوكنز عام 1982. أما عن تاريخ الحملة فيرجع لما حوالي العام 773 ق.م[3]. وبذلك يأتينا برهان آخر عن عدم صحة الخبر التوراتي حول إلحاق دمشق بالسامرة لأن تاريخ الحملة الآشورية يقع في أواسط حكم يربعام الثاني (793-753) ق.م الذي يعزو إليه النص التوراتي ضم دمشق وحماة[4]. ويتميز عهد حكم الابن الثاني وهو آشور - دان الثالث (771-754) ق.م بالحملات غير الموفقة على وسط سوريا. وبتفشي الطاعون واندلاع الاضطرابات في آشور وكركوك وفي كوزانا (تل حلف) وبكسوف الشمس عام 763 ق.م. أما الابن الثالث، وهو آشور - نراري الخامس (753-746) ق.م، فقد كان نادراً ما يجازف بترك قصره[5]، وعلى عهده حققت آرارتو انتصاراً سياسياً وربما

Hallo: The Ancient Near East opcit, p. 29; Hallo, Mesopotamia opcit, p.1506.

1- ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص 123؛ Williams: opcit, p. 73.

2- Lods: opcit, p.386.

3- السواح: ارام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، 236.

4- 2 ملوك 14: 23-28.

5- رو: المصدر السابق، ص 406.

عسكرياً في شمال سوريا. ولم يكن آشور - نراري الخامس في مركز يمكنه من الرد العسكري فمقدمة سجل خمس سنوات من مجموع ثماني سنوات في قائمة السنوات المسجلة ترد عبارة (في البلاد) وإن ذلك يعني لا توجد (حملة) ويظهر أنه كان يحاول أن يحمي مركز آشور في شمال سوريا بالدبلوماسية[1]. بالإضافة إلى اضطراب الأوضاع في أقاليم المملكة كانت هناك اضطرابات في المناطق الواقعة على طول نهر دجلة جنوبي بلاد آشور حين سببت الضائقة الاقتصادية الناشئة عن قطع الطرق التجارية إلى قيام تمردات في عدد من المدن[2]. وربما لاقى الملك الأخير حتفه في تمرد نشب في كلخ قضى على الملك الحاكم وأفراد أسرته[3].

في هذا الوقت الذي شهد بداية النهاية لكل من دمشق والسامرة أخذت يهوذا بالتكوين والظهور على المسرح السياسي الإقليمي فحتى الحملة الآشورية الأخيرة على دمشق عام 773 ق.م لم تكن يهوذا قد تشكلت بعد ككيان سياسي واضح في فلسطين، والنصوص الآشورية لم تذكر فقد وجود يهوذا في فلسطين، كما لم تذكر كلياً مدينة أورشليم وكأنها غير موجودة على الخارطة السياسية للمنطقة. غير أن العقود التالية من القرن الثامن قبل الميلاد قد بدأت تدفع أورشليم بسرعة نحو مركز الأحداث، وبدأت تظهر في النصوص الآشورية بدءاً من الربع الأخير لهذا القرن الحافل بالأحداث الجسام[4].

إن المعلومات تشير إلى ان أورشليم بدآت تكتسب ملامح المدينة الكبيرة منذ أواخر القرن الثامن وقد ساعدها على ذلك أفول نجم السامرة ودمر لخيش على يد

1- ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص 125. ففي عهده وجه في عام 753 ق.م حملة على ارفاد الارامية في عهد حاكمها ماتع - ايلو ألزمه فيها بشرطين الأول وجوب الإخلاص له ولمملكته والثاني أن يشترك في اي حرب يشنها الملك الاشوري عن نص المعاهدة، ينظر، سومير. اد: "ثلاثة انصاب ارامية مصدرها السفيرة، معاهدة تبعية من القرن الثامن قبل الميلاد"، ترجمة عدنان البني، الحوليات الأثرية السورية، مج10، دمشق - 1960، ص 234-236؛
ARAB: Vol. 1, No. 750-759, p. 265-268; ANET: p. 531ff.

2- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص 120.

3- رو: المصدر السابق، ص 406؛ Smith: opcit, p. 32.

4- السواح: أرام، دمشق، اسرائيل المصدر السابق، ص 236-237.

الآشوريين وقيام الآشوريين بتنظيم التجارة في المراكز الرئيسية. كما ساعد على ذلك أيضاً التغيير الجذري في الوضع السياسي لفلسطين واستيعاب أورشليم لأفواج النازحين من المناطق التي مد الآشوريين عليها نفوذهم إبان عهد تيجلاتبليزر الثالث وسرجون الثاني. وهكذا ظهرت يهوذا لقيادة النخبة السياسية والاقتصادية في مدينة آورشليم التي تحولت إلى مركز سياسي إقليمي في المنطقة. وقد بدأت المدينة عهدها الأول بوصفها تابعة للمملكة الآشورية، ثم قادها التدخل المتزايد في شؤون التجارية الدولية إلى حتفها بعد قرن ونصف تقريباً من ظهورها على مسرح الأحداث[1].

1- طومسون: المصدر السابق، ص 330-334.

اليهود في نصوص ملوك
المملكة الآشورية الثانية (745-612) ق.م

المبحث الأول

تيجلا تبليزر الثالث (745-727) ق.م

في عام 746 ق.م قامت ثورة في العاصمة كلخ نفسها واغتيل آشور - نيراري الخامس وهو آخر الملوك الثلاثة الذين أعقبوا أدد - نيراري الثالث مع جميع أفراد العائلة المالكة، ونصبت تيجلا تبليزر الثالث، حيث ورث هذا العاهل مملكة ضعيفة[1]، عصفت بها ثورات عدة ومؤامرات كما أشارات اليها قوائم الليمو الآشوري[2] ولكنه تمكن أن يعيد هيبة المملكة الآشورية وذلك باتباعه أسلوب الحكم المباشر في الإدارة[3] وعلى ما يبدو فإن تيجلاتبليزر الثالث. دام حكمه ثماني عشرة سنة، تمكن من إعادة الهدوء والأمن إلى أرجاء المملكة وقام بإصلاحات واسعة في الجيش ونظام إدارة المملكة[4]. لهذا فإن حكمه يعد بداية عصر المملكة الآشورية الثانية التي اتسمت بالقوة واتساع الرقعة واستطاع أن ينهض بالبلاد ويعيد إليها مجدها الزاهر الذي كانت عليه في القرن التاسع وبدايات القرن

1- ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص 125.

2- الحديدي، أحمد زيدان: الملك الاشوري تيجلاتبليزر الثالث (745-727) ق.م. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب. جامعة الموصل - 2001. ص 10-13.

Moscati: The Wolrd of Phenecia opcit, p.265-266.

وللمزيد من التفاصيل عن الأسماء الملكية الآشورية في العهد القديم ينظر

Milliard, A.R., "Assyrian Royal Names in the Biblical Hebrew", JSS, Vol. 21, 1976, p. 1-14.

سليمان: مغالطات في تاريخ اليهود القديم المصدر السابق.

3- ساكز: قوة اشور المصدر السابق. ص125.

4- للمزيد من التفاصيل عن النظام الإداري في العصر الأشوري الحديث ينظر

Ahmed, A. Y., Neo-Assyrian Prorvincial Administative, Unpuldishcd Ph. D. Thesis, University of London-1984; Pecirkora, I., "The Adminstraive Organization of the Neo-Assyrain Empire", Oreintalial, Vol. 45, 1977, p. 177-187.

الحديدي: المصدر السابق، ص29-49.

الثامن قبل الميلاد وتمكن من إعادة الأقاليم والمقاطعات التي انسلخت عن الحكم الآشوري خلال فترة الركود السياسي التي تمر بها البلاد[1].

مصادر معلوماتنا عن اليهود في هذه الفترة تنحصر في نصوص الجوليات الملكية العائدة له، مدونة أو منقوشة على التماثيل أو المسلات والألواح الحجرية التي كانت تزين جدران القصر المركزي كلخ وخاصة نصوص حملاتها العسكرية، إذ إنه قد أعاد بناء القصر على أنقاض القصر الذي شيده شيلمنصر الثالث[2]. إلا أنها وصلتنا في حالة سيئة جداً، وذلك بسبب الإهمال المتعمد لخلفائه، والذي أدى إلى تحطيم النصوص وفقدان كثير من أجزائها وتشوش الترتيب الزمني لأحداثها وهذا ما صعب على الباحثين مهمة إعادة ترتيب هذه الأحداث[3] لقد قاست كتابات تيجلا تبليزر الثالث كثيراً من عدة نواحٍ، فالكتاب الذين كتبوا الحوليات من السنة الأولى إلى السنة السابعة عشرة من حكمه على المنحوتات البارزة والتي غلفت جدان قصره، تضمنت موجزاً للأعمال العسكرية مرتبة استناداً إلى التسلسل التاريخي، ولا نستطيع أن نرى التوافق الحقيقي لأقسام النصوص وتمثيلها على النحت البارز المسجل في الأعلى والأسفل ومع هذا فإن المنحوتات البارزة تبدو وكأنها عمل واحد مستمر بوصفها مجموعة نموذجية، ولا يمكن تحديد العلاقة بين ترتيب المنحوتات وترتيب التواريخ أن أجزاء من هذه المنحوتات البارزة قد نقلها اسرحدون فيما بعد عند تشييده للقصر الجنوبي الغربي في كلخ واستخدمها بوصفها مواداً إنشائية جديدة لتزيين قصره دون مراعاة تنظيمها بل إن بعضها قد دمرت أو فقدت أثناء عملية النقل وقام بإعادة النحت عليها مجدداً من الجهة الخلفية ووضعت بشكل معكوس آي أعلاها إلى الأسفل كما وضع عدد من الألواح على قفاها لإخفاء الكتابات السابقة الموجودة عليها[4] حيث اكتشفت من قبل لايارد

---

1 -Hallo: Mesopotamia opcit, p.1503.

2- الكيلاني: المصدر السابق، ص120.

Tadmor, H., 'The Inscription of Tiglath-pileserIII King of Assyria",AJA, Vol.77, No.3, 1973, p.290.

3- السواح: أرام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص241.

4- الأحمد: كتابة التاريخ عند الاشورين المصدر السابق، ص52؛ الحديدي: المصدر السابق، ص24.

الذي قام بإجراء التنقيبات في الزاوية الجنوبية الغربية من نمرود، حيث يمكن مشاهدة الأقسام العليا من قصر كبير يعود إلى الملك اسرحدون[1] وزاد في التعقيد أن عدداً من منقبي القرن التاسع عشر قاموا بقطع الأجزاء المكتوبة لتقليل وزنها وتيسير نقلها وإن حاول تجنب فقد المعلومات وذلك بعمل طبعة للنص على الورق. وقد تضررت الطبعات بدورها، اختفى بعضها في دهاليز المتحف البريطاني فضلاً عن ذلك أولئك الذين كان بإمكانهم الوصول إلى النصوص الأصلية أو إلى الطبعات نشروا النصوص بشكل رديء[2]. ولولا وجود قائمة الليمو مع بعض الملاحظات التي وردت فيها لكان من المستحيل ترتيب بعض أجزاء هذه الألواح في تسلسلها الزمني وتبعاً لعدد سنوات حكم تيجلا تبليزر الثالث، ومع ذلك لعل الاكتشافات القادمة تظهر بعضاً من أخطاء ترتيب نصوص هذه الحوليات[3] كما نلاحظ أن اهتمام بعض الباحثين بحوليات تيجلاتبليزر الثالث كان منصباً عليها من أجل تثبيت الاخبار التوراتية، حول التاريخ اليهودي[4].

عندما تولى تيجلا تبليزر الثالث العرش كانت البلاد في وضع عسكري واقتصادي صعب، حيث فقدت المملكة سيطرتها على كثير من الحدود الغربية، فكانت سوريا وفلسطين الهدف الرئيس ضمن تطلعات الملك تيجلا تبليزر الثالث، كان الملكان آشور ناصربال الثاني وشيلمنصر الثالث قد عدّا نهر الفرات حداً للدولة الآشورية من حيث الحكم الإداري المباشر، أما ما يقع غرب ذلك فكانت هناك الدول التابعة التي كانت ترتبط بالمملكة الآشورية بمعاهدة أو بالتهديد العسكري إلا أنها كانت ما تزال مستقلة وإن كان ذلك اسمياً أحياناً[5]. لذلك نجد

ARAB: VoL,1, p.296; Wiseman, D.J., "Affragment Inscription of Tigath-pileser III from Nimurd", Iraq, VoL.17, pt. 2,1956, p.117.

1- اغا، عبد الله أمين؛ العراقي، ميسر سعيد: نمرود، بغداد - 1976، ص22؛

Tadmor: 'The Inscription of Tiglath-pileserIII opcit", p.290; Barnett: opcit, p.21.

2- ساكز: قوة آشور المصدر السابق، ص127؛ اغا: المصدر السابق، ص 22.

3- الحديدي المصدر السابق، ص24.

Todmor: 'The Inscription of Tiglath-pileserIII opcit", p.290-291.

4- ساكز: المصدر السابق، ص127.

5 -Saggs, "The Nimrud Letters opcit., p.127.

تيجلاتبليزر الثالث قد اتبع سياسة مختلفة عما كان متبعاً من قبل في إدارة المناطق الجديدة التي خضعت للمملكة الآشورية، حيث قسم هذه المناطق إلى ولايات تابعة للمملكة حيث يتم تعيين الولاة والحكام إما آشوريين أو موالين للآشوريين[1]، فقد تركت بعض الأسر الحاكمة المحلية مستقلة إلى درجة كبيرة وأعطيت ضمانات الدعم الآشوري ضد أي تمرد داخلي أو هجوم خارجي طالما دفعت الجزية المفروضة عليها وقبلت بتوجيه الموظف الآشوري في الأمور ذات العلاقة[2].

عمد تيجلاتبليز الثالث إلى تقوية موقف الآشوريين في الغرب، حيث أجريت تغيرات إدارية كبيرة، حيث كان هناك بعض الاضطرابات وقد أشير إليها في حولياته وفي المراسلات الملكية وشهدت السنوات الثلاثة التالية عدداً من النشاطات العدائية ضد الآشوريين في سوريا، وكانت هذه النشاطات تتراوح بين العمليات العسكرية الصريحة وبين الشغب المحلي ضد بعض الإجراءات الاقتصادية. ولهذا اضطر تيجلاتبليزر الثالث أن يجعل عدداً من الممالك التي كانت تدين بالتبعية الآشورية تحت الحكم المباشر[3]. ولهذا اضطر أن يعين قردي آشور لامور[4] في صور وصيدا، وتمدنا رسالة أرسلت إلى تيجلاتبليز الثالث من قبل قردي آشور لامور بمعلومات عن الأوضاع الاقتصادية غير المستقرة ومشكلة جمع الضرائب، حيث قام سكان صور بقتل الموظف المختص بجمع الضرائب، فقد فرضت المملكة الآشورية

منصور: المصدر السابق، ص125ـ126.

1ـ الصمادي: المصدر السابق، ص6؛ ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص127ـ128.
Hallo: Mesopotamia opcit, p.1503.

2ـ الصمادي: المصدر السابق، ص 6؛ فرحان: المصدر السابق، ص 89؛
Hallo: The Ancient Near East opcit, p. 30-31.

3ـ ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص 139ـ140؛ ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص 125ـ126.

4ـ جدير بالذكر أن منطقة النشاطات السابقة لقردي أشور لامور كانت على الحدود الشمالية الشرقية (أرارتو) وعلى أثر الاضطرابات التي اندلعت في الجزء الغربي اضطر تجلاتبليزر الثالث إلى تغيير منطقة نشاطه إلى صور صيد وللمزيد من التفاصيل عن سيرته ونشاطه ينظر ساكز. هاري: الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل وآشور)، ترجمة كاظم سعد الدين، ط1، بغداد ـ2000، ص 148ـ155.

ضريبة على الأخشاب التي تجلب إلى الميناء من لبنان فقام المواطنون الغاضبون ببعض الاضطرابات وقتلوا جابي الضرائب ويستشهد كاتب الرسالة بفقرات من توجيهات سيده حيث كان قد بدأ يجعل كلماته معهم طيبة مما يؤكد رغبة الملك عدم القيام بأي عمل عسكري، ولهذا عين موظفاً آخر يجمع الضرائب في كل من صور وصيدا إلا أن سكان صور رفضوا هذا الإجراء لهذا كان رد فعل قردي آشور لامور فعالاً حيث جلب إلى المدن المعنية فرقاً من قوات الايتو ITU الآرامية لإخماد الاضطرابات[1]، وإعادة الأمور إلى مجاريها وأخيراً فقد أمم المرفأ وهذا الأمر قد أثر مباشرة في الأحداث السياسية ليهوذا بحيث قطعت أورشليم علاقتها مع صور من ناحية ولم تعد هناك تجارة حرة بين كل من السامرة ويهوذا إضافة إلى قطع الطرق التجارية الرئيسة مع كل من دمشق والمدن السورية بسبب سيطرة تيجلاتبيلزر الثالث عليها في الوقت الذي سيطرت فيه آدوم على الطريق التجاري الجنوبي والمؤدي إلى الجزيرة العربية عن طريق خليج العقبة، كذلك كان نشاط الفلسطينيين قوياً على سواحل البحر المتوسط مما قطع طرق التجارة مع مصر، وبذلك نجد يهوذا المحاصرة من الناحيتين الاقتصادية والسياسية مما دفع آحاز لتقديم ولاء الطاعة إلى الملك الآشوري باعتقاده أنه الطريق الوحيد الذي سيخلصه من الحصار[2].

في السنة الثانية من حكمه عام 743 ق.م قام تيجلاتبليز الثالث بحملة، تعد امتداداً للحملة التي قادها على الأقاليم الشمالية الشرقية. ونتيجة للانتصار الذي حققه تيجلاتبليزر الثالث، أذعنت دمشق وكركميش وحماة وصور وصيدا وجبيل وذهب حاكمها إلى مدينة أرفاد لتقديم الجزية والخضوع لتجلاتبليز الثالث ومن بينهم رصين، ومناحيم (752-743) ق.م الذي اغتصب عرش السامرة، وطلب المعونة

1ـ الصمادي: المصدر السابق، ص 7؛
Tadmor, H., "Philistia Under Assyrian Rule", BA, Vol. 29, No. , 1966, P. 88.
وللمزيد من التفاصيل عن علاقة صور مع المملكة الاشورية ينظر
Coogan, M., "Tyre and Tiglath-Pileser III", JCS, Vol. 25, No.1, 1973, p. 96-99; Saggs: The Nimrud Letter opcit, p. 127-128.

2ـ الجبوري: التوراة مصدراً المصدر السابق، ص 19ـ20؛ حامدة: المصدر السابق، ص 131.

من تيجلاتبليز الثالث ليبقيه على الحكم، وقدموا له جزية من الذهب والفضة والعاج وقماش الكتان والصوف وخشب الأبنوس والخيل والجمال ومن المؤكد أن تلك الجمال تعود إلى الملكة العربية زيبيي التي كانت مملكتها على الأرجح قريبة من دومة الجندل في شمال جزيرة العرب[1]. حيث نقرأ هذا في أحد الحوليات لسنة غير معروفة عن هجومه على المناطق الغربية ومسألة دفع مناحيم الجزية للآشوريين ما زال الباحثون مختلفون فيها، فقد حدد بعض الباحثين أن الجزية التي قدمها مناحيم كانت على التوالي عام 743، 742، 738 ق.م[2].

ووجد آخرون استنتاجاً آخر مفاده أن مناحيم دفع الجزية للملك الآشوري الذي قاد حملته عام 738 ق.م ضد حكام المدن المتمردة في جنوب سوريا وفلسطين والتي رفضت دفع الجزية، فأوقع تيجلا تبليز الثالث الهزيمة الواحدة تلو الأخرى بهم باستثناء مناحيم الذي سارع إلى دفع الجزية عن السامرة[3]، جاء في نصوص حملة السنة الثانية أو الثالثة (لأن هذه الحملة لم تتحدد في النص الحولي ولا يوجد اتفاق على تاريخها بالضبط) ما يأتي:

"تسلمت الجزية من كوشتبشي من كوماجين، رصين من دمشق، مناحيم من السامرة (Me-ni-hi-im-me- ^{alu}Sa-me-ri-na-a-a)، حيرام من صور، سيب تثيل من بيبلوس، اوركي من قوي، بيسربس من كركميش، انيال من حماة، بانامو من سمأل، تراخولارا من كُركُم، سولومال من ميليتني، داديلو من كسك، واسورما من تابال، وشّيتي من تونا، وربالا من توهانا، توهامي من أشتوندا، وريمي من هوباشا وزبيبي ملكة العرب، وتتألف من الذهب، الفضة، القصدير، الحديد، جلد الفيل، العاج، ثياب من الكتان المزركش الملون، صوف مصبوغ بالأزرق والأرجواني، خشب الأبنوس، وخشب البقس، وكل ما هو ثمين أودعتها إلى الخزينة الملكية. وتسلمت أيضاً حمل صوف مصبوغ بالأرجواني، وطيور وحشية

1- الكيلاني: المصدر السابق، ص 26-27؛ غالب، عارف اسماعيل: المصدر السابق، ص 131؛ Irrvine: opcit, p. 290.

2- Johnson: opcit, p.72.

3- Buccellati: opcit, p. 216-217; Williams: opcit, p. 74.

صبغت أجنحتها باللون الأزرق، علاوة على الخيول والبغال والماشية الكبيرة والصغيرة، ذكور الجمال وإناث الجمال، مع مهورهم"[1].

وهناك نص آخر يحمل المضمون نفسه كتب على مسلة من الحجر عثر عليها في إيران، وعلى الأرجح أن الملك تيجلاتبليز الثالث كان قد نصبها في جبال كروس يذكر بها أنتصاراته في الغرب والشرق جاء فيه:

"ملوك بلاد حاتي، والآراميون على الساحل الغربي - العرب القيدار، رصين من دمشق، مناحيم من السامرة (Me-ni-hi-im-me Kur Sa-me-ri-na-a-a)، طربائيل من صور... زبيبة ملكة العرب... فرضت عليهم الجزية، ذهب، فضة، قصدير، حديد، جلد فيل، عاج، الصوف المصبوغ بالأزرق والأرجواني، ألبسة ملونة من الكتان والناقات، نصب مسلة على الجبل، نحت عليها رموز الآلهة العظيمة، أسيادي، وعلى رأسهم سيدي الأعلى الإله آشور وذكرت كل منجزاتي التي قمت بها في جميع البلاد"[2].

اعتقد حكام المدن في سوريا وفلسطين أن انشغال تيجلاتبليز الثالث بحملاته العسكرية على الحدود الشمالية الشرقية، قد أصاب الآشوريين الضعف فدفعهم إلى تكوين حلف جديد حيث أعلنوا فيها العصيان مرة أخرى[3]، بوجه الملك الآشوري وتزعم هذا الحلف هذه المرة المدعو "عزيرو Azriyau la-au-d-da-a-a"، (739-767) ق.م وحلفاؤه على الساحل السوري[4]، وقد اختلفت آراء الباحثين بشأنه فالبعض يعتقد أنه (عزريا) الوارد اسمه في سفر الملوك الثاني: (6) حيث تزامن فترة حكمه مع هذه الأحداث على أفتراض أنه انضم إلى التحالف الذي تشكل في جنوب سوريا وضم العديد من المدن المتمردة حسب ما جاء ذكرها في النص

1- أخبار سنة غير معلومة ترجمها لوكنبيل في ANET: p. 283; ARAB: Vol.2, No. 772, p. 27.

2- الكيلاني: المصدر السابق: نقلا عن:
Tadmor, H., The Inscription of Tiglath pileser III, King of Assyria- 1994, p. 106-109; Levine, L. D., "Menahem and Tiglath-Pileser: A New Synchronism", BASOR, No. 206, 1972, p. 40-41.

3- الكيلاني: المصدر السابق ص26؛ منصور: المصدر السابق، ص128
Hallo: The Ancient Near East, opcit, p.31.

4- رو: المصدر السابق، ص412؛ ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص130.

المسماري والممتدة من حماة إلى البحر المتوسط ومن كيليكيا إلى دمشق ويعود تاريخ هذه الحملة إلى عام (741) ق.م وهي السنة الرابعة من حكم تيجلاتيبلز الثالث أن عزريو الياودي (اليهودي) والذي قابله الباحثون مع اسم عزريا الوارد في العهد القديم الذي قام بدفع الجزية للمملكة الآشورية بعد أن أجبر على ذلك وتمت محاصرته في مدينته[1] واستناداً إلى ما جاء في نص مسماري غير مكتمل عن حملة السنة ذاتها ينص على أن عزريا دفع الجزية للملك تيجلاتبليزر الثالث على أثر الحملة التي قام بها، وأخضع المدن المتحالفة التي ساعدت عزريو ورحل من أهلها عدداً كبيراً وأسكن مكانهم الأسرى الذين أسرهم من نائيري وجعلها ولاية آشورية وأقام عليها موظفين آشوريين حسب ما جاء في النص:

"[في] أثناء حملتي (التالية) [استلمت] الجزية من ملوك [...عا]زريا من يهوذا (Ia-u-da-a-a) مثل [...عازر]يا من يهوذا... بدون عدد (تصل) إلى عنان السماء... عيون، كما لو من السماء... بواسطة هجوم من جنود مشاة... أستمع [حول تقدم] حشود [جيوش] آشور وكان خائفاً... لقد مزقت، ودمرت، وأحرقت [.... لعزريا] والتي ألحقوها. ولذا (هكذا) دعموه... مثل جذوع الكرم... جعلتها عميقة... كانت صعبة... ومرتفعة... كانت تقع مداخلها... لقد أحطت بحمايته [حواجز ترابية]، ضد... وجعلتهم يحملون [سلال السخرة] و... كبيرة... مثل إناء [حطمته...] (نقص ثلاثة أسطر)..... عازريا و.... قصراً ملكياً لي أنا [بنيت في مدينته...] جزية مثل [الرعايا الآشوريين فرضت عليهم...] مدينة كُـ[لاني...] حليفه... مدن وشو، سانّو، زيُّ[مار]، را[ش] بونا التي على الس[احل] وكذلك المدن حتى جبال سوة الجبل المجاور لبنان، جبل بعلي - سابونا وحتى الأمانوس، جبل أشجار خشب البقس (وباختصار) جميع بلاد سوة؛ ومقاطعات كار - آدد حاتيركا، ومقاطعات نوقودينا وجبل حاسو وكذلك المدن (الصغيرة) لجبل ساريوا (و) المدن على الجانبين وكذلك المدن المجاورة لجبل ساريوا وكل جبل... المدن أشلاني وكذلك (و) الدلبي، جبل أيريقو وكل جبل - والمدن زنتانو وحتى... وبومامي (مع) تسع عشرة مقاطعة في حماة

1- منصور: المصدر السابق، ص129؛ Maccarter: opcit, p. 5-6.

والمدن المجاورة والتي (تقع) على الساحل الغربي للبحر والتي أعطيت عزريا وبصورة (غير شرعية) أرجعتها إلى المنطقة الآشورية. وعينت موظفين من عندي كحكام عليهم. [نفيت] 30300 شخصاً من الساكنين في تلك المدن وأسكنتهم في إقليم مدينة كو [...] 1223 شخصاً أسكنتهم في إقليم بلاد أو للابا"[1].

وفي الوقت الذي اكتفى بعض الباحثين بما ورد في نصوص تيجلاتبليز الثالث عن عزرياو أو عزريا حاكم يهوذا واعتقدوا أن كلاهما يشيران إلى أسم عزريا الوارد في العهد القديم[2]. قال آخرون أن هذا الاعتقاد غير دقيق مالم يتوفر الدليل الكافي لحسم هوية عزرياو والحملة التي أرجع فيها تيجلاتبليز الثالث بنامو ملك سمأل الذي كان موالياً ومخلصاً للآشوريين. وعندما تعرض بنامو لخطر أبعده عن منصبه استنجد الملك المذكور بتيجلاتبليز الثالث فقام الأخير بتوجيه جيشه إلى إقليم حماة وساحل البحر المتوسط وقضى على ذلك التمرد الذي قام به عزرياو لابد وأن يكون تاريخ الحملة في عام (738) ق.م لأن تمرد عزرياو حصل في عام (739) ق.م عندما كان الجيش الآشوري منشغلاً في حروبه في إقليم نائيري[3]. وقد راح قسم آخر إلى أبعد من ذلك وقالوا أن ياودي (Yadi) وسمأل كانتا تحت حكم شخص واحد وربما كان عزرياو قد ملك على إقليم يحمل هذا الاسم (Yaudi) لأنه كان ياودي (Ya,di) يعرف لدى الآشوريين زمن شيلمنصر الثالث باسم يائيتي (Yaeti) وهذا يجعل مسألة التحقيق من اسم يهودي (Yaudi) أو ياودي (Yadi) مفتوحة للنقاش حتى يتم العثور على وثيقة أو دليل مقنع[4]. وفي ظل هذه الاحتمالات سوف نأخذ بالرأي الذي يرجح أن عزرياو أو عزريا يشير إلى الحاكم نفسه وهو عزريا حاكم يهوذا. وذلك لأننا قلما نجد شخصية تحمل هذه السمات أقرب من حاكم يهوذا

1- النص المسماري أعلاه هو من النصوص الحولية التي وجدت في (كلخ) نمرود نشرها
Rost, P., Die Keilchrift Texte Tiglat - Pilesers III Nach den Papierapklatschen Und Originalen des Britischen Museums (Leipzig-1893).

وظهرت لها ترجمة في:
ARAB: Vol.2, No. 770, p.27; ANET: p.282-283.

2- الصالحي: المصدر السابق، ص 40.

3- منصور: المصدر السابق، ص129-130.

4- الصالحي: المصدر السابق، ص 41.

(عزريا) والذي انتهى حكمه عام (739) ق.م وهذا التاريخ يؤيد الرأي الذي نتبناه ويتطابق مع سلسلة حملات الملك تيجلاتبليز الثالث على مناطق غربي آسيا[1].

إن المدونات المتبقية عن هذه الفترة تالفة إلى درجة يمكن معها وضع صور متباينة عن تفاصيل الأحداث وتستمر المناقشات العلمية الحادة حول بعض التفاصيل الدقيقة كالتاريخ المضبوط لدفع مناحيم حاكم السامرة الجزية الوارد ذكرها في العهد القديم[2]، وتذكر الفقرات التوراتية أن مناحيم أخذ عرش السامرة أواخر حكم (عزريا) حاكم يهوذا . فقد عاصر مناحيم السنوات الأولى لحكم تيجلاتبليز الثالث دفع له الجزية[3]. والملاحظ أن كل من مناحيم حاكم السامرة وعزريا حاكم يهوذا المعاصرين كانا متورطين في الاضطرابات التي حدثت في تلك الأثناء، ويصف سفر الملوك الثاني (15: 19-22) كيف أن مناحيم فرض ضريبة على رؤوس الأموال لدفع الجزية وهي ألف وزنة من الفضة فرضت من قبل تيجلاتبليز الثالث[4]. ويبدو أن تيجلاتبليز الثالث قد بقي في سوريا وفلسطين في السنوات التالية، في كل الاحتمالات فقد كانت نقطة ابتداء الحملات الآشورية هي مدينة (خندانو) أرسلان طاش الحالية بين كركميش وحران[5].

خلال الفترة الممتدة من (737-735) ق.م كان تيبجلابليز الثالث منشغلاً على الحدود الشمالية الغربية وبالإجراءات المتخذة ضد آرارتو إلى الشرق وحتى بلاد

1- ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص130.

2- السواح: الحدث التوراتي المصدر السابق، ص 105.

3- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص 140.

4- أرسلان طاش: يقع هذ التل حاليا شمال العراق ويبعد حوالي 30 كم الى الشرق من الفرات و 6كم عن الحدود التركية الجنوبية ينظر منصور: المصدر السابق، ص187؛ طوير: الصورة التاريخية المصدر السابق، ص127 وفي عام (738ق.م) عندما سيطر على المدن الرئيسية للفينيقيين أقام إقليما اشوريا جديدا في اونقي (unqi) أسفل وادي الأورنتس وجعله مركزا للعمليات العسكرية ضد الأقاليم التي تمتنع عن دفع الجزية وتثير الاضطرابات ينظر:
Wiseman,D.J, "Two Historical Inscription from Nimrud", Iraq, Vol.13, 1951, p.21.

5- ساكز: قوة اشور المصدر السابق ص129-130؛ السواح ارام، دمشق، اسرائيل المصدر السابق، ص243.
Wiseman: Two Historical Inscription opcit, p21.22.

الميديين في شرقي زاجروس شمال غرب إيران[1]. وقد أعطى انسحاب الجيش الآشوري الرئيس من سوريا وفلسطين انطباعاً خاطئاً عن إمكانية وقوة المملكة الآشورية للمحافظة على نفوذها، وفي حين خلقت الإجراءات الاقتصادية من النوع الذي يعكسه خطر تصدير الخشب إلى الجنوب من لبنان بعض الإضرابات[2]. فهناك رسائل أخرى لقردي آشور لامور يذكر فيها وجود إضرابات في الولايات الصغيرة جنوب فلسطين ربما لها صلة بما جاء في أخبار الأيام الثاني (28: 16-20) وتؤرخ هذه الأحداث إلى عام (734) ق.م[3].

خلف مناحيم في السامرة فقاحيا للمدة (742-740) ق.م بعد أن حكم والده مناحيم للمدة من (753-742) ق.م وكان ذلك في السنة الثالثة لحكم تيجلاتبليزر الذي كان يقود حملة في الغرب أي في عام (742-741) ق.م ولكنه تعرض أي فقاحيا إلى حادثة اغتيال قام بها فقح قائده وحكم الأخير للمدة (740-732) ق.م[4] هاجم تيجلاتبليز في هذه الأثناء حلفاً جديداً آخر يتكون من رصين ملك دمشق وفقح حاكم السامرة وآرام وعدد من المدن الفلسطينية، وحاول فقح جاهداً إقناع رصين لمهاجمة يهوذا التي كانت بزعامة آحاز (736-715) ق.م (يهو آحاز في النصوص المسمارية)، لرفضه الانضمام إليهما في صراعهما مع المملكة، فقد حاولا إرغامه للسير في خط يقضي بتشكيل حلف ضم كذلك مدينتي صور وعسقلان بهدف الوقوف بوجه المملكة الآشورية[5]. دفع اليآس آحاز حاكم يهوذا إلى طلب المساعدة

1- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص141؛ ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص131.

2- ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص129-130؛ السواح: ارام، دمشق، اسرائيل، المصدر السابق، ص243.

3- Saggs: The Nimrud Letters opcit, p:22.

4- الصالحي: المصدر السابق، ص42
Hallo: The Ancient Near East opcit, p.316: Hallo: Mesoptamia opcit, p1503.

5- كما هو معروف فان السياسة كانت وما زالت تمتاز بعدم وجود قاعدة ثابتة لها، كما أن الدبلوماسية لاتتضمن وعودا قاطعة وأن اساليبها وسبلها كثيرة ومتداخلة، قد يجوز في السياسة مالا يجوز في غيرها، فقد يصبح الصديق عدوا والعدو صديقا وحليفا وما الأحلاف التي قامت في بلاد الشام لمواجهة الأشوريين وتغيرها المستمر الأمثل على ذلك. فقد تكون دولة معينة حليفة لدولة أخرى في الحلف الأول وقد تصبح في الجانب المعادي في الحلف الثاني وهذا ما حدث لمملكة

من تيجلاتبليز الثالث ورحب تيجلاتبليز الثالث بهذه الفرصة، فشن حملة عسكرية باتجاه الغرب وذلك بعد السنة التاسعة من حكمه استمرت لمدة عامين فهوجمت دمشق وفرض سيطرته على سوريا وقد وردت في هذه الحملة إشارة إلى السامرة لكن تفاصيلها غير دقيقة بسبب حالة الكتابة المتهشمة[1]، حيث نقرأ في النص ما يلي:

"مدينة السامرة فقط أبقـ[يتها] ملوكهم [... مثل] عاصفة ثلجية... مقاطعات بلاد بيت [... أسرى] من مدينة [...]، 625 أسيراً من مدينة... من مدينة هانيتونا، 650 أسيراً من مدينة قانا [... من مدينة...]، 650 أسيراً من مدينة أر [... كل هؤلاء] السكان مع ممتلكاتهم [أخذتهم في طريقي...] مدينة اروما، مدينة ماروما [... كما إلى ميتيني من] عسقلون (الذي) [نكث] بالعهد والقسم معي [وقام بالعصيان]، (وعندما)، سمع بـ [الهزيمة التي ألحقتها على] رصين الذي [هلك] با[لجنون]. [رو كابتتو، ابن متينيتي] جلس (نفسه) على عرشه. الى... وتوسل إليَّ 500... دخلت مدينته. خمس عشرة مدينة... أد - بئيل على العرب"[2].

كما واستلم الذهب والفضة من آحاز الذي ذهب لمقابلته أي تيجلاتبليزر في دمشق[3] وبعض حكام المدن السورية والفلسطينية حيث نقرأ :

دمشق وحاكم يهوذا فقد كانتا في البداية عدوتين ثم اضطرتهما الظروف إلى التحالف لمواجهة الآشوريين والحد من نشاطهم ورغبتهم في السيطرة على الطرق التجارية المارة بسوريا وفلسطين ينظر، اسماعيل، شعلان كامل: المصدر السابق، ص47-48؛

Wiseman: Two Historical Inscription opcit, p 22-23.

1- السواح: ارام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص245؛ السواح: الحدث التوراتي المصدر السابق، ص104-105. الصالحي: المصدر السابق، ص43

Budge: opcit, p.14; Dalley: opcit, 62.

2- هذا النص يتعلق بالأحداث التي وقعت بعد السنة التاسعة ترجمها لوكنبيل في:

ARAB: Vol. 2, No. 777-779, p. 279-280; ANET: p. 283.

3- يتذمر سفر الأيام أنه كان على احاز أن يدفع جزية الى تيجلاتبلزر الثالث على الرغم من موالاته، وهي اشارة تؤيد الحوليات جزءا منها ويبدو أنه إذا كانت الأحداث في سفر الأيام موثوقة فإن الجزية المفروضة هي التي تعرف عادة كيتو (kittu) والتي تفرض مقابل تقديم المساعدة العسكرية الى تابع في حالة الاضطرابات، ينظر، ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص 141.

"لقد نصبت أد - بئيل مراقباً على مناطق الحدود بالقرب من مصر من كل الأقطار التي... [تسلمت] الجزية من كوشتاشبي من كمخو اوركي من قو، سيب - تئيل من جبيل، انيال من حماة، بانامو من سمأل، ترخولارا من جُم جُم، سالومال من ميلينتي... واسورمي من تابال، وشيّتي من تونا، وربالا من توهانا، توهاميّ من اشتوندا، ماتان - بيل من أرفاد، سانيبو من بيت عمون، سالمانو من مراب، ميتيني من عسقلون، يوآحاز من يهوذا (Ia-u-da-a-a Ia-u-ha-zi)، قوس من آدوم، موزر [...]، هانو من غزة، ذهب، فضة، قصدير، حديد، كحل، أقمشة حريرية مزركشة أطرافها بألوان متعددة، وأثواب من إنتاجهم المحلي والمعمولة من الصوف الأرجواني الغامق، وكل ما هو ثمين من الأواني والأدوات البرية والبحرية التي ينتجونها، وكنوز ملوكهم وخيولهم وبغالهم المدربة على حمل نير الحراثة"[1].

وبعد أن أصبحت يهوذا تابعة للمملكة الآشورية، ازداد نفوذ السامرة بقيادة حاكمها فقح. فقام تيجلاتبليزر بمهاجتمها وحرر في طريقه إلى هناك مناطق جلعاد والعرقوب في شرق الأردن ومن ثم سار وحرر ايجون (مرجعيون) وابيل وبيت معكة وقادش وحاصور والجليل ومناطق أخرى[2]. وقام الملك تيجلاتبليزر الثالث بمساعدة أحد اليهود واسمه هوشع (732-724) ق.م ضد خصمه فقح فتمكن هوشع من قتل خصمه فقح وصار يحكم في السامرة تابعاً للآشوريين وذلك في عام 732 ق.م وألزمه على دفع الجزية السنوية للمملكة **الآشورية**[3]. وجردت السامرة من معظم سكانها باستثناء القلة التي ظلت مع هوشع ولا ترد هذه الحادثة التاريخية في العهد القديم

1- نص مسماري لنقش عماثري من نمرود أول من نشره رولنصون وترجم من قبل لوكنبيل في:
ARAB: Vol.1, No.800-801, p. 287-288; ANET: p. 282.

2- بعد أن حرر شرق الأردن من احتلال دويلة السامرة قام بتاسيس ثلاثة أقاليم ادارية في منطقة فلسطين ووضعت تحت الحكم الآشوري وهي قرنيني (قارنايم)، حاروينا (حوران)، كالازا (جلعاد). ينظر . الأحمد: تاريخ فلسطين القديم المصدر السابق، ص 223؛ الحديدي: المصدر السابق، ص 34؛

Oded, B., "Observations on Methods of Assyrian Rule in Transjordinia after the Palestine Campaign of Tigath-pileser", JNES, Vol. 29, 1970, p.179.

3- الصالحي: المصدر السابق، ص 45-46؛ ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص 131؛ سوسة: ملامح من التاريخ القديم المصدر السابق، ص 305-306.

وكان مجموع الذين نقلوا في هذه الحملة كبيراً حيث وضعهم الملك تيجلاتبليزر الثالث في مناطق حلح وكوزان وهارا ، ودمرت في ذلك الهجوم الطبقة الخامسة في خاصور وكذلك القصر الملكي في السامرة، وبذلك صارت معظم فلسطين تابعة للاشوريين ما عدا أربع مدن فلسطينية[1] حيث جاء في النص المسماري ما يأتي:

"مدينة حاتريكا وكل الأراضي إلى جبال سيوا ، [... المدن:]، جبيل، ... سيميرا ، أرفاد ، زيمارا ، ... وزانو ، ... مدن... البحر الأعلى بسطت نفوذي عليها. ستة من موظفي وضعتهم حكاماً عليهم. [... مدينة] اشبونا الواقعة على ساحل البحر الأعلى، [المدن...]، كالزا ، وابيلاكا المتاخمة لبيت عمري (Bit-Hu-um-ra) [الأرض الواسعة] بكاملها وحدتها مع آشور. ووضعت موظفيّ حكاماً عليهم. أما هنانو من غزة الذي هرب أمام قواتي والتجأ إلى مصر ، فقد [سيطرت] على مدينة غزة... وعلى ممتلكاته الشخصية وعلى تماثيل آلهته [ووضعت بدلها (؟)] تمثال [... آلهتي] وتماثيلي في قصره... وأعلنتها (عليهم) على أنها (منذ ذلك الوقت فصاعداً) الآلهة الرئيسة في البلاد. وفرضت على [أهلها الجزية]. [أما مناحيم فقد] انقضضت عليه [كعاصفة ثلجية] و... هرب لوحده كالطير [وعاد وسجد أمام قدماي (؟)]. فأعدته إلى قصره. [وفرضت عليه الجزية...] ذهب، فضة وعباءات حريرية مزركشة... [واستلـ]ـمت من (بيت عمري) (Bit-Hu-um-ra)... كل السكان (و) أمتعتهم قدتهم إلى آشور. ثم ثاروا على حاكمهم فقح (Pa-qa-ha) فجعلت مكانه هوشع (A-u-si-') ملكاً عليهم. واستلمت منهم 10 وزنة من الذهب، 1000 وزنة من الفضة، كـ [جزية] وجلبتهم إلى اشور"[2].

لقد كانت حملة تيجلاتبليزر الثالث على السامرة بداية لنهايتها ، وقد جاءت حملته هذه في نطاق حملته الواسعة على سوريا وفلسطين وأما الآثار السياسية التي

1ـ الصالحي: المصدر السابق. ص 46؛ دو لابورت: المصدر السابق. ص 272ـ273؛ طومسون: المصدر السبق. ص 234ـ235؛ Dalley: opcit, p. 62.

2ـ نص لسنة غير معلومة وهي جزء من الحوليات التي نشرها رولنصون وقام بترجمتها لوكنبيل في:
ARAB: Vol. 1, No. 815-816, p. 292-293; ANET: p. 283-284; Wiseman: The Two Histoical opcit, p. 23-24.

يذكر النص الإنكليزي أنها متاخمة لأرض إسرائيل بينما ورد في النص بيت عمري.

ترتبت على هذه الحملة فقد أنهت مملكة دمشق الآرامية وقلص نفوذ السامرة مما أتاح الفرصة لمدن يهوذا ومؤاب وعمون بمد نفوذها إلى مناطق واسعة كانت تابعة لدمشق فضلاً عن بعض المناطق المجاورة وفتحت هذه الحملة الطريق للاحتكاك الآشوري المباشر مع مصر والقبائل القاطنة في شمال الجزيرة العربية[1].

1- السواح: الحدث التوراتي المصدر السابق، ص 160؛ الأحمد: تاريخ فلسطين القديم المصدر السابق، ص 223؛ فرحان: المصدر السابق، ص 90؛ Budge: opcit, p.14.

المبحث الثاني

شيلمنصر الخامس (727-722) ق.م

توفي تيجلاتبليزر الثالث عام 726 ق.م، تاركاً لابنه مملكة واسعة الأرجاء متماسكة الأطراف تمتد من الخليج العربي إلى حدود مصر وكان الغموض يكتنف هذه الفترة والسبب في ذلك يعود إلى قلة الوثائق المدونة عنها فضلاً عن قصر مدة حكم شيلمنصر الخامس الذي دامت بحدود ست سنوات، ولم يصلنا من آثار هذا الملك سوى نقش واحد على قطعة من أسطوانة تذكارية من معبد الإله نبو في بورسيبا تثبت أنه كان كأبيه ملكاً على بابل واتخذ لنفسه اسم "أولولاي" كما جاء في قائمة ملوك بابل وإن معظم ما يعرف عن شيلمنصر الخامس وحملاته العسكرية على اليهود، إنها مستقاة على العهد القديم وعلى ما كتبه يوسفيوس ومن السجلات البابلية[1].

شهدت المملكة الآشورية تطورات سياسية مهمة في جهة الغرب على أثر اعتلاء الملك شيلمنصر الخامس العرش، حيث واجه الملك موقفاً جديداً في فلسطين ومنطقة جنوبي سوريا ذلك لأن العمليات العسكرية الآشورية في عهد تيجلاتبليزر الثالث حققت السيطرة على الساحل الفلسطيني جنوباً إلى المنطقة التي تعرف حالياً في غزة[2]. وكان ذلك تهديداً واضحاً لمصر حيث ادى إلى اضطراب التجارة المصرية نتيجة وجود الآشوريين الذين عرقلوا عملية تصدير الخشب من لبنان إلى مصر والتي عدتها مصر تهديداً خطيراً لأمنها[3]. وكانت هذه العوامل تؤلف خلفية محاولات

1- Hallo: The Ancient Near East opcti, p.31-32; Hallo: Mesopotamia opcit, p.1503.

2- ساكز: قوة آشور: المصدر السابق، ص134؛ ANET: p.283.

3- Saggs, "The Nimrud Letter opcit, p.127ff.

مصر تنظيم حركة ضد الآشوريين في فلسطين وجنوب سوريا في السنوات التالية وكان أخطر تلك النتائج هو حصار الآشوريين وفتحهم مدينة السامرة[1].

بدأ المصريون باتصالات دبلوماسية مضادة محاولين تحريض الدويلات الصغيرة في فلسطين وجنوب سوريا ، فإن هوشع حاكم السامرة رفض دفع الجزية للآشوريين بتحريض من مصر ووعد بالمساعدة منها ، لذلك تقدم شيلمنصر الخامس نحو السامرة وحاصر المدينة لمدة ثلاث سنوات ثم سقوطها في قبضته عام 722 ق.م[2]. لكن الشكوك تدور حول من الذي احتل المدينة هل هو شيلمنصر الخامس أم الملك الذي خلفه على العرش، فهناك من يرى اعتماداً على المصادر التوراتية أن شيلمنصر الخامس قام بمحاصرة السامرة لمدة ثلاث سنوات والسيطرة عليها وتدميرها[3]. لكن رواية العهد القديم تتعارض مع النصوص الآشورية وادعاء سرجون بإخضاعه السامرة وترحيل سكانها ، ومن أشهر من ناقش هذا الخلاف الحاصل بين الرواية التوراتية والآشورية أو المستبد الذي حدد في بحثه أن سقوط السامرة حصل عام (723) ق.م في عهد الملك شيلمنصر الخامس وما ادعاء سرجون إلا نوعاً من التفاخر الشخصي حيث لا نجد أي مصدر آخر يؤيد ادعاءه في حين نجد الرواية التوراتية تجد صداها في مصدر آخر هو النصوص البابلية[4]، حيث لم ترد في النصوص الآشورية حول هجوم شيلمنصر الخامس على السامرة وما يرد في النصوص البابلية الاشارة الموجزة الآتية: "شيلمنصر دمر مدينة السامرة (KurSa-me-ri-na)"[5].

1ـ ساكر: قوة اشور المصدر السابق، ص135؛ حتي: المصدر السابق، ص213.

2ـ ساكر: عظمة بابل المصدر السابق، ص143؛ الاحمد: تاريخ فلسطين القديم المصدر السابق، ص224؛ باقر: المصدر السابق، 2/392ـ393.

3ـ الصمادي: المصدر السابق، ص8؛

Mallowan, M.E.L., "Samaria and Calah (Nimrud): Conjunctions In History and Archaedology" In Archaedology In Levant., ed by Moory, R.; Parr, P., England - 1978, p. 155.

الصالحي: المصدر السابق، ص 49.

4- Olmstead, A.M., "The Fall of Samaria", AJSL, Vol.21, 1904-1905 , p.179-182; Thile, E., R., "The Chronology of the Kings of Judah and Isreal", JNES, Vol.3, No. 3, p.173-174.

5 -ARC: p. 15; Tadmor, H., "The Campaigns of Sargon II of Assur: Achrological Historical Study", JCS, Vol. 12, No.2, 1958, p.33.

يتبين لنا مما تقدم أننا نعاني من قلة المعلومات المدونة عن هذه الفترة، ولكننا نستطيع أن نستنتج أن الملك شيلمنصر الخامس جرد حملة تأديبية على السامرة فحاصرها مدة ثلاث سنوات، وبذلك تم استسلام السامرة والقضاء عليها نهائياً وسنرى ادعاء سرجون في السنة الأولى من حكمه أنه تمكن من فتح السامرة.

الصالحي: المصدر السابق، ص49.

المبحث الثالث

سرجون الثاني (721-705) ق.م

يكتنف الغموض الظروف التي جاءت بسرجون الثاني العرش، حيث لا يعرف علاقته بسلفه، حيث ليس هناك خبراً قاطعاً عن كيفية موت شيلمنصر الخامس وهل مات ميتة طبيعية ام اغتاله سرجون ليتولى الملك عوضاً عنه فاعتلى العرش عام (721) ق.م، وكان على رأس سلالة حكمت حتى نهاية كيان الآشوريين السياسي، ولشهرته سميت هذه السلالة من قبل الباحثين بالسلالة السرجونية، لأنه كان المؤسس لها، انصرف لمدة عام بعد تتويجه بالقضاء على الفتن والاضطرابات الداخلية التي صاحبت توليه العرش بصورة غير شرعية، ويبدو أن بعض أقاليم ومقاطعات المملكة الآشورية قد استغلت هذه الظروف وأعلنت التمرد[1].

مصادر معلوماتنا عن اليهود في عهد سرجون الثاني تتحصر في النصوص المسمارية والمدونات التي كانت تزين جدران قصره في دور - شروكين = حصن سرجون[2]، كما ترك سرجون العديد من المسلات بعد الانتصارات التي حققها في معركة القرقر، فقد عثر بوتا عام 1843م بين أطلال مدينة سمأل سنجرلي على مسلة لسرجون عليها كتابة تشيد بأمجاد عهده وانتصاراته، كما عثر على مسلة

1- علي، قاسم محمد: سرجون الاشوري (721-705 ق.م) سيرته ومنجزاته، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد - 1983. ص63؛ ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص 135؛ رو: المصدر السابق، ص415

Smith, S., "The Supremacy of Assyria", In: CAH, Vol. 3, p. 32-33; ARAB: Vol.2, No.132-135, p.69-70 ; Hallo: Mesopotamia opcit, p.1503.

2- تقع على بعد اثني عشر ميلا شمال غربي نينوى على الضفة الغربية لنهر دجلة ينظر، رو: المصدر السابق، ص369-370؛ ساكز: قوة أشور المصدر السابق، ص142-143؛ السعد: المصدر السابق، ص109.

أخرى نقشت عليها باللهجة الآشورية والخط المسماري تفاصيل الحملة الآشورية على السامرة والتي انتهت بالقضاء عليها[1].

لقد وقعت حادثتان مهمتان سيكون لهما أبلغ الأثر على الإستراتيجية والسياسية الآشورية في المئة عام القادمة هما: تدخل مصر في فلسطين، وعيلام في بابل. فقد ألمحنا سابقاً إلى أن حملات تيجلاتبليزر الثالث داخل الهضبة الإيرانية قد أدت إلى قطع طرق التجارة الوحيدة التي بقيت مفتوحة أمام عيلام. بينما أدى فتحه لفينيقيا إلى حرمان مصر من نفوذها هناك وانتزع منها مواردها الاقتصادية واتصالاتها البرية والبحرية[2]. وهكذا عمد كلا الطرفين إلى اللجوء إلى وسائط أقل تأثيراً ونتائج فقاموا بتغذية التمردات في الأقاليم التابعة للمملكة الآشورية[3]. ما يهمنا في هذا المجال حكام المدن في فلسطين الذين عندهم آذان صاغية واستعداداً التمرد كلما سنحت لهم الفرصة ففي بابل ثار عليه مردوك - بلا - أدينا (مردوخ بلادن في العهد القديم أشعيا 1: 43)[4]. زعيم قبيلة كلدو وتمكن من اغتصاب العرش البابلي بمساعدة مملكة عيلام. ورغم محاولات سرجون الثاني القضاء عليه في الفترة الاولى من اعتلائه العرش، لكنه اضطر أن يوقف أي تحرك ضد مردوك - ابلا - ادينا لمدة عشر سنوات بسبب انشغاله في الجبهة الغربية[5] وقد أعلنت بعض

1- السعد: المصدر السابق، ص101؛ سوسة: العرب واليهود المصدر السابق، ص307-308؛ سوسة: ملامح من التاريخ القديم المصدر السابق، ص25-26.

2 -Saggs: The Nimrud Letters opcit, p.127-128; Wiseman, Two Historical Inscription opcit, p.21-26.

علي، قاسم محمد: المصدر السابق، ص63.

3- Brinkman, J., "Elamite Mlitary Aid to Merodach Baladan", Iraq , Vol. 24, 1965, p.161.

4- رو: المصدر السابق، ص416؛ ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص135-136.

5- علي، قاسم محمد: المصدر السابق، ص67-76. وبعد تمكن سرجون من توطيد مركزه في الجبهة الغربية توجه نحو بابل عام 710 ق.م واعاد سيطرته عليها ونصب نفسه نائبا للإله عليها غير انه اعاد تنصيب مردوخ - ابلا - ادينا زعيما على قبيلته بعد ان قدم له الخضوع والطاعة للاستزادة في المعلومات ينظر:

Gadd, C.J., "Inscribed Barrel Cylinder of Marduk-Apala-Idina", Iraq, Vol.15, pt 2, 1953, p.131-132; Gadd, C.J., "Inscribed Prisms of Sargon from Nimrud", Iraq, Vol.16, 1954, p. 172-201; Tadmor, The Campigns of Tiglath-Pileser III opcit, p.32-33.

المدن السورية والفلسطينية التمرد ومنها مدينة السامرة، فقد كانت تابعة للبلاط الآشوري أثناء حكم تيجلاتبليزر الثالث، ولكنها استغلت الأوضاع المضطربة خلال حكم شيلمنصر الخامس وأعلنت تمردها على الحاكم الآشوري ورفضت دفع الجزية، ولكن تصرف شيلمنصر الخامس المتمثل بالتحرك صوب السامرة وأخضع هوشع وأرغمه على دفع الجزية، يعكس أهمية المنطقة وإستراتيجيتها بالنسبة للآشوريين والمرجع بين الباحثين أن سرجون الثاني كان القائد العسكري الذي قاد حصار السامرة إما بحضور وقيادة شيلمنصر الخامس آو بغيابه[1].

أخذت السامرة تنسق موقفها مع مصر، بعد أن شعرت بعجزها عن الوقوف وحدها أمام الآشوريين وكان موقف السامرة ينال دعماً وإسناداً من المصريين ويبدو أن استعدادات السامرة كان أفضل عسكرياً، وبقيت السامرة محاصرة من قبل الجيش الآشوري[2]، وقد لعب إحكام الحصار على المدينة دوراً كبيراً في إخضاعها واستسلامها سنة (721) ق.م[3]، فتفشت المجاعة بين سكان المدينة ولم تصلهم الإمدادات والمعونة التي وعدهم بها المصريون، وسقطت السامرة وانتهت من الوجود وتم ترحيل أعداد من السكان أسرى حيث يخبرنا سرجون بأنه أسر 27.290 شخصاً وأسكنهم كما يخبرنا العهد القديم في المقاطعات الآشورية كلخ (نمرود) وكوزان

الشمس، ماجد عبد الله: "من تاريخ الفترة الآشورية في القسم الجنوبي من العراق"، سومر، م29، 1973، ص293-294. وهي النفاثة بارعة من سرجون في تصريفه للأمور فربما ادرك مقاصد مردوخ - ابلا - ادينا في الزعامة فأولاد جانبا منها مقابل تخليه عن الحرب وخضوعه للاشوريين. ينظر علي، قاسم محمد: المصدر السابق، ص76؛ Smith: opcit, p. 48-49.

1- ينظر المبحث الثاني من هذا الفصل؛ علي، قاسم محمد: المصدر السابق، ص64؛ ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص143؛ Mitchell: opcit , p.53.

2- علي، قاسم محمد: المصدر السابق، ص65؛ Johnson: opcit, p.72.

3- 2ملوك: 17-6

Albright, W.F., "The Original Account of the Fall of Samarina In II Kings", BASOR, No. 174, 1964, p.66-67.

فهناك من يرى بأن الحملة الأولى ضد السامرة حدثت سنة 727 ق.م بينما حدثت الحملة الثانية عام 725ق.م واستمرت الى عام 721 ق.م لكن غالبية المؤرخين في الوقت الحاضر يأخذون برواية سرجون وان السامرة سقطت في السنة الأولى من حكمه عام 721 ق.م ينظر
ANET: p.284-285; Tadmor: The Campaigns of Sargon II opcit, p. 33.

(تل حلف) ومدن مادي[1]. ووضع عليها حاكماً آشورياً لإدارة مدينة السامرة وفرض الجزية عليها بالقدر الذي كان يؤخذ منها سابقاً حسبما ورد في النص المسماري.

نقش وصفي عام: يخص سقوط السامرة[2]

ترجمة النص:

"ملك العالم، ملك آشور، ملك سومر وآكد الملك سرجون الملك العظيم، الملك القوي، فاتح السامرة (Sa-mir-i-na-a-a) وكل البلاد بيت عمري (Bit-Hu-um-ri-a) والذي ضرب اشدود (و) شينوختي والذي أمسك الإغريق الذين (يسكنون الجزر) في البحر، مثل السمك، والذي قضى على كسكو وجميع بلاد تبال وكيليكيا وخيلاكو، والذي طارد ميداس ملك مشكو، الذي قهر مصر في رفح، الذي أخذ هنانو ملك غزة أسيراً، الذي أخضع الملوك السبعة في بلاد يدنانا في البحر على مسافة مسيرة سبعة أيام"[3]. حيث جاء في أحد النصوص الحولية:

"في بد [اية حكمي الملكي أنا...... بلد السامـ]ريين (^{Kur}Sa-mir-i-na-a-a) [حاصرتها، وفتحتها] (2 سطر محطمة) [لأجل الإله...... الذي جعـ] لني أحرز (هذا) الانتصار...... وقد سقت كسجناء [27.290 من سكانها (و) [جهزت] من بينهم [(جنوداً ليقودوا)] 50 عربية لأجل حرسي الملكي...... [المدينة أنا] أعدت [بناءها] بأحسن مما (كانت عليه) من قبل و [أسكنت] فيها أناساً من بلاد آن التي [أنا]

1- من العهد القديم عرفنا أين رحل سرجون اليهود فان النصوص التاريخية التي تعود لحملته لا تشير الى ذلك. Mitchell: opcit, p.53; Dalley: opcit, p.62.

2- نشر هذا النص من قبل
Winckler, H., Die Keilschrifttexte Sargons (Leipzig - 1889), I, p.147 f, II,p. 138.
وترجم من قبل لوكنبيل في
ARAB: Vol. 2, No. 99, p.51; ANET: p. 284.

3- جدير بالذكر ان سرجون قد كرر فتح السامرة في عدة نصوص ولعل ما يلفت النظر فعلا ان معلومات محرري التوراة بخصوص المملكة الاشورية ودورها في أحداث النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد قد بقيت غامضة ومشوشة، فسرجون الثاني بقي مجهولا لديهم تماما ومحرر سفر الملوك الثاني لم يخصه بخبر واحد رغم حملاته الشهيرة، السواح: ارام، دمشق، اسرائيل، المصدر السابق، ص 245؛
ANET: p.284; Hallo: The Ancient Near East opcit, p.32.

بنفسي [قد سيـ]طرت عليها. ونصبت عليها موظفاً من موظفي كحاكم عليهم وفرضت عليهم ضرائب كما (هي العادة) كمواطنين أو رعايا آشوريين"[1]

وفي نص وصفي اخر يتحدث سرجون قائلاً:

"لقد حاصرت وفتحت السامرة (KurSa-mir-i-na-a-a)، وسقت غنيمة 27.290 من سكانها وقد ألفت من بينهم فرقة لخمسين عربة وجعلت الباقين من (السكان) يأخذون أماكنهم (الاجتماعية) وقد نصبت عليهم موظفاً من موظفي، وفرضت عليهم ضرائب الملك السابق هنانو، ملك غزة وكذلك سبأ (شبكا) قائد مصر قد سار من رفح علي فقابلتهما في موقعة فاصلة. فقهرتهما وقد فر سابي (شبكا)، خائفاً عندما (فقط) سمع ضوضاء جيشي (الزاحف)، ولم ير بعد ثانية. هنانو، فقد قبضت عليه شخصياً. وتسلمت الجزية من فرعون مصر وكذلك من شمشي ملكة العرب (و) أتامار السبئي، ذهباً في صورة تبر وخيلاً (و) جمالاً"[2].

وفي نص آخر يقول سرجون:

"أماني من أشدود، خاف من قوة جيشي المسلحة، ترك زوجته وأولاده وفر إلى حدود مـ[صر] التي كانت تابعة لملوخا (أي أثيوبيا)، وبقي هناك كاللص. فنصبت موظفاً من موظفيّ حاكماً على كل البلاد الواسعة وأهلها (وبذلك) وسعت (ثانية) الإقليم التابع لآشور ملك الآلهة. وعلى أية حال فإن هيبة آشور سيدي الذي يبعث الفزع (قد) تغلب على ملك ملوخا فألقى به (أي أماني) في الأغلال في يديه وفي قدميه وأرسله إلى بلاد آشور. وقد سيطرت ونهبت بلاد شينوختي (و) السامرة

1ـ حيث عثر في خرسباد (دور ـ شروكين Duu-Sharukin) على بقايا جدران قصر سرجون وعليها حولياته منقوشة على الواح حجرية ـ رغم ما فيها من طابع المبالغة تكشف الكثير من أعمال سرجون الثاني وهذه النصوص الحولية المقتبسة بحسب ما جاء في
Lie, A.G.: The Inscriptions of Sargon II, King of Assyria, Part 1, The Annals (Paris-1929).
وقد نشرت هذه النصوص واخر اصدار لها في Winckler واخر ترجمة انكليزية لهذه الحوليات في:
ARAB: Vol. 2, No.4, p.2; ANET: p. 284.

2 ـ ANET: p. 284; ARAB; Vol. 2, No. 55, p. 26-27.

(KurSa-mir-i-na-a-a) وكل بيت عمري (Bit Hu-um-ri-ia). ومسكت كسمك، الإغريق الذين يعيشون (في جزيرة) وسط البحر الغربي"[1].

يتبين لنا من سياق النصوص السابقة أن سرجون عندما تولى العرش الملكي، ادعى أنه تمكن من السيطرة على السامرة في بداية حكمه ولكن تطورات الأوضاع السياسية في العاصمة آشور تتطلب منه تواجده هناك على أثر التمرد الذي قام ضد شيلمنصر الخامس، حيث تمكن من السيطرة على زمام الأمور ومنحه الحقوق والامتيازات لمدينة آشور ومدن أخرى. ويمكن التأكيد هنا استناداً إلى ما ورد في النصوص البابلية أن شيلمنصر هو الذي فتح السامرة وأن التغير الذي حدث في السلطة الآشورية وصعود سرجون ملكاً عليها من المحتمل عدم معرفة الجيش الآشوري الذي دمر المدينة بعد طول حصار وحتى أن سكان السامرة المحاصرين كانوا لا يعرفون أي تغير في نظام الحكم والعهد القديم لا يشير بصراحة من أسقط السامرة. على أية حالة ادعى سرجون في نصوصه أنه فتح السامرة وأخذ 27.290 أسير وألف وحدة عسكرية من 50 من راكبي العربات وضمها إلى قوات حربه الملكي، وسمح لبقية الناس العمل والعيش بحرية وأعاد بناء المدينة بأحسن ما كانت عليه سابقاً وتمكن من تحويل السامرة إلى إقليم آشوري ورحل سكانها وحل محلهم سكان من المناطق التي سيطر عليها ونصب حاكماً آشورياً لإدارتها وفرض الجزية عليها.

إن استسلام مدينة حماة السريع في عهد تيجلاتبليزر الثالث، قد أنقذها من الدمار وبذلك تركزت عليها امال الخلاص من السيطرة الآشورية فعندما اغتصب ايلوبعدي العرش من أمير حماة، حيث استغل (ايلو بعدي) موت الملك شيلمنصر الخامس فثار على حاكم المدينة ايني - ابيل Eni-il وقتله واغتصب منه السلطة[2].

1- عثر على نص حولي في الغرفة XIV من قصر سرجون نشرها Winckler ثم ترجمها وهمش عليها في: Weissbach, F.H., ZDMG, LXXII, No.79-80, p. 176ff. تم ظهرت لها ترجمة في: ARAB: Vol. 2, No. 99, P. 51; ANET: p. 284-285.

2- الأمين. محمود: "تعليقات تاريخية على حملة سرجون الثامنة". سومر، م 5. بغداد - 1949. ص219؛ منصور: المصدر السابق، ص41؛

ونجح خلال بضعة آشهر من تشكيل حلف جديد تحت قيادته وبتحريض من مصر بعد أن حملت هنانو ملك غزة على عقد حلف معها ، حيث تمكن من العودة إلى الحكم في مدينته بمساعدة المصريين وأن الفرعون المصري الذي اغتصب السلطة في مصر بعد ممات الفرعون بسماتيك سنة (722) ق.م أصغى باهتمام لتضرعات هنانو، ووعد بإرسال جيش إلى غزة تحت إمرة قائده التورتان[1]. وحمل ملك حماة معه في العصيان والتمرد ضد المملكة الآشورية، ملك أرفاد، سيميرا، السامرة وأخيراً دمشق[2]. ولا نعرف كيف شاركت دمشق في هذا الحلف بعد زوالها بوصفها مملكة مستقلة وضمها إلى المملكة الآشورية والأغلب أنها قد ثارت على الحاكم المعين عليها من آشور ولجأت إلى ملك حماة الجديد، الذي وعدها بالحمأية وتأمين الاستغلال. ومثلها في ذلك مدينة سيميرا التي كانت قد الحقت بآشور قبل دمشق. أما هوشع ممثل السامرة فقد كان يتلقى تحريضاً مستمراً من مصر على التمرد، ووعوداً بالدعم العكسري والمادي، وقد وجد في دعوة حماة مناسبة لبدء عصيانه[3]. فأسرع سرجون الثاني وجهز حملة عسكرية وسلك طريق سلفه شيلمنصر الثالث عام (853) ق.م ولاقى الثائرين في قرقر وكان ذلك في السنة الثانية من حكمه عام (720) ق.م وما تعرض له هذا الحلف من هزيمة قاسية لعدم تكافؤ القدرات العسكرية[4] وأخذ ايلو - بعدي أسيراً. آما مدينة قرقر فقد أحرقت حتى الأرض وهدمت تحصينات حماة وقد أجبرت المدينة لأن تجهز قوة تتألف من 200 سائق عربة و 600 فارس وآضيفوا إلى قوات سرجون الملكية. أما مدينة آرفاد وسيميرا والسامرة ودمشق فقد استسلمت جميعاً بدون معارضة جدية وإن السكان الذين شاركوا في التمرد قد دفعوا حياتهم ثمناً لذلك. وبعد هذا النصر زحف سرجون بجيشه لملاقاة

Millard, A.R., "Alphabeitcal Inscretpion on Iroveis from Nimrud", Iraq, Vol. 24, 1962, p. 43.

1- علي، قاسم محمد: المصدر السابق، ص77-78؛ ANET: p.285; ARAB: Vol.2, No. 5, p. 55.

2- الصمادي: المصدر السابق، ص9؛ الخازن: المصدر السابق، ص132-133.

3- السواح: آرام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص248؛ Williams: opcit, p.74.

4- دو لابورت: المصدر السابق، ص274؛ ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص144؛ ANET: p.285; ARAB: Vol.2, p.55.

جيش هنانو ملك غزة الذي كان جيشه قد تأخر لسبب ما عن الاشتراك في الموقعة التي هزم فيها ملك حماة ومن المحتمل ان هذا التأخير كان سببه انتظار مدد عسكري من مصر ، وقد قاومت غزة ولم تستسلم وسببت اضطراباً كبيراً للآشوريين، ولقد ظهر الآشوريون عند أسوار غزة وإن هنانو الذي لاقى نكسة في اشتباك أولي تراجع إلى رافيا (رفح) وإن القائد المصري لم يصل في الوقت، فوقعت المعركة الحاسمة أمام هذه المدينة، وكان الاشتباك حامياً وكان الآشوريون مستعدين تمام الاستعداد لها وبفضل قيادة سرجون البارعة ربحوا المعركة وهرب (سبأ) المصري "مثل الراعي الذي سرقت أغنامه"، والتجأ اياماني إلى مصر لكن ما لبث أن جرى تسليمه من قبل الملك النوبي الذي أصبح سيداً على مصر فجلب إلى آشور مكبلاً بالأغلال[1] وسقطت رافيا (رفح) بأيدي سرجون وأحرقت بالنار، وبذلك أقر الفرعون بالوضع الجديد وحاول إقامة علاقات سلمية وتجارية مع الآشوريين وقد أشار سرجون إلى ذلك "لقد فتحت ميناء مصر المسدود وجمعت (خلطت) الآشوريين والمصريين سوية وجعلتهم يتاجرون فيما بينهم"[2].

ويتضح من هذا النص السيطرة الآشورية على التجارة بين مصر وبلاد الشام، وكذلك الدوافع الاقتصادية التي كانت وراء المساعدات المصرية لمدن سوريا وفلسطين. أما المدن السورية والفلسطينية فلم تكن لتتأخر عن أية محاولة للحد من السيطرة والنفوذ الآشوري[3]. حاولت حماة ثانية إقامة حلف آخر مناوئ للآشوريين بالاتفاق مع أرفاد والسامرة وكان ذلك في عام (716) ق.م وقد آمكن القضاء على ذلك الحلف بسهولة ووضعت حماة تحت الحكم المباشر. ويلمح العهد القديم أيضاً

1- رو: المصدر السابق، ص417؛ Williams: opcit, p.74-75.

2- علي، قاسم محمد: المصدر السابق، ص79؛
Tadmor, H., "The Compaians of Sargon II of Assur", JCS, Vol. 12 , No.1, 1958, p.34; Gadd, S.G., "The Inscribed Prisms of Sargon II from Nimrud", Iraq, Vol.16, 1954, p.179.

3- اسماعيل، شعلان كامل: المصدر السابق، ص49؛ علي، قاسم محمد: المصدر السابق، ص78.

إلى عمليات أخرى قام بها سرجون في المنطقة الساحلية في جنوب فلسطين[1]. فقد جاء في النص المسماري تفاصيل هذه الأحداث كالآتي:

"في السنة الثانية من حكمي الملكي، [ايلو - بعد]ي [من حماة]…. كبير [جيشي] أحضر عند مدينة قرقر Qarqar (ناسين) الإيمان [التي عقدوها…] [مدن أرفاد، سيميرا]، دمشق والسامرة (KurSa-mir-i-na-a-a) [ثاروا ضدي] (فجوة في النص لا يعرف مقدارها) وأنه (أي هنانو من غزة) عمل [اتفاقاً معه (أي الفرعون)] وقد دعا (الفرعون) قائده سبأ Sib'e لمساعدته (أي لمساعدة هنانو)، وزحف (أي سبأ) ضدي للقتال في موقعة فاصلة، وقد حاقت بهما (أي هنانو وسبأ) هزيمة وذلك حسب أمر وحي أعطاه سيدي آشور، وسبأ قد اختفى (كالراعي) الذي سرق قطيعه وفر وحده واختفى (أما) هنانو فقد قبضت عليه (شخصياً) وأحضرته معي في الاغلال إلى مدينتي آشور وقد دمرت رفح وهدمت (جدرانها) وأحرقتها. وسقت في طريقي كسجناء 9.033 من سكانها مع أمتعتهم الكثيرة"[2].

وجاء في نص آخر:

"ايلو - بعدي من حماة، رجل من العامة ليس له حق في العرش، حيثي ملعون، قام بمؤامرة ليكون ملكاً على حماة. وحرض أرفاد، سميرا ودمشق السامرة (KurSa-mir-i-na-a-a)، لتتخلى عني وجعلها تتعاون وتؤلف جيشاً. فجمعت جموع جنود آشور وحاصرته هو وجنوده في قرقر Qarqar، وهي مدينته المحبوبة إليه فسيطرت (عليها) وأحرقت(ها). أما هو فسلخته وأما الثوار فقتلتهم في مدنهم وأعدت (ثانية) السلام والوئام. وألفت فرقة من 200 عربة و 600 فارس من بين سكان حماة وآضفتهم إلى حرسي الملكي"[3].

1- ساكز: قوة آشور المصدر السابق. ص136؛ فرحان: المصدر السابق. ص95-96.

2- النص المسماري المذكور انفا حسب اقتباس Winckler, Lie ثم ترجمها لوكنبيل
ARAB: Vol.2, No.55, p.27; ANET:.p. 285; Saggs, H.W.F., "Historical Texts and Fragments of Sargon II of Assyria", Iraq, Vol.37, pt. 1, 1975, p.15.

3- نص وصفي (استعراضي) حسب اقتباس Winckler ثم ظهرت ترجمة له في
ARAB: Vol. 2, No.55 , p.27; ANET: p. 585.

يتبين لنا من سياق النص السابق الإجراءات التي عمل على اتخاذها سرجون تجاه السامرة التي انضمت إلى التحالف المناهض للآشوريين ويبدو أن السامرة أرادت التخلص من الحكم الآشوري بالانضمام إلى حلفهم حماة أرفاد ودمشق السيميرا ويبدو ان هذا التحالف لم يكن متجانساً ولم تكن لديه خطة سريعة مثل سرعة الجيش الآشوري الذي وصل إلى القرقر وتمكن من تشتيت الحلف والقضاء على المدن ومن ضمنها السامرة ولم يظهر أي نشاط فعال بعد ذلك.

وفي عام (715) ق.م وهو العام السابع من حكم سرجون الثاني وجه نشاطه نحو القبائل العربية القاطنة في البادية ممن رفضوا دفع الجزية له. وقد ذكر بعض هذه القبائل مثل ثمود Ta-mu-di وموطنها شمالي الحجاز بالحجر وثمود هم الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم[1]. وقبيلة عباديدي Ibadidi، مرسيماني Mar-si-mani، حيابة Hayabba، كما أن شمسي Sa-am-si ملكة العرب في البادية قد قدمت له الجزية[2]. حيث أشار النص المسماري إلى وقوع معركة بين سرجون الثاني والقبائل العربية المشار إليها آنفاً، وتمكن سرجون الثاني من إلحاق الهزيمة بتلك القبائل إلى مدينة السامرة في فلسطين[3] وكان لترحيل القبائل العربية الى السامرة سبب آخر غير السبب المتعلق بمحاولة تفريقهم للحيلولة من قيامهم بأي نشاط عدائي ضد المملكة الآشورية، وهو محاولة سرجون الثاني تحويل تجارة البخور والتوابل نحو مدن فلسطين وسوريا بدل مرورها عبر الطريق الصحراوي، والصعوبات التي يلاقونها في السيطرة على القبائل العربية هناك. وقد قام سرجون الثاني كذلك بترحيل قبائل أخرى وإسكانها في مكان يقع بالقرب من العريش، وعين موظفاً

1- سورة إبراهيم: الاية 140. سورة الحج: الاية 22. سورة العنكبوت: الاية 29؛ الروسان، محمود محمد: نقوش ثمودية جديدة، رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الاداب، جامعة اليرموك. الأردن - 1994.

2- الكيلاني: المصدر السابق. ص49؛ غالب: المصدر السابق. ص60. 133-134؛ Budge: opcit, p.14; Eph'al: Anceint Arabs opcit, p.36.

3- جدير بالذكر ان المرحلين إلى السامرة قد عرفوا فيما بعد بالسامريين وهم خليط من البابليين والاشوريين وسواهم وبعض السكان من أهل السامرة وكونوا فيما بعد المعارضة ضد العدائيين من بابل. ينظر الصالحي: المصدر السابق. ص57؛ Tadmor: "The Camaigns of Sargon II opcit", p.39

عربياً عليهم اسمه لبان La-ba-an، هذه الأعمال والفعاليات التي قام بها الملك سرجون الثاني لم تكن سوى دلائل على عزمه على السيطرة على المنطقة بوسائل سلمية من أجل توطيد سياسته في التبادل التجاري[1].

سنورد أدناه النص المسماري والذي يهمنا منه الجزء المتعلق بترحيل تلك القبائل العربية إلى السامرة.

"السنة السابعة: وبوحي من الإله آشور، فقد سحقت قبائل ثمود، عبايدي، مرسيماني وحيابه، العرب الذين يعيشون في بلاد نائية بعيداً في الصحراء، (و) الذين لا يعرفون غريباً ولا يعترفون بأي ناظر ومسؤول، انهم (لم) يقدموا الجزية حتى الآن لأي ملك وقد أقدمت على ترحيل (بقاياهم) ممن نجا من الموت وأسكنتهم في السامرة (KurSa-mir-i-na-a-a) ومن فرعون مصر وشمسي ملكة العرب ومن (اتامر) السبئي، من (هؤلاء) الملوك من الساحل والصحراء تسلمت الهدايا من تراب الذهب والأحجار الكريمة والعاج وبذور خشب الأبنوس وأنواع من العطور ومن الخيل (و) الجمال"[2].

يتضح من هذا النص قيام الملك سرجون الثاني في سنة حكمه السابعة بحملة عسكرية على البادية (الصحراء)، وقد ورد في النص أسماء بعض القبائل العربية الساكنة هناك والتي يصعب على الجيوش دخولها والقتال فيها، والتي لم يسبق لها أن خضعت لأحد أو قدمت الجزية لملك قبل سرجون الثاني، ووفقاً لما ورد في نص هذا الملك الذي على ما يبدو يفتخر بأنه حقق إخضاع هذه القبائل ما لم يستطع ملك آشوري قبله تحقيقه. واتبع سرجون سياسة الترحيل مع من نجا من هذه القبائل لإجبارهم على الخروج من مناطقهم المنيعة والمثيرة دائماً للعصيان. وأسكن عدداً من أفراد هذه القبائل في السامرة في فلسطين.

استفادت يهوذا في القرن الثامن قبل الميلاد من انحسار المد العسكري الآشوري وحاولت الاقتصار في علاقاتها مع مصر. لكنها ظلت تؤدي الجزية

1- الكيلاني: المصدر السابق، ص30، 51.

2 -ANET: p.256; ARAB: Vol.2, No.17-18, p. 78.

ترجمة لوكنبيل يذكر اسكنتهم في بيت عمري.

للآشوريين. وفي زمن حزقيا بن آحاز (721-686) ق.م توضحت العلاقات بين يهوذا أو مصر[1]، وآعلن حزقيا التمرد ضد أسياده الآشوريين مستغلاً التمردات التي حدثت في بابل وسوريا وبتأييد من الفرعون المصري له، مما دفع سرجون القيام بحملة عسكرية ضده[2]. وكان ذلك عام 712 أو 711 ق.م وكان يقود التمرد هذه المرة "ايامـاني" ملك اشدود في فلسطين وتبعته يهوذا وآدوم وموآب ويحظى بمباركة فرعون مصر وتمكن سرجون الثاني من إلحاق الهزيمة بالمتمردين وكان النصر حليفه هنا مرة آخرى، فهرب ايامـاني إلى مصر، واستطاع أن يلحق هزيمة بالجيش المصري بالقرب من مدينة رفح على الحدود المتاخمة لمصر وقام بتقوية الحاميات الآشورية هناك، ثم ما لبث أن جرى تسليم ايامـاني من قبل الملك النوبي الذي أصبح سيدا على مصر فجلب إلى آشور مكبلاً بالأغلال[3]. حيث جاء في النصوص المسمارية ما يأتي:

"[أزيرو، ملك] أشدود (نقص في النص) بسبب [هذه الجريمة] من... أهيميتي... أخاه الأصغر [عليهم...] جعلت(ه) حاكماً... الجزية... مثل (أولئك) الملوك [السابقين]، فرضتها عليه. [لكن هؤلاء] [الحانيين] المعلونين، توهموا [وقد فكروا] في عدم دفع الجزية و [بدؤوا] بثورة على حاكمهم، فطردوه... (أماني) الإغريقي من عامة [الشعب وليس له حق ادعاء العرش] ليكون ملكاً عليهم، وقد جعلوه يجلس (على نفس العرش) الذي كان عليه سيده (السابق) [وهم...] بلدهم [الهجوم] خندقاً عمقه عشرون + X ذراعاً... وقد وصل (مستوى) عمقه حتى الماء السفلي، لأجل أن...... وبعد ذلك (إلى) حكام فلسطين، يهوذا (la-u-di) آد[وم]. موآب (و) والذين يعيشون (في الجزر)، وأحضروا الجزية، وهدايا لإلهي آشور - [نشر] أكاذيب لا حصر لها ليقصيهم عني، و[كذلك] أرسل رشوة لفرعون ملك

1- السعد: المصدر السابق، ص102؛ السواح: ارام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص254

2- الشمري، طالب منعم حبيب: سنحاريب سيرته ومنجزاته (704-681) ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ص113.

3- رو: المصدر السابق، ص417؛ ساكز: عظمة بابل، ص144؛
ARAB: Vol.2, No. 30-62, p. 17-33; ANET: p.286.

مصر - وهو مستبد، عاجز عن خلاصهم، - وسأله أن يكون حليفاً. ولكني أنا سرجون الحاكم الشرعي المخلص (لما ينطق) به بنو ومردوك، (قد حافظت) على أوامر آشور، وسرت بجيشي إلى دجلة والفرات في وقت قمة فيضانهما أي فيضان الربيع، كأنه أرض جافة، وعلى أية حال فإن هذا الإغريقي ملكهم الذي وضع ثقته في قوته نفسه (فلم) يخضع لحكمي (المنزل من عند الإله)، قد سمع باقتراب حملتي (وأنا لا أزال) بعيداً فتغلب عليه بهاء رب آشور.. فر..."[1].

وهناك نص لموشور ذات تسع أوجه يتضمن أخبار سرجون وانتصاراته على مصر وميديا وسوريا وفلسطين وبالتحديد سيطرته على بيت عمري وينتهي الموشور بذكر فعالياته العمرانية في دور - شروكين[2].

نورد نص مسماري نقش على موشور محطم من النمرود.

"(الملك سرجون، ملك آشور، ملك سومر وآكد، ملك العالم، الملك القوي) الذي أخضع بلاد يهوذا (la-u-du) بعيدة جداً، أخضع حماة وحاكمها ايلو - بعيدي وقبضت عليه شخصياً"[3].

أما فيما يخص المسلات، فبعد الانتصار الذي حققه سرجون في معركة القرقر، أقام العديد من المسلات احتفالاً بذكر هذه الأحداث. واحدة منها عثر عليها في حماة على نهر الاورنتس[4]. والنص بحالة سيئة وقليلة الفائدة[5].

ونقرأ في نص آخر:

"**الوجه**

1- 2 مناً من الذهب

2- من حاكم بيت آمون

1- نقش لنص في موشور مكعب نشر من قبل Winckler وترجم في ARAB: Vol.2, No. 193-195, p.105-106; ANET: p.287.

2- Budge: opcit, p.224.

3- نشر من قبل Winckler وترجمه لوكنبيل ARAB: Vol.2, No.137, p.72; ANET: p.287; Budge: p.51.

4- قام بنشرها شيودور داكان Thureau - Dangin F. في La Stele D'Acharne, In RA, XXX, 1933, 53ff.

5- ANET: p. 287.

3- 1 مناً من الذهب

4- من حاكم بيت موآب

5- 1 منات من الفضة

6- من حاكم يهوذا ($^{(KUR)}$ia-u-da-a-a)

7- X منات من الفضة (بحدود ثلاثة أسطر محطمة)

8- محطمة

9- محطمة

10-.........

القفا

أ) من حاكم جبيل

ب) موظفي الإقليم من قبل الملك

ج) سيدي

د) جلبت له[1].

إن حملات سرجون الثاني قد أسفرت عن أحداث دمار شمل معظم المناطق الفلسطينية وبشكل خاص المدن الواقعة إلى الغرب مثل جرار ولاخيش وبيت شمش، ولم تعد الحياة الطبيعية إلا بعد فترة طويلة من حملات سرجون. وقد انتهز حكام أورشليم هذه الفرصة فضموا إليهم المناطق الجنوبية من حبرون إلى بئر السبع كما ضموا مدن المناطق الغربية التي كانت تنافسهم في الماضي القريب على سوق منتجات قرى المرتفعات وبذلك تحولت أورشليم إلى مدينة قوية بدعم من آشور لها مكافئة لها على عمالة حكامها وعونهم لها على دمشق والسامرة وبقيت المدن

1- النص المذكور آنفا مدون على لوح مسماري صغير غير مؤرخ يتضمن وصل باستلام الجزية من فلسطين يوجد الآن في المتحف البريطاني تحت الرقم K.1295 والذي يتضمن قائمة بأسماء سرجون الثاني واسرحدون اي القرن الثامن أو السابع قبل الميلاد وعثر عليها في قوينجق (نينوى القديمة) والنص أعلاد نشر من قبل ;Harper, R.F., ABL, Vol.6, No. 632 وظهرت له ترجمات في: Pfeiffer, R.H., State letters of Assyria, New Haven - 1935, No. 96; In JBL, XIVII, 1928, 185f; وفي: R.C.A.E., Vol.1, p.440f.; Mitchell: opcit, p.56; ANET: p. 301.

الفلسطينية. وبذلك يأتي تشكيل يهوذا كناتج للمد التوسعي لمدينة أورشليم لا كناتج لمركزية تدريجية وحدت منطقة ذات مصالح اقتصادية متبادلة، كما كان الحال في تشكل مدينة السامرة. فلقد تشكلت السامرة قبل أكثر من قرن ونصف من تشكل مدينة يهوذا، وحدث ذلك نتيجة للتقارب بين القوى الزراعية الجديدة، وتشابك مصالحها، وبحثها عن بنية سياسية قادرة على إدارة اقتصاد زراعي بلغ مرحلة النضج. فقامت بينها أسرة الحاكم عمري الذي بنى مدينة السامرة لتكون عاصمة لإقليم صار موحداً في اقتصادياته أما يهوذا، فقد قامت منذ البدأية وصارت كياناً مصطنعاً لا يجمعه إلى بعضه إلا مطامح حكام أورشليم في السيطرة التجارية والاقتصادية على مرتفعات يهوذا، وفيما بعد على الأقاليم التي دمرتها الحروب الآشورية[1] ويبدو ان غياب كل من دمشق عن السحة، قد جعل يهوذا الحارس على طرق التجارة الدولية في فلسطين وشرقي الأردن، وصارت إلى حال من القوة والثروة جعل حكامها يفكرون جدياً بالاستقلال عن الآشوريين وتجيير كل من المكاسب لحسابهم الخاص، يشجعهم في ذلك ملوك مصر الذين أقلقهم وصول الآشوريين إلى حدودهم الشمالية[2]. ونتيجة للهزيمة التي ألحقها سرجون الثاني بالسامرة اخذ يظهر مصطلح السامريين بوصفها تعبيراً سياسياً أما الاستخدام الوحيد لكلمة السامرة في العهد القديم للدلالة على إقليم السامرة، فقد ورد في (2 مل 17 : 24 و 29) وقد أطلق عليها سرجون اسم "سامرينا" في نصوصه التاريخية[3].

1- طومسون: المصدر السابق، ص234، 290.

2- السواح: آرام، دمشق، إسرائيل، ص253-254.

3- دائرة معارف كتابية، ط1، القاهرة، 1991، 321/4.

المبحث الرابع

سنحاريب (705-681) ق.م

بعد موت الملك سرجون غيلة سنة 705 ق.م خلفه على العرش الآشوري ابنه سنحاريب (سين - اخي - اريبا)، ولم يكن الابن البكر للملك سرجون، ولكن الاختيار وقع عليه لسبب مجهول ليكون الوريث الشرعي لسرجون[1]. كانت المملكة الآشورية تنعم باستقرار نسبي بفضل الجهود العسكرية الكبيرة التي بذلها والده فكان عهده عهد رخاء اقتصادي وازدهار حضاري متميز تمثل بنشاطاته العمرانية الكثيرة في مدينة نينوى حيث كان قد هجر العاصمة التي شيدها والده دور - شروكين ورجع إلى العاصمة نينوى وجدد ابنيتها وجعلها مركزاً للمملكة الآشورية[2] لقد اتبع سنحاريب سياسة مغايرة لسياسة والده تقوم على إيجاد مملكة مستقرة سياسياً واقتصادياً تعيش بسلام مع الدول المجاورة لها، وهذا لا يعني عدم استعماله للقوة عند الضرورة ولذلك تعد فترة حكمه حقبة جديدة في العلاقات الآشورية مع الغرب وخاصة سوريا وفلسطين. حيث إنه وفي فترة حكمه الـ 24 سنة لم يقم إلا بثماني حملات عسكرية وفقاً إلى المصادر الآشورية[3].

مصادر معلوماتنا عن اليهود في فترة حكم سنحاريب فقد ترك كثيراً من المدونات واصفاً فيها ما قام به من حملات وانجازات وعمل بعض هذه المدونات على شكل مناشير وأسطوانات سطر فيها حملاته الثمانية أو قسماً منها. فالنص

1- علي، قاسم محمد: المصدر السابق، ص26-28.

2- رو: المصدر السابق، ص426؛ ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص149-150؛ ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص143-145.

3- الصمادي: المصدر السابق، ص9؛

Ussishkin, D., "The Destruction of Lachish by Sennacherib and the Dating of the Royal Judean Storage Jas", Tel Aviv (1-2), 1977, p..28-30.

المسماري الخاص بأحداث الحملة الثالثة والتي يرد فيها ذكر اليهود مدوناً على أسطوانة عثر عليها وهي محطمة إلى مجموعة من الكسر[1]. كما عثر على أسطوانة خصص النص المسماري المدون عليها بأحداث حملاته الأربعة الأولى، وهناك نص اخر مدون على منشور يعود تاريخه إلى سنة 696 ق.م ويتضمن أحداث حملاته العسكرية الخمس الأولى[2]. وهناك المنشور السداسي المحفوظ في المتحف العراقي (م4-56578) والذي قام بدراسته الباحث الاسكندر هايدل وتضمن احداث الحملات العسكرية الخمس الاولى لسنحاريب[3]، أما الكتابات التي دونت على الثور المجنح والتي يعود تاريخها إلى عام 693 ق.م والتي تضمنت أحداث الحملة السادسة فقد تمت دراستها من قبل جورج سميث[4]. أما فيما يخص المنحوتات الجدارية والتي كانت تزين قاعات القصور فإن لنا في المنحوتة الجدارية الخاصة بحصار لاخيش خير شاهد عيان على انتصارات الملك سنحاريب على اليهود[5].

لقد أعطى انشغال سنحاريب في سنوات حكمه الأولى بالقضاء على الفتن والاضطرابات في الحدود الشمالية والشرقية[6]، يضاف اليها اضطراب الأوضاع في

1- الشمري: المصدر السابق، ص79؛ Mitchell: opcit, p. 59.

2- الشمري: المصدر السابق، ص80.

3- الشمري: المصدر السابق، ص80؛
Hiedel, A., "The Octagonal, Sennacherib Prism in Iraq Museum", Sumer, Vol. 6, 1953, p.130-141.

4- الشمري: المصدر السابق، ص80. نقلا عن
Smith, G., History of Sennacherib, London-1887, p.1; Luckenbill, D.D., The Annals of Sennacherib, Chicago-1924, p.21-22; Russell, J.M., The Final Sack of Nineveh, London-1998, p.45.

5- الكيلاني: المصدر السابق، ص50.

6- بعد اعتلاء سنحاريب العرش بسنتين ثار مردوك - ايلا - ادينا ضد الملك الاشوري، بعد أن كان الملك سرجون قد أرغمه على الخروج منها واللجوء إلى جنوب العراق. واستعان ببلاد عيلام والقبائل الكلدية والارامية وربما اتفق مع يهوذا وحاكمها حزقيا للقيام بتمرد في الأقاليم التابعة للنفوذ الاشوري، ولذلك حرر الرسائل بهذا المضمون إلى حزقيا وقدم له الهدايا مهنئا على شفائه من مرض كاد يقربه من شفا الموت ولقد سر حاكم يهوذا بذلك وليظهر فخره أطلع البابليين على خزائن قصره وبعد رحيل البابليين اظهر النبي اشعيا (39: 1-8) استياءه من عمل حاكمه

بابل، لحزقيا حاكم يهوذا (721-693) ق.م مزيداً من الإحساس بالاستقلال وبقوته الذاتية وقد قاد ذلك إلى التفكير بالتمرد على المملكة الآشورية، كما ساعده على ذلك الحالة المناهضة للحكم الآشوري في جميع مناطق سوريا الغربية وخصوصاً مدن فينيقيا وفلسطين، يضاف إلى هذا أ ن يهوذا أصبحت أكثر تعرضاً للهجمات المباشرة من المملكة الآشورية بعد زوال السامرة في عام 721 ق.م وصارت يهوذا بعد ذلك ببضع سنوات في أوائل حكم حزقيا تدفع الجزية للدولة الآشورية فقد اتبع حزقيا سياسة تحدي ضد المملكة الآشورية بعد أن شجعته مصر في ذلك[1]، وقد اعتقد سنحاريب أنه في حالة نجاح هذا التمرد وفشله في إخماده فسيكون لأورشليم الدور القيادي في المنطقة وهذا الأمر قد دفع أخيراً الملك سنحاريب إلى شن حملة عسكرية كبرى على المنطقة وهي الحملة المشهورة في تاريخ الحملات الآشوري[2].

بدأت بوادر العصيان والتمرد عندما امتنعت المدن الساحلية في جنوب فلسطين، يضاف إليها يهوذا عن دفع الضرائب المفروضة عليها في زمن سرجون الثاني[3] وقيام حزقيا بالتدخل في شؤون عقرون وأسر حاكمها الموالي للآشوريين ولقمع هذا التمرد زحف سنحاريب عام 701 ق.م تمكن من تأديب العصاة فلاذ لولي حاكم صيدا بالفرار إلى قبرص وسيق صدقيا حاكم عسقلون أسيراً إلى نينوى وكانت الخطوة الأخرى التي اتبعها سنحاريب هي المعركة في مدينة عقرون التي

وتنبأ أن يقوم البابليون يوماً بنقل خزائن اليهود إلى بابل وهذا ما حدث فعلا زمن نبوخذ نصر الثاني.

Brinkman, J.A., "Sennacherib's Babylonian Problem An Interpretation", JCS , Vol. 25, No.26, 1973, p.89ff; Levine, L.D., "Sennacherib's Southern Front", JCS, Vol. 34, No. 1-4, 1982, p. 28-58; Epha'l: Ancient Arabs opcit, p.118; Harold, M., "Isaiah and the Siege of Jerusalem", JSOR, Vol. 6, No. 3-4, 1927, p.286; Buccellati: opcit, p.178.

1- حتي: المصدر السابق. ص216.

2- السواح: ارام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق. ص255؛
Luckenbill: opcti, p.11; Budge: opcit, p.15.

3- رو: المصدر السابق. ص427؛ ساكز: عظمة بابل المصدر السابق. ص150.

استسلمت أخيراً له واعيد تنصيب ابن حاكمها السابق[1]. وأصل سنحاريب تقدمه نحو المدن التي لم تخضع لسيطرته كما فرض سيطرته على مدن عكا واشدود ومؤآب ويافا ثم توجه بعد ذلك إلى مدينة (لاخيش). وفرض عليها الحصار في أثناء الحصار حدثت تطورات عسكرية مهمة تمثلت بوصول الجيش المصري فاضطر سنحاريب إلى رفع الحصار عن المدينة وواجه الجيش المصري الذي جاء لمساعدة المتمردين ودحره في منطقة التيغة أو التكية[2]، وبعدها استأنف الحصار على المدينة مرة أخرى وفي نهاية المطاف اضطر سكان المدينة إلى الاستسلام[3]، ويدعم ذلك النص الآتي:

"أصبحت على أبواب لاخيش فذبحت حكامها وأمراءها الذين نقضوا العهد وعلقت جثثهم على الأعمدة التي تحيط بالمدينة"[4].

جدير بالذكر أن هناك فرضيتان حول تاريخ السيطرة على هذه المدينة وتدميرها:

1- الأولى: تؤرخ هذا الحدث سنة 701 ق.م.

2- الثانية: تؤرخ هذا الحدث سنة (687-686) ق.م.

ويمكن القول بأنه إذا كانت هذه الأحداث صحيحة فإن مدينة لاخيش تكون قد خضعت للسيطرة الآشورية ودمرت مرتين. لكن من خلال التنقيبات الأثرية التي تمت في الموقع فإن الفرضية الأولى تبدو أكثر قبولاً، فالمصادر الآشورية لا تذكر المدينة بالاسم إلا أنها تشير بشكل واضح إلى أحداث السيطرة على هذه المدينة وذلك من خلال النحت البارز المصور على جدران قصر سنحاريب في نينوى والذي يستنتج منه تطابق الأحداث مع واقع المدينة الأثري ويبدو أن المصادر التوراتية

1- رو: المصدر السابق. ص428؛ الجبوري: التوراة مصدراً المصدر السابق. ص24؛ Heidel: opcit, p.130; Luckenbill: opcit, p. 29.

2- التيغة أو التكية: منطقة تقع الى الشمال من عقرون قد تكون خربت المقنع شمال عقرون. ينظر الأحمد: تاريخ فلسطين القديم المصدر السابق. ص227؛ Buccellati: opcit, p.171-174.

3- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص151؛ Budge: opcit, p.51; Mitchell: opcit, p. 59.

4- ANET: p. 288; Luckenbill: opcit, p.32.

تتفق مع المصادر الآشورية فيما يتعلق بالمدن التي حكمها اليهود التي خضعت للسيطرة الآشورية[1].

ليس لدينا نص تاريخي يسرد تفاصيل حصار لاخيش الحصن المنيع، ولكن المنحوتات الجدارية التي كانت تزين جدران القاعات في قصر سنحاريب، حيث استخدم الآشوريون ألواحاً كبيرة من الحجر نقش عليها بالنحت البارز تعكس لنا جانباً من نشاطات سنحاريب[2]. ما يهمنا هنا المشاهد الحربية من تلك المنحوتات والتي تتعلق باليهود، إن الناظر إلى هذه المنحوتات يرى أنها عبرت تعبيراً دقيقاً ومفصلاً عن أحداث المعارك وكأنما نقلت نقلاً حياً وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد بأن الفنان الآشوري كان يصاحب هذه الحملات ويعمل رسومات (سكيجات) وعندما يعود يبدأ بنقشها على ألواح من الحجر أعدت لهذا الغرض. وأهم ما يميز هذه المنحوتات أنها كانت كبيرة جداً وذات ارتفاعات عالية حيث يبلغ ارتفاعها ما يقارب ثلاثة أمتار، وتعد المنحوتة التي تمثل حصار سنحاريب لمدينة لاخيش في فلسطين من أبرز هذه المنحوتات حيث عثر عليها في الغرفة الـ (35) من قصر سنحاريب[3] حيث كانت من ضمن المكتشفات التي عثر عليها لايارد في قوينجق وهي الآن ضمن معروضات المتحف البريطاني بلندن[4]. ويعلو المشهد كتابة مسمارية نصها:

"سنحاريب ملك العالم، ملك بلاد آشور، من مقري استلمت غنائم سكان لاخيش"

"mdsin-ahhe-eriba sar kissati sar matassur isu sal-la-at alula-ki-su ma-ha-ar-su e-ti-iq"[5]

وقد قسم موضوع الحصار إلى ثلاثة فصول ابتداء من اليسار بداية الهجوم بتقدم الجيش الآشوري في وضعية القتال والفصل الثاني عملية اقتحام المدينة

1- الصمادي: المصدر السابق. ص9-10؛ Luckenbill: opcit, p.12-13.

2- Read, J., "Two Slabs from Sennacheribs Palaces", Iraq, Vol. 29, pt.2, 1967, p. 42; AAO: p. 101; Luckenbill: opcti, p.13.

3- ANEP: p. 293; Barent: opcti, p.

4- انظر شكل رقم (2). Mitchell: opcit, p. 59-60; Dalley: opcit, p. 63; Russell: opcit, p.198.

5- Luckenbill: opcit, p.156; Mitchell: opcit, p. 61-64.

والأجزاء المجاورة من السور والفصل الثالث سوق الأسرى وتعداد الغنائم. في الفصل الأول، نقش الفنان مشهداً صور لاخيش كمدينة تقع في منطقة ريفية تحيط بها التلول والغابات وتحميها أسوار مضاعفة ذات متاريس وأبراج وقلاع، وتصور المهاجمين الآشوريين من ضاربي السهام وقد استندوا على ركبهم وخلفهم صفان من الجند يتهيؤون لرمي النبال وخلفهم كتلة متراصة من حملة الرماح ورماة الأحجار بالمقلاع. وجنود الاحتياط يؤلفون الفرسان وساتقي العربات وبدأ الجنود المحاصرون وهم يدافعون بكل عزم وتصميم، كما احتشد رماة الرماح في متاريس السور إلى جانب رماة الأسهم وضاربي المقلاع وهم يرشقون الأعداء بوابل من السهام والعصي ذات الرؤوس الحديدية ويسكبون الماء بمغارق كبيرة على رجال الكبائش لإطفاء النيران التي باتت تهددهم وهناك السلالم التي وضعت على الأسوار حيث تمكن المدافعون من إزاحتها ورميها على رؤوس الجنود الآشوريين الذين تهيؤوا للقيام بهجوم حاسم.

أما الفصل الثاني فقد عمل الفنان على نقل صورة تمثل احتلال المدينة وأسر سكانها. وهناك كميات هائلة من الغنائم كالأسلحة والدروع والعربات الحربية والأواني المعدنية والجمال والعربات التي تجرها الثيران وهي محملة بالأسرى من النساء مع أطفالهن[1].

وقد عبر الفنان في الفصل الثالث عن تسلم الغنائم والأسرى من الملك سنحاريب، ويشاهد وهو جالس على عرشه خارج المدينة، حيث كان قد أقام مخيماً بيضوياً بالقرب من مدينة لاخيش وهو يستقبل حاكماً من يهوذا جاء ليجدد

1- أظهرت نتائج التنقيبات في الطبقة الاثارية العائدة إلى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد أن المدفن الكبير الذي عثر عليه هنالك احتوى على 1500 هيكل عظمي وعنيها اثار حروق واستدل الباحثون أنها وضعت بعد حصار سنحاريب لمدينة اورشليم وضواحيها. كما عثر على ثلاثة جماجم من بين تلك الثلاثة واحدة مفتوحة اعتقد الباحثون أنها بطريقة مقصودة. كما عثر على أسلحة أشورية كانت مستخدمة في تلك الفترة وعلى خوذ حربية مماثلة للخوذات التي يضعها الجنود في النحت الخاص بحصار لاخيش. عن هذا الموضوع ينظر، الأحمد: تاريخ فلسطين القديم المصدر السابق، ص 229؛ السواح: الحدث التوراتي المصدر السابق، ص 180-181؛
Kenyon: Arcehology in the Holy Land opcit, p. 290.

له الولاء والطاعة ويقدم الهدايا بعد أن سمع باندحار لاخيش. وتحف بالملك أشجار الكروم والتين، ويضع الملك قدميه على مسند ويمسك في يده صولجان ذا أشكال هندسية وفي نهاية الصولجان ذوائب وفي اليد اليسرى يمسك القوس، وقد وقف ضباطه أمامه يتلون عليه أخبار الحصار، ووقف خلفهم ثلاثة رجال راكعين من سكان المدينة المندحرة يقدمون فروض الطاعة والخضوع. ووقف خلف الملك شخصان ربما كانا من مرافقيه[1]. والملاحظ أن هناك نقصاً في الأجزاء العلوية حيث تعرضت إلى التحطيم عندما تم الاستيلاء على قصر سنحاريب وتحطيمه في عام 612 ق.م[2].

في الوقت الذي كان فيه سنحاريب منشغلاً بإخضاع المدن المتمردة، كان حزقيا يهيئ نفسه ومدينته لصد الهجوم الآشوري الذي أصبح أمراً واقعاً لا شك فيه بسبب التمرد الذي قاده ضدهم[3]، فبدأ حزقيا بعد التشاور الذي أجراه مع رؤساء المدينة بتحصينها، وكان أول عمل اتخذه أنه قرر دفن مياه العيون التي تقع خارج المدينة كي لا يستفيد منها الجيش الآشوري، ثم عمل على إعادة بناء السور المتهدم وبنى سوراً آخر خارج السور الأول وأعاد تنيظم جيشه[4]، كما عمل نفقاً يربط

اتخذ سنحاريب مقره في لاخيش ومنها بعث بجيش أقام الحصار على أورشليم، وأرسل ثلاثة من قادة جيشه وهم التورتان Turtanu، والرابشاقة rab-saqi، والرب شوش rab-sussi على رأس جيش كبير[5] ودار حوار بين قائد الجيش الآشوري الرابشامة والياقيم بن حزقيا فوق أسوار المدينة مبلغاً إياهم نص كلام الملك وإشارة إلى أن الاعتماد على مصر لن يجدي نفعاً أمام القوات الآشورية[6]. وتدل التقارير إلى الملوك الآشوريين أن الاستخبارات العسكرية لم تكن مهتمة بتحركات قطعات

1- Mitchell: opcit, p. 60-64; AAO: p.93-94; Budge: opcit, p. 49; Barnett: opcit , p. 26-28.
2- Mitchell: opcit, p. 60.

3- ساكز: المصدر السابق، ص147؛ الجبوري: التوراة مصدرا المصدر السابق، ص23.

4- 2 اخبار: 32-10؛ الشمري: المصدر السابق، ص117.

5- للمزيد من التفاصيل عن هذه الرتب ينظر، الجبوري، علي ياسين: "الإدارة" في موسوعة الموصل الحضارية، موصل - 1991، 1/244-246؛ NWL: p. 30.

6- ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص147؛ رو: المصدر السابق، ص428.

العدو ومواقعها فقط، ولكن أيضاً بأي شأن قد يؤثر على معنويات العدو[1]. وفرض سنحاريب الحصار على أورشليم وقد انتهى الحصار[2] بخضوع المدينة وحاكمها حزقيا تحت السيادة الآشورية ودفعه الجزية مقابل بقائه حاكماً على أورشليم، وفرض سيطرته على المدن المحصنة كما تشير إلى ذلك المصادر الآشورية حيث جاء في النص المسماري الخاص باختبار الحملة الثالثة ما يأتي:

النص المسماري الخاص بحصار أورشليم: Ur-Sa-Li-im-m[3].

ترجمة النص:

"في حملتي الثالثة توجهت إلى بلاد حاتي، لولي ملك مدينة صيدا أخذه الخوف من هيبة جلالتي ففر وحيداً وسط البحار واختفى ذكره. أما مدنه فقد تملكها الخوف من عظمة سلاح الإله آشور سيدي على مدنه القوية فأخضعت مدن صيدا الكبرى وصيدا الصغرى وبيت زيتي، وزار يبتو، ومحاليبا، واوشو، واكزيب، وعكا. وكل مدنه القوية المحصنة بالطعام والماء ليكون كلها قد خضعت تحت قدمي وثبت كملك على عرش صيدا المدعو "اتبعل" (توبعلو) ملكاً على كرسي ملوكيتهم الأتاوة بوصفي سيده الأعلى لتدفع سنوياً بغير انقطاع فرضت عليهم.

1- ساكز: المصدر السابق، ص363-364؛
Budge: opcit, p. 15; Mitchell: opcit, p.59; Greengus: opcit, p.214.

2- لا تذكر المصادر الاشورية السبب الذي دفع سنحاريب الى فك الحصار عن اورشليم والعودة الى نينوى. فالكاتب ينتقل من مشهد الحصار المطبق على المدينة الى وصول جزية حزقيا الى سنحاريب في عاصمته فالمرجح أن الملك قد ارتد عن المدينة بعد أن أعلن حزقيا خضوعه المطلق وقبوله الجزية المضاعفة التي فرضت عليه لأن عودة الجيش الاشوري الى العاصمة نينوى كان ضروريا لتدهور الوضع في بابل حيث عاود مردوك - ابلا - ادينا مكاندد بعد انسحاب الجيش الاشوري ينظر، باقر: المصدر السابق، 516/1؛
Luckenbill: opcit, p.13-17; ARAB: Vol.2, p.127

3- يصف لنا سنحاريب حملته هذه وهي الحملة الثالثة الخاصة بحصار أورشليم ودونت على أسطوانة سداسية تدعى (أسطوانة تايلور) نسبة الى مكتشفها وهي الآن محفوظة في المتحف البريطاني، ينظر، الشمري: المصدر السابق، ص 79-80.

"أمـا بالنسـبة لملـوك امـورو: منـاحيم السـامري (^{Kur}Sa-mir-i-na-a-a) توبعلـو الصـيدوني، وعبـد يبلـيتي الأروادي، واورمليكـي الجبيلـي وميتـنتي الاشـدودي، وبـوديلي العمـوني، وخاموسـون - نـادبي المـوآبي، وايرامـو الآدومـي كلـهم أحضـروا هـدايهم وقـدموا أربعـة أضـعاف هـداياهم الثقيلـة وقبّلـوا قـدمي. أمـا "صـدقيا" ملـك عسقلون الذي لم يخضع لحكمي فإني رحلته وأرسلته إلى بـلاد آشـور مـع آلهـة بيت أبيه وزوجته وأولاده وبناته وكل الذكور من نسل أبيه، ونصبت "شرولوداري" بن "روكبتو" ملكهم السابق حاكماً على سكان عسقلون وفرضت عليه دفع الأتاوة المستحقة لسيادتي. واستمراراً لحملتي حاصرت "بيت داجون" و "يافا" و "باناي" "برقة" و "آزورو" مدن لصدقيا الذي الذي خضع بسرعة لقدامي حاصرته وهاجمته وغنمت غنائمه. أما مستشاري ونبلاء وناس مدينة "عكرون" الذين كانوا قد خلعوا ملكهم "بـادي" صـاحب المعاهـدة ووضـعوه في القيـود لأنـه ظـل متمسـكاً بقسـمه للإلـه آشـور وسلموه إلى حزقيا اليهودي (Ha-za-qi-a(a) la-u da-ai)، وضعه في السجن كأنما بـادي عـدو... ولخوفـه مـني تحـالف مـع ملـك مصـر رمـاة عربـات خيـل ملـك ملوخـا (أثيوبيـا)... قـوة لا يحصـى لهـا... وجـاء لعـونهم... وفي سـهل "التيكـة" رسـم خطـط المعركـة أمـامي وحـدوا أسـلحتهم فمحـاربتهم بمعونـة آشـور سـيدي ثبـت هـزيمتهم.. العربـات وأمـراء المصـريين قبضـت علـيهم أحيـاء. ثـم حاصـرت "التيكـة" و "تمنـة" وفتحتها وأخذت منهمـا الأسـلاب والغنـائم. وقـد هاجمـت "عكـرون" وقتلـت المـوظفين والأشراف الذين كانوا قد ارتكبوا الجريمة وعلقت أجسادهم على أعمدة محيطة بالمدينة. أما العامة الذين ارتكبوا جرائم صغيرة فقد اعتبرتهم كغنائم حرب. وأما البقية ممن لم يرتكبوا جرائم ويسيئوا السلوك فقد أطلقت سراحهم. وجعلت "بـادي" ملكهم يعود من أورشليم" ووضعته على العرش سيداً عليهم وفرضت عليه الجزية المستحقة "لي" بوصفي السيد الأعلى.

أمـا حزقيـا اليهـودي (Ha-za-qi-a(a) la-u^{KUR} da-ai) فإنـه لم يخضـع لـنيري فحاصرت 46 من مدنه القوية وحصونه المسورة وعلى القرى الصغيرة المجاورة التي لا حصـر لهـا فتحتهـا بوسـاطة منحـدرات ترابيـة وكبـائش (آلات حربيـة لهـدم الأسـوار) وسـلالم قريبـة مـن الأسـوار الـتي قربهـا المشـاة إلى مقدمـة الهجـوم فأحـدثوا أنفاقـاً

وثغرات بالإضافة إلى هجوم المشاة الذين كانوا يستخدمون المدكات وقد سقت منهم 200150 أناس صغاراً وكباراً، ذكوراً وإناثاً وأخذت خيلاً وبغالاً وحميراً وجمالاً وماشية لا تحصى - غنيمة - أما هو (نفسه) فقد حاصرته في "أورشليم" مدينة ملوكيته كالطير في قفص، وقد حاصرته بسور من التراب لمنع الذي يروم الخروج من المدينة أما مدنه التي سيطرت عليها فقد اقتطعتها من بلاده وأعطيتها لـ "متينتي" ملك "اشدود" و "بادي" ملك عكرون و "صل بيل" ملك غزة... وهكذا صغرت منحة بلاده ولكني زدت في الجزية والهدايا المستحقة لي بوصفي سيده الأعلى إضافة إلى الجزية السابقة على أن تسلم سنوياً أما حزقيا نفسه الذي انبهر من بهائي وسيادتي، والجيوش المتميزين (للدفاع عن أورشليم). وقد أرسل إلي فيما بعد في "نينوى" مدينتي الملكية 30 وزنة من الذهب 800 وزنة من الفضة، أحجار كريمة، والإثمد (كحل)، ألواح كبيرة من الحجر الأحمر، مخادع مطعمة بالعاج، وكراسي ومقاعد مطعمة بالعاج، جلود فيلة، وخشب الأبنوس، وخشب بقس (خشب صناديق)، وثياب ملونة وأردية مطرزة بالألوان القرمزية والبنفسجية، والعربات الحربية وكذلك أرسل لي عدداً لا يحصى من أسلحة الحرب وأخذت بنات ونساء قصره والعازفين من الذكور والإناث... ولكي يسلم الجزية ويقدم الخضوع كعبد، أرسل رسوله الشخصي"[1].

وهناك نص مسماري آخر جاء فيه:

"وكان "لولي" ملك صيدا خائفاً من محاربتي وهرب إلى بلاد "قبرص" (يادنانا) وهي جزيرة في وسط البحر وطلب الالتجاء هناك ولكنه حتى في هذه الأرض قد لاقى موتاً مخزياً أمام بهاء سلاح ربي آشور وقد نصبت "اتبعل" على العرش الملكي وفرضت عليه الجزية المستحقة "لي" بوصفي سيده الاعلى - وضربت

---

1 -ANET: p. 278-288; ARAB: Vol.2, No. 239-240, p.118-121; Lukenbill: opcit, p. 29-34; Hiedel: opcit, p.130-141 ;

جدير بالذكر أن نفس مضمون هذا النص وجد مدونا على أحد الثيران المجنحة. ينظر
Luckenbill: opcit, p. 86-70; ARAB: Vol.2, No, 791-793, p. 303.

إقليم "يودي" Ia-u-di وجعلت "حزقيا" Ha-za-qi-a-a-a حاكمها القاهر المتكبر ينحني خضوعاً"[1].

ولدينا نص مسماري ثالث: يخص أخبار الحملة الثالثة أيضاً جاء فيه:

"وقد حرمت "لولي" ملك صيدا مملكته ونصبت "اتبعل" على عرشه وفرضت عليه الجزية "المستحقة" "لي" بوصفي سيده الأعلى وخربت إقليم (يودي) Ia-u-di ووضعت النير على عاتق "حزقيا" Ha-za-qi-a-a ملكها"[2].

لم تشر النصوص المسمارية إلى نهاية حياة سنحاريب وكل ما ورد فيها أنه مات مقتولاً من قبل ابنيه اردموليش Arad-mulissi والذي حور اسمه في النص التوراتي إلى ادراميليخ[3] وآشورمونين Ashur-munin اللذين أعلنا التمرد ضده والذي استمر لمدة ثلاثة أشهر وتم القضاء على هذا التمرد من قبل الملك اسرحدون الذي غادر بابل حال سماعه نبأ مقتل أبيه واتجه إلى نينوى، واعتلى العرش بعد أن هرب أخواه إلى شمالي البلاد ويخبرنا النص الآتي تاريخ هذه الأحداث حيث يقول:

"في اليوم العشرين من شهر طيبتو[4]، سنحاريب ملك آشور قتل من قبل ابنه بتمرده بعد أن حكم آشور من شهر طيبتو إلى اليوم الثاني من شهر آذار، وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر آذار غادر آسرحدون بابل متوجهاً إلى آشور واعتلى عرشها"[5].

1- ANET: p. 288; Heidel: opcti, p. 135-137; Bodge: opcit, p. 224-227

2- ANET: p. 288; ARAB: Vol.2, No. 347, p.154; Luckenbill: opcit, p.89.

3- اشعيا: 36_38، الملوك الثاني: 19_37، ساكز: عظمة بابل، ص151؛ ساكز: قوة آشور، ص154.

4- يقصد به كانون الأول وهو الشهر العاشر من السنة الاشورية. ينظر: الطائي: المصدر السابق، ص 112_115.

5- Parpola, S., "The Murderer of Sennacherib Death In Mesopotamia", Copenhagen Studies In Assyriology , 8, Copehagen, 1980, p.171-181; ARC: p.81-82.

المبحث الخامس

آسرحدون (681-669) ق.م

أوقع اغتيال سنحاريب المملكة الآشورية في أزمة سياسية حادة نتيجة للصراعات داخل السلالة الملكية الحاكمة وإن كانت تلك الأزمة لم تمتد فترة طويلة، حيث استطاع هذا الملك أن يمسك بزمام الأمور، ففي شهر آذار من عام 681 ق.م جلس على عرش البلاد ودام حكمه أحد عشر عاماً[1] ولم يصلنا من أخبار هذا الملك إلا النزر اليسير، ذلك لأن القصر الذي شيده والذي ضم الكثير من المدونات والتماثيل لا تزال مطمورة تحت تل النبي يونس عليه السلام، كما أنه لم نحصل على منحوتات ذات مواضيع قصصية، بسبب عدم قيام حفريات واسعة في القصرين الملكيين العائدين إلى هذا الملك في كل من نينوى (تل النبي يونس) وقد بقيت هذا التل بعيداً عن أيدي المنقبين لكونه محلاً مقدساً ولوجود القرية فوقه، والقصر الجنوبي الغربي في كلخ (نمرود)[2].

بعد قضائه على الفتن والاضطرابات التي وقعت بين صفوف الجيش الآشوري في أعقاب اغتيال والده، تفرغ للقضاء على التمرد الذي وقع في بعض الأقاليم التي استغلت فرصة الاضطرابات غير أن السياسة التي اتبعها آسرحدون في معالجته لهذه المشاكل تختلف اختلافاً كبيراً عن سياسة والده، حيث اعتمد سياسة اللين

1- رو: المصدر السابق، ص432؛ ساكز: قوة آشور المصدر السابق، ص152؛ ANET: p.289-290; Heidel, A., "A New Hexagonal Prism of Esarhaddon", Sumer, Vol. 12, 1956, p.9-37

2- مظلوم، طارق عبد الوهاب: "فن النحت المدور والبارز والنحت على العاج"، موسوعة الموصل الحضارية، الموصل - 1991، 463/1؛ رويستين بابيك: المصدر السابق، ص118؛ Barnet: opcit, p.29-30.

والترضية والمصالحة[1]. غير أن اسرحدون لم يتبع سياسة اللين دائماً فقد أعاد اتباع السياسة العسكرية مع المدن الخاضعة في سوريا وفلسطين من أجل استمرار السيطرة الاقتصادية على المصادر والثروات الطبيعية، لذلك نجده قد أجبر الفينيقيين وخاصة في مدينتي صيدا وصور على توقيع معاهدة تنص على عدم الاتجار مع المصريين وهذا الإجراء يمكن اعتباره تكملة لما بدأه تيجلاتبليزر الثالث مع المصريين من قبل[2]. وبعد الانتصارات التي حققها آسرحدون على خصومه الغربيين، دعاهم للمساهمة في بناء مقر وحصن عسكري في سوريا عرف بكار آسرحدون Kar-Esarhaddon افتتحه بحضور اثنين وعشرين حاكماً من الحكام المحليين. ونقل إليه **أقواماً** من المناطق الجبلية وولى عليهم والياً آشورياً[3]. ويرد اسم منسي حاكم يهوذا (643-641) ق.م مع جمهرة من حكام وأمراء مدن بلاد حاتي (سوريا) وساحل البحر المتوسط يعلنون خضوعهم فرض عليهم أن يرسلوا إلى العاصمة نينوى الأخشاب والمواد الضرورية من أجل المشاريع العمرانية لإعادة بناء قصره في نينوى استناداً إلى نص مسماري غير مكتمل وكان عدد من الذين قدموا الجزية في هذا النص 22 حاكماً للمدة من (681-669) ق.م. حيث كانوا فيه تابعين للملك آسرحدون ولا يوجد أي دليل أو معلومة وثائقية في النصوص المسمارية من هذه المدة تتعلق بالزمن الدقيق عن الاتصالات الحربية بين المملكة الآشورية ويهوذا[4]. وجدير بالذكر أن الإشارة في الأسفار التوراتية المتأخرة أن منسي أخذ إلى بابل من

1- اوتس، جون: بابل تاريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد، 1991، ص184.

2- جدير بالذكر ان الموضوع الرئيسي لمعظم المعاهدات العراقية القديمة يدور حول المساعدات والجيوش وتنظيم الدفاع المشترك ضد أي طرف من الأطراف المتعاهدة وهناك العديد من المعاهدات التي تناولت ضمن بنودها تنظيم العلاقات الاقتصادية، كتنظيم العملية التجارية وتحديد الطرق المسموح سلوكها ومن المعاهدات التي تطرقت وبشكل واضح الى ذلك هي المعاهدة التي عقدت بين الملك اسرحدون وبين بعل حاكم صور عن ذلك. ينظر فرحان: المصدر السابق، ص142-143؛ إسماعيل، شعلان كامل: المصدر السابق، ص145-146.

3- الصالحي: المصدر السابق، ص88؛ Hiedel: opcit, p.13; ARAB: Vol. 2, p. 221-212.

4- الصالحي: المصدر السابق، ص85؛
Thiele: ocpit., p. 179; Mitchill: opcit, p. 65.

قبل آمري الجيش الآشوري ولكن سمح له بالعودة فيما بعد ولم يكن سفر الأخبار قد ألف حتى تمكنت بابل من نينوى بوصفها عاصمة للمملكة، مما يفسر ذكر بابل بدلاً من آشور قد تكون الأخبار مشتقة من قيام منسي بزيارة آشور لتلبية طلبات آسرحدون في بناء قصره بنينوى[1] جاء في النص المسماري غير المكتمل[2].

"لقد طلبت من ملوك بلاد حاتي (والمنطقة) التي على الجهة الأخرى من النهر [الفرات]: بعلو ملك صور، منسي (Me-na-si-i) ملك يهوذا (Ia-u-di)، قوس جابر ملك آدوم موسوري، ملك موآب سلبيل ملك غزة، متينبيتي ملك عسقلون، اكيوسو ملك عكرون، ملك ياشافا ملك جبيل، وماتان بعل ملك أرفاد وابي بال بعل ملك سمسيمورنا، بودويل ملك بيت آمون وأهيملكي ملك أشدود و 12 من ملوك شاطئ البحر (يستمر النص) بذكر أسمائهم. مع 22 من ملوك حاتي الزين على الشواطئ واليابسة كل هؤلاء أرسلتهم تحت الظروف القاسية إلى نينوى (وجعلتهم ينقلون) إلى مقري الملكي مواد بناء القصر دعائم كبيرة، ألواحاً خشبية طويلة، (و) ألواحاً رفيعة من خشب القيدار وأشجار الصنوبر المنتجة في سيرارا وجبال لبنان والتي نمت منذ فترة طويلة وأصبحت أخشابها طويلة وقوية (وأيضاً) من محاجرهم في الجبال (المكان الذي بدأ به الخليفة)، وتماثيل الآلهة الحامية المصنوعة من حجر آشنان، تماثيل الآلهة، وآلواح من الحجر الجيري من حجر أشنان، وأحجام كبيرة وصغيرة من حجر البرشيا، وحجر اللاللو (و) حجر جي رن خلليبا".

شهدت منطقة فلسطين وشرق الأردن في هذا الوقت هدوءاً وسلاماً، لأن حكام هذه المدن فضلوا التعاون مع الآشوريين حيث نقرآ في أحد الرسائل الآشورية بأن عمون قد أرسلت منين من الذهب وموآب مناً واحداً بينما أرسل الحاكم

1- 1 أخبار 33: 11-13؛ السواح: الحدث التوراتي المصدر السابق، ص117؛ الأحمد: تاريخ فلسطين القديم المصدر السابق، ص230؛ Mitchel: opcit, p. 72.

2- كتب النص المسماري على منشور يعرف بمنشور B نشر من قبل كامبل طومسن وترجمه لوكنبيل بنظر

Thompson, C., The Prisms of Esarhaddon and Ashurbanipal, Found At Nineveh , London - 1931, p. 25; ARAB: Vol. 2 , No. 690, p. 265-266; ANET: p. 291.

اليهودي الذي عينه الآشوريون في منطقة يهوذا عشرة أمنان من الفضة واثني عشر منأ من الأيدوميين وبعض منها من جبيل[1]. حيث نقرآ عن ذلك ما يأتي:

"مناً من الذهب من سكان بيت عمون ومناً واحداً من الذهب من مؤآب... وعشرة أمنان من الفضة من سكان يهوذا ([Kur]la-u-sa-a-a) وبعضها من سكان أدوم، كما جلب موظفوا الملك من جبيل الجزية لسيدهم الملك"[2].

يتبين لنا مما تقدم أن نتيجة الحملات العسكرية التي قام بها الملك سنحاريب آضعفت يهوذا وقلصت مساحتها وظلت في النصف الأول للقرن السابع قبل الميلاد تابعة وخاضعة للمملكة الآشورية وكانت تدفع الجزية بانتظام، ولذلك لم يواجه خلفه الملك آسرحدون سوى متاعب قليلة، وتمكن من التخلص منها بسرعة.

1ـ الأحمد: تاريخ فلسطين القديم المصدر السابق، ص230.

2ـ Waterman: opcit, Vol. 1, p. 440ff; ANET: p. 301.

المبحث السادس

آشوربانيبال (668-626) ق.م

كان الملك آسرحدون قد أوصى بأن يتولى آشور بانيبال الحكم في بلاد آشور ويتولى أخوه شمش - شوم - اوكين الحكم في بلاد بابل على أن يظل موالياً لأخيه آشور بانيبال، وبعد وفاة آسرحدون وضعت الاتفاقية موضع التنفيذ[1].

مصادر معلوماتنا عن اليهود على عهد الملك آشور بانيبال قليلة جداً، كما أن مصادر معلوماتنا عن حكم هذا الملك نفسه متقطعة. فمع أنه ترك كتابات شاملة لكن الطريقة التي دون بها كاتبها تشير إلى الالتباس في تسلسل الأحداث، حيث كان يميل الكاتب إلى جمع حملات منطقة معينة معاً إذا كانت في أوقات مختلفة حسب اختلاف منهج كل منهم[2]. كما أننا نواجه قلة في المعلومات التاريخية خصوصاً بعد حله الأخير للمشكلة العيلامية مباشرة، والسبب لم يكن يتعلق بالاكتشافات الأثرية حيث جرى التنقيب في عدد كبير من الأبنية الخاصة بالملك وإنما دليل على مشاكل خاصة تتعلق بالحاكم المعني[3].

سار آشور بانيبال على نهج والده واتبع السياسة العسكرية نفسها، واجه مشكلتين الأولى: مصر والثانية بابل في كلتا المشكلتين كان ليهوذا اليد في ذلك وانتهجت موقفاً يتبع مصالحها. فنجد أن يهوذا تمد يد المساعدة إلى آشور بانيبال في حملته الأولى على مصر حيث ورد ذكر اسم حاكمها منسي ضمن الحكام والأمراء الاثنين والعشرين الذين زودوا القوات الآشورية المتقدمة إلى مصر بقوات

1- إسماعيل، شعلان كامل: المصدر السابق. ص189-190؛

Hallo: The Ancient Near East opcit, p. 32; Wiseman, D.J, "The Vassal Treaties of Esarhaddon", Iraq, Vol. 20, 1958, p. 9-13.

2- ساكز: قوة آشور المصدر السابق، ص157-158.

3- المصدر السابق، 166.

منه، وبقيت العلاقات بين المملكة الآشورية ويهوذا يسودها الهدوء النسبي حتى سنة 652 ق.م[1]، حيث جاء في النص المسماري[2]:

"وفي حملتي الأولى اتجهت إلى مصر (ماجان)، وملوخا (أثيوبيا). طهراقا ملك مصر ونوبيا، قد هزمه أبي آسرحدون ملك آشور وهزم بلاده. وأصبح آسرحدون هو الحاكم (ويبدو) أن طهراقا نسي قوة آشور وعشتار (وبقية) الآلهة الكبار أربابي، ووضع ثقته في قوته. فانقلب على الملوك (و) الوكلاء الذين عينهم أبي في مصر. فدخل واحتل العاصمة منفس، المدينة التي احتلها أبي وأدخلها ضمن الأملاك الآشورية. وجاءني رسول سريع إلى نينوى ليحمل إليّ النبأ فغضبت جداً من أجل هذه الأحداث، واشتعلت روحي كنار. ورفعت يدي دعاء إلى آشور وعشتار الآشورية (ثم) استدعيت قواتي المسلحة التي عهد إليّ بها آشور وعشتار وأخذت أقصر طريق إلى مصر ونوبيا. وفي خلال سيري (إلى مصر) جاءني 22 ملكاً من شاطئ البحر من الجزر ومن البلاد الرئيسة".

الملاحظ في هذا النص هو عدم ذكر اسم حاكم يهوذا منسي والحكام والأمراء الآخرين لكن لدينا نص مسماري مدون على أسطوانة[3] يذكر لنا أسماء 22 من هؤلاء الحكام:

"بعل ملك صور، منسي (Mi-in-si-e) ملك يهوذا (Ia-u-di)، قوس جابر ملك آدوم، موسورو ملك موآب، سيل بيل ملك غزة، متينتي ملك عسقلون" حيث يستمر بسرد أسماء هؤلاء الملوك والحكام.

1- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص161-162؛ دولابورت: المصدر السابق، ص282-283.

2- النص المسماري المذكور أعلاه مدون على اسطوانة عرفت بأسطوانة رسام وجدت عام 1878م في قوينجق نشره رولنصون ثم ترجمه وعلق عليه

Streck, M., Assurbanipal und die Letzten bis zum Untergang (Leipziq - 1916), Vol. 2 , p. 2ff ;

والترجمة الإنكليزية في

ARAB: Vol. 2, No. 770-783, p. 292-297; ANET: p. 292-293.

3- تعرف بأسطوانة (C) والتي تكونت من تجميع قطع مختلفة اعدت من قبل

Streck: opcit, p.139ff

والترجمة الإنكليزية في

ARAB: Vol. 2, No. 876, p. 340-341; ANET: p. 294

أما فيما يتعلق بالمشكلة الثانية وهي تمرد شمش - شوم - اوكن ومساهمة اليهود في ذلك لقد خطط شمش - شوم - اوكن لإقامة تحالف معاد واسع النطاق يضم الفينيقيين والفلسطينيين، ويهوذا، والقبائل العربية ومملكة ليديا ومصر[1]. إن وقوف يهوذا إلى جانب شمش - شوم - اوكن كان بدعم وتحريض من العرب الذين انضموا إلى قوى التمرد في بابل[2]، وبعد تمكنه من قمع المتمردين في مدن الساحل الفلسطيني وفينيقيا توجه لمعاقبة المتمردين في يهوذا وتمكن من مهاجمتها والقضاء عليها واسر حاكمها منسى الذي نقله مكبلاً بالقيود إلى بابل، ثم عفا عنه وأعاده إلى عرش دويلته ومصدرنا في هذا الخبر العهد القديم. حيث لا يتوفر لدينا نص مسماري يخص هذه الأحداث.

وخلال ما تبقى من فترة حكم آشور بانيبال لا يرد ذكر اليهود في النصوص المسمارية ولكن نعرف من خلال المصادر التوراتية تتابع حاكمين على عرش يهوذا خلال هذه الفترة هما آمون (أوعمون) (641-639) ق.م ولكنه لم يحكم سوى سنتين واتبع طريق والده في ارتكاب الشرور وعبادته الأرباب الكنعانية وإدخاله الطقوس الآشورية ربما مجاملة لأسياده الآشوريين كما فعل جده آحاز من قبل[3]. وأتى بعده ابنه يوشيا (جوزيا) (638-608) ق.م وقد حكم فترة طويلة تقدر بثلاثين سنَة، شهد خلالها انهيار المملكة الآشورية وصعود المملكة البابلية الحديثة (الكلدية). ولقد استغل يوشيا ضعف المملكة الآشورية في الفترة التي تلت اختفاء الملك آشور بانيبال حوالي سنة 630 ق.م وحكم ولديه آشور - ايطل - ايلي (626-621) ق.م وسين - شار -

---

1- الدوري، رياض عبد الرحمن الدوري: اشور بانيبال (669-627) ق.م سيرته ومنجزاته. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد - 1986، ص108؛

ARC: p.131; Milliard, A.,R., "Fragments of Historical Texts from Nineveh", Iraq, Vol. 30, Pt. 1, 1968, p.108; Coogan, M.; Tadmor, H., "Ashurbanipal Conquest of Babylon", Orientalia , Vol. 50 , fasc.3 , 1981, p.229-234.

2- لقد قام العرب بدور مهم في اسناد التمرد. فاضطر بعد إخماده تمرد أخيه بالتوجه لتأديب القبائل التي اشتركت فكانت حملته التاسعة عليهم للمزيد من التفاصيل ينظر الدوري: المصدر السابق، ص 128-133؛ الكيلاني: المصدر السابق، ص36-37، 54-60؛ ANET: P. 297-298.

3- الأحمد: تاريخ فلسطين القديم المصدر السابق، ص 230؛ السواح: ارام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص 262-263.

اوشكن (620-612) ق.م[1]، فأخذ يوسع حدوده على حسابها مستغلاً تردي الوضع العام في المملكة وابتدأت الأقاليم والمقاطعات التابعة للمملكة الآشورية تنفصل الواحدة بعد الأخرى ومن بين هذه المقاطعات يهوذا[2]. فالمنطقة التي عهد الآشوريون إلى يوشيا حكمها كانت تمتد من جيبا (جبع الحالي على بعد ستة أميال شمال شرق القدس) ولكن القائمة التي وردتنا من منتصف ولايته ترينا مدى التوسع الذي طرأ على المنطقة التي يتولاها. فقد صارت تسع وعشرون قرية تحت إدارة بئر السبع وأربعة عشر تحت إدارة أدوللام (تل شيخ على بعد تسع أميال شمال وشمال شرق بيت جبرين) اوسكو (تل شويكة وربما تكون خرية عباد بجنوب فلسطين) بينما شملت لاخيش ست عشرة قرية وبذلك دفع حدوده شمالاً نحو حبرون (الخليل)، ثم تقدم إلى اوفرا (ربما الطيبة الحالية) وأريحا ووادي الأردن الجنوبي بمدنه الاثنتي عشرة كما جلب العقير تحت إدارته ولكنه لم يتمكن من التقدم نحو أي من المدن الفلسطينية الثلاث الباقية[3]. وعندما وضع الميديون والكلديون نهاية المملكة الآشورية سنة (612) ق.م لا شك في أن اليهود لعبوا دوراً وعاملاً إضافياً في تعجيل سقوط المملكة الآشورية حيث إن الحملات العسكرية باتجاه الغرب أتوا بأعداد من الأسرى اليهود وأسكنوهم في نينوى وأطرافها وفي عدد من الأقسام الشمالية فعندما بدأت عوامل الضعف بالمملكة الآشورية، فقد بذلوا جهدهم لدعم القوات المتقدمة لإسقاط العاصمة بائين روح الإحباط والانهيار في صفوف المدافعين حتى إذا سقطت نينوى واحرقت عن بكرة أبيها أعلنوا تشفيهم وفرحهم بما حل بها[4].

1- الدوري: المصدر السابق، ص136-137؛ ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص164-166؛ ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص170-171؛
Dubberstin, W., "Assyrian and Babylonian Chronology 669-612 B.C", JENS , Vol. 3, 1944, p.40.

2- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص167؛ الدوري: المصدر السابق. ص137-138؛
Cross, F.; Freedman, D., "Josiahs Revolt Against Assyria", JENS, Vol. 21, 1953, p.56-58; Dalley: opcit, p.63.

3- الأحمد: تاريخ فلسطين القديم المصدر السابق، ص231-232.

4- أبو الصوف، بهنام: "أسباب تحامل اليهود على الحضارة العراقية القديمة". افاق عربية. ع11، بغداد - 1985، ص52. وللمزيد من التفاصيل عن أسباب وعوامل وظروف وملابسات سقوط المملكة

يتبين لنا مما تقدم أنه مع تنامي قوة المملكة الآشورية في عصرها الآشوري الحديث توسعت حملاتها العسكرية باتجاه الغرب ضد المدن القائمة هناك في تلك الفترة فقد بلغت عدد الحملات العسكرية التي قام بها شيلمنصر الثالث ثلاث عشرة حملة كانت حصة سوريا وفلسطين (بلاد الشام) سبعاً. أما الملوك السرجونيون فمن بين ثلاث عشرة حملة لسرجون كان نصيب سوريا وفلسطين أربع حملات ثم أخذت الحملات العسكرية تقل على الغرب وهذا يعود إلى استقرار الوضع السياسي ولاسيما في فلسطين ففي عهد سنحاريب نلاحظ ثماني حملات منها حملة واحدة إلى سوريا وفلسطين والعدد نفسه مع آسرحدون وآشور بانيبال. إن السرعة التي اتصف بها الآشوريون في معالجة حركات التمرد والعصيان في تلك المنطقة وسيطرتهم على طرق التجارة، وتنظيمها والقضاء على السامرة وتوجيه الضربات إلى يهوذا وضمها ضمن إطار المملكة الآشورية كلها عوامل أدت إلى قلة حركات التمرد والعصيان في أواخر العصر.

الاشورية ينظر الأحمد، سامي سعيد: "لماذا سقطت المملكة الاشورية"، سومر، م27، بغداد - 1971، ص110-122.

اليهود في نصوص ملوك
المملكة البابلية الحديثة (الكلدية)

المبحث الأول

متغيرات الأحداث على الساحة الدولية مع مطلع القرن الخامس قبل الميلاد

شهدت بلاد الرافدين في أواخر الألف الثاني وبدأية الألف الأول قبل الميلاد تغيرات سكانية كبيرة تمثلت بدخول العديد من القبائل الآرامية إليها واستقرارها فيها. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد استطاعت بعض تلك القبائل تأسيس امارات مستقلة أخذت مع الزمن تنافس الممالك القديمة الموجودة سابقاً في جنوب بلاد الرافدين، واستقرت جماعات يظن أنها من القبائل الآرامية عرفت بقبيلة الكلدو[1]. خضعت في بداية أمرها لنفوذ المملكة الآشورية ولكن بعد وفاة الملك آشور بانيبال ضعف النفوذ الآشوري بشكل كبير واستغل هذا الضعف نبوبلاصر زعيم هذه القبيلة فاستولى على السلطة هناك ونصب نفسه بشكل رسمي ملك أكد في مدينة سبار ثم في بابل عام 625 ق.م ومع الزمن وطد سلطته في كل البلاد ثم أسهم بالتحالف مع الملك الميدي كي اخسيار (625-585) ق.م في الإجهاز على ما تبقى من المملكة الآشورية واحتل العاصمة نينوى عام 612 ق.م ثم حران آخر معقل آشوري عام 610 ق.م[2].

1- برز اسم كلدو (kaldu) وسكانها الكلديين منذ القرن التاسع قبل الميلاد وكان المنطقة التي سكنوها تعرف باسم بلاد البحر أو القطر البحري منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد (-mattam tim) وان أرضهم سميت بلاد كلدو (matkaldu) وتمثل وجودهم على شكل مجمعات قبلية تسمى بيوتا او مشيخات وكان يتزعم كل بيت او مشيخة زعيم اتخذ لنفسه لقب ملك. ينظر: غزالة: المصدر السابق، ص 12-14؛ محمد، حياة إبراهيم: نبوخذ نصر الثاني (604-562) ق.م. بغداد - 1983، ص 32-33؛

Brinkman, J.A.. "Notes On Arameans and chaldeans In Southern Babylonia In Early Seventh Century B.C.", Orientalia, Vol. 46, No. 2, 1977 PP. 304-306.

2- مرعي، عيد: "بابل في عهد نابونيد أخر ملوكها". دراسات تاريخية، ع 63-64، دمشق، 1998، ص 28؛

وأسس بذلك سلالة جديدة حكمت بلاد بابل وسيطرت على معظم البلدان والأقاليم التي كانت تابعة للآشوريين لمدة تناهز القرن وعرفت في المصادر التاريخية باسم المملكة البابلية الحديثة أو المملكة الكلدية[1]. وعلى الرغم من قصر المدة الزمنية التي حكمت فيها المملكة البابلية الحديثة إلا أن عهدها كان بحق من العهود المجيدة في تاريخ العراق القديم، كما كان لهذه الفترة أهمية خاصة في دراسة التغيرات الجذرية التي حصلت في مدن بلاد سوريا وفلسطين لا سيما بعد أن قضى نبوخذ نصر على يهوذا ورحل سكانها إلى بابل.

عندما سقطت نينوى كانت القوى الرئيسة في العراق والدول المجاورة تتكون من مصر التي كانت تسيطر على بعض جهات فلسطين وسورية، وليديا في هضبة الأناضول وميديا في هضبة إيران وكذلك في القسم الشرقي من حوض نهر دجلة ثم قوة الكلديين في العراق بجانب هذه القوى الرئيسة كانت توجد قوى ثانوية حيث كان هناك عدد من المدن المستقلة من بينها أورشليم في جنوب فلسطين، ثم قوة الفرس الأخمينيين[2]. وفي ماعدا ذلك كانت المدن الفينيقية تتمتع باستقلالها كما كانت هناك بعض القبائل من السكثيين ومن الكمريين. لقد وقفت يهوذا مع مصالحها الخاصة. ويبدو أن الدبلوماسية الكلدية لاقت نجاحاً كبيراً في فلسطين، حيث كان على نيخو الثاني الفرعون المصري (609-594) ق.م أن يقوم بحملة عسكرية من أجل نجدة حليفه الملك آشور أوبلط فاعترضه يوشيا حاكم يهوذا وأغار على القوات المصرية في طريقها باتجاه الشمال وأعاق تقدمها فدحره

Thomson, R.C., "The New Babylonia Empire", In CAH, Vol. 3, p. 207-208.

1- محمد. حياة ابراهيم: المصدر السابق. ص 46-52؛ رو: المصدر السابق، ص 501.

2- كان الفرس اصلا احدى القبائل الهندوارية المهاجرة التي استقرت أخيراً في عيلام وقد اسس عائلتهم المالكة في منتصف القرن السابع قبل الميلاد، بعد أن قضى أشور بانيبال على مملكة عيلام - اخمينس (حاخمانيش) (Hahmanish) وقد ارتفع شأن قوة مملكة فارس خصوصاً بعد قيام الملك الميدي استياج بتزويج ابنته من قمبيز الاول. ومن هذا الزواج ولد كورش الأخميني. ينظر:
Daniel, D.G., The Medes and Persians, London-1965, p. 49-50; Brinkman, J.A. "From Destruction To Resurrection On: The Antecedents of Babylonia's Birth as a World Power In the Seventh B.C.", Sumer, Vol. 21, No. 1-2, 1985, p. 110-112; Widengren, G., "The Persians" In People of Old Testament Times, Oxford- 1975, p. 312-347; Stronach, D., "Achaenenid Village at Susa and Persian Migration to Fars", Iraq, Vol. 36, 1674 , p. 239-248.

وقتله عند مجدو (608) ق.م وأصبحت يهوذا نتيجة لذلك تابعة بصورة مؤقتة إلى مصر[1]، والجدير بالذكر أن الخبر التوراتي لا يذكر أي دوافع حدت بيوشيا إلى التصدي لحملة نيخو في مجدو، ولكن مسار الأحداث اللاحق يظهر أن مصر كانت راغبة في الحصول على أملاك المملكة الآشورية في المنطقة ويبدو أن حاكم يهوذا لم يكن يعرف الكثير عن مخططات بابل المقبلة وعن رغبتها ومقدرتها على ملء الفراغ الآشوري في المنطقة فاعتقد أن هزيمته لنيخو سوف تفتح أمامه الباب واسعاً من أجل ملء الفراغ الآشوري نفسه والسيطرة على المنطقة[2].

استطاع نيخو أن يستولي على سورية ويهوذا ثم تقدم نحو كركميش على الفرات و التي تعد ذات أهمية عسكرية كبيرة بالنسبة لسلامة المملكة ولذلك أرسل نبوبلاصر حملة عسكرية عهد بقيادتها إلى ابنه نبوخذ نصر وبالفعل جرت معركة حاسمة في كركميش كان النصر فيها للبابليين[3].

نبوخذ نصر الثاني (650-562) ق.م:

يعد نبوخذ نصر المؤسس الحقيقي للمملكة البابلية الحديثة، اعتلى العرش بعد وفاة والده فيما كان على رأس جيش في سوريا متوجهاً إلى مصر عند نهر العريش ووصلته الأخبار بوفاة والده فعهد بقيادة الجيش إلى أحد ثقات ضباطه. فقفل راجعاً بسرعة إلى العاصمة بابل قاطعاً المسافة في ثلاثة وعشرين يوماً ربما عن طريق تيماء أو تدمر وقد فاقت شهرته شهرة أبيه ودام حكمه أكثر من أربعين عاماً، حقق خلالها إنجازات سياسية وعسكرية وعمرانية وضعته في مصاف عظماء القادة والزعماء[4].

1- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق. ص 170-171؛ ساكز: قوة آشور المصدر السابق. ص 174-175.

2- السواح: الحدث التوراتي المصدر السابق، ص 263-264.

3- Thomson: opcit, p. 210-212; Dalley: opcit, p. 63; ANET: p. 303-305.

4- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص 171-172؛ ساكز: قوة آشور المصدر السابق، ص 174-175؛ محمد، حياة إبراهيم: المصدر السابق، ص 59.

خلف لنا عصر الملوك الكلديين القصير الأمد ذخيرة من سجلات التاريخ والنصب والمدونات الملكية والرسائل التجارية المتوفرة بأعداد هائلة تساعد على إعطاء صورة شبه متكاملة للمملكة البابلية الحديثة. ومن هذه المجموعات من المصادر تنبثق ظاهرتان تضيفان إلى كامل تلك الفترة خصوصية متميزة أولهما التحديث الديني الموصول بنشاط عمراني واسع النطاق، وثانيهما استعادة المعابد لدورها بوصفها وحدات اجتماعية اقتصادية كبيرة. كانت الظروف الطبيعية والجغرافية وإرادة الحكام قد حتمت على المملكة الآشورية أن تتحول إلى دولة عسكرية ولقد أدت ذات هذه العوامل الفاعلة المفعول خلال الألف عام من التدهور السياسي إلى جعل بابل الوريث الشرعي والحامل الحقيقي للتراث السومري والأكدي لذلك اتخذت النهضة البابلية في القرن السادس قبل الميلاد شكل إحياء وتحديث ديني حيث كرس الملوك الكلديون وقتاً وجهوداً وأموالاً طائلة لإعادة بناء المعابد وإحياء الطقوس القديمة والاحتفال بالأعياد الدينية بعروض فخمة، وفي نصوصهم الملكية جرى التأكيد على إنجازاتهم العمرانية أكثر من أعمالهم الحربية فالكثير من المخلفات والنقوش التي بقيت من عهد نبوخذ نصر لا تشير إلى حملاته الحربية بل إن غالبيتها تتناول جهوده في التعمير والبناء[1]. كانت القصور البابلية على العكس من القصور الآشورية، فلم تكن تحرس الأبواب منحوتات حجرية فخمة كما لم تمتد على الجدران ألواح منحوتة أو مصورات ناتئة بسبب انعدام الأحجار في القسم الجنوبي وكثرة الأعمال الفنية على الآجر وخير دليل على ذلك هو ظهور الأعمال الآجرية إبان سلالة بابل الأخيرة أو ما بعد العصر البابلي الحديث. حيث تضمنت هذه الأعمال صوراً لحيوانات وتخطيطات لبنايات وأعمدة بالألوان المختلفة على ألواح الاجر المصقول[2]. وخير تعليل لظاهرة التوسيع العمراني

1- رو: المصدر السابق، ص 521-522؛ Mitchell: opcit, p. 77.

وللمزيد من التفاصيل عن انجازات الملك العمرانية ينظر، محمد، حياة ابراهيم: المصدر السابق، ص 95 وما بعدها.

2- رو: المصدر السابق. ص 526؛ طه، منير يوسف: "الرسوم والنقانش الصخرية في الوطن العربي" ضمن كتاب: النقانش والرسوم الصخرية في الوطن العربي، تونس - 1997، ص 53.

الذي شهده هذا العصر، بأن مآثر الملوك البطولية في المعارك لم تعد تحتل المكانة الأولى لدى ملوك هذا العصر، بل جاءت أعمالهم الدينية في بناء المعابد وأعمالهم الدنيوية في بناء القصور خير شفيع لتخليد ذكراهم[1]. وجدير بالذكر أن نصوص هذه الفترة فيما يخص موضوعنا عن اليهود لا تلقي الضوء على أحداث معينة، فلم تترك لنا المملكة البابلية الحديثة سجلات تفصيلية عن حملاتها على سوريا وفلسطين وخصوصاً على يهوذا باستثناء النصر الخاص بالجرايات المخصصة للحاكم اليهودي وسيأتي ذكر ذلك لاحقاً. مع سقوط المملكة الآشورية كانت بابل الوريثة الشرعية لها ولهذا اتجهت الحملات البابلية بقيادة نبوخذ نصر إلى ملاحقة الجيش المصري بعد معركة كركميش وإلى حدود العريش أعقبتها حملتان على الغرب قادها نبوخذ نصر عام 597 ق.م ضد يهوذا والثانية كانت عام 586 ق.م أنهت استقلال يهوذا وترحيل سكانها[2].

وفي غمرة تشفي اليهود بسقوط نينوى والمصير الذي آلت إليه المملكة الآشورية[3]، عاد حكام يهوذا إلى عقد الأحلاف السياسية ضد السلطة الجديدة وكانت مصر تشكل محوراً في إثارة المدن السورية والمصرية ضد نبوخذ نصر[4]. أخذت مدينة يهوذا الصغيرة بعد موت يوشيا تتقلب في سياستها بين الخضوع للمملكة البابلية الجديدة وبين تحالفها مع مصر، واختار حاكمها الجديد ابن يوشيا، وهو يهوياقيم (608-597) ق.م معارضة بابل والتحالف مع مصر في عهد نيخو الذي عينه على عرش يهوذا. وكان نبوخذ نصر قد دحر جيشاً لنيخو في كركميش 605 وبذلك ثبت النفوذ البابلي في المنطقة[5]. في البداية عندما رأى يهوياقيم حاكم يهوذا انتصارات الملك البابلي أظهر له الطاعة وقدم له الجزية لكنه نكث العهد. فتتابعت حملات نبوخذ نصر على المدن في سوريا وفلسطين، ففي

1- غزالة: المصدر السابق. ص 204؛
Barnet: opcit, p. 34; AAO: opcit, p. 107-108; Stomerger: opcit, p. 557-463.

2- Thomson: opcit, p. 212.

3- ابو الصوف: المصدر السابق. ص 51.

4- محمد، حياة إبراهيم: المصدر السابق. ص 61.

5- باقر: المصدر السابق. 295/2.

شهر أيار من عام 603 ق.م جمع جيشاً كبيراً وحمل معه أبراج الحصار وسار صوبها دون أية مقاومة منها . وقد يكون الغرض الأساسي من حملته هذه هو تأديب إحدى المدن التي أظهرت العصيان ولكن لا نعرف بالضبط اسم المدينة المقصودة لوجود كسر في الوثيقة البابلية ، وهناك من يعتقد بأن آورشليم هي المدينة المقصودة[1].
وعلى أثر انسحاب الجيش البابلي على أثر حملته على مصر عام 601 ق.م تشجع يهوياقيم فأعلن عصيانه ضد الحكم البابلي عام 600 ق.م بعد أن بقي موالياً لنبوخذ نصر لمدة ثلاث سنوات آملاً من ذلك الانفصال عن الحكم البابلي ولم يقم نبوخذ نصر بضرب هذا التمرد بنفسه بل وجد في بعض القبائل التي كانت تسكن في شرق الأردن من الآدوميين والموآبيين والعمونيين إلى جانب بعض حامياته التي كانت موجودة في المدن السورية والتي تم الإيعاز لها بالتقدم لمهاجمة يهوذا قبل توجهه إليها. والجدير بالذكر أن تحالف الآدوميين مع البابليين قد استمر فترة طويلة فيما بعد أثناء حصار أورشليم حيث سكنوا بعدها فلسطين واتخذوا من حبرون (الخليل) عاصمة لهم[2]. ومن وثيقة بابلية مؤرخة في السنة السادسة من حكم نبوخذ نصر تشير إلى قيام الملك البابلي بحملة على بلاد حاتي (سوريا) للقضاء على التمرد هناك فضلاً عن تمرد حاكم يهوذا[3]. وتشير فخارية مدونة بالعبرية من مدينة آراد والتي تقع على بعد 17 ميلاً جنوب شرق حبرون في فلسطين، ما ذكره العهد القديم بخصوص تضامن آدوم ودورها في النشاط العسكري البابلي ضد يهوذا ، ويفهم من

---

1 -ARC: p. 100; Wiseman, D.J.: A Chronicle of Chaldeans Kings (662-556 B.C), London - 1956, p. 28.

محمد، حياة إبراهيم: المصدر السابق، ص 64. جدير بالذكر انه عثر في سقارة بمصر على نصوص هي عبارة عن مجموعة من البرديات كان من ضمنها طلب حاكم ادون في جنوب فلسطين المساعدة العسكرية من نيخو فرعون مصر ضد تقدم جيش نبوخذ نصر. وتؤرخ هذه النصوص بعام 603 أو 602 ق.م. ينظر:

Porten, B., "The Identity of King of Adon", B.A, Vol. 44, No. 1, 1981, pp. 36-52; Shea, W.H., "Adon's Letters and the Babylonian Chronicle", BASOR, No. 223, 1976, pp. 61-63; ANET, p. 491-492; Johnson: opcit, p. 74.

2- محمد، حياة إبراهيم: المصدر السابق، ص 65؛ Ephe'l: opcit, p.172.

3- محمد، حياة إبراهيم: المصدر السابق، ص 65؛
Ephe'l: Ancient Arabs opcit, p. 173-174; ARC: p. 161.

بقايا هذه الوثيقة مظاهر القلق والمخاوف التي كانت تسيطر على الحاكم اليهودي من احتمال هجوم آدومي - بابلي يؤدي إلى سقوط قلعة راموث نقب كما أن الإرسالية العسكرية تعكس لنا حقيقة الأوضاع السائدة عام 600 ق.م في جنوب فلسطين[1]. لقد توضح هدف نبوخذ نصر من إبقاء جيشه في سوريا في السنة التالية 598 ق.م، ففي تشرين الأول/الثاني قاد الملك نبوخذ نصر حملة باتجاه الغرب قاصداً ياخودو (ala-a-hu-du) التي يبدو أن المقصود منها هو مدينة يهوذا، فاصطدم باليهود الذين أخذوا يستعيدون بعض قواهم إثر انهيار الآشوريين فكان لا بد للعاهل البابلي من اجتثاث بقاياهم مرة أخرى والقضاء على مصدر الفتنة في فلسطين[2]. لقد تأمل حاكم يهوذا في قدرة مصر على مساعدته للوقوف بوجه القوة البابلية، فالنص البابلي صريح في عباراته بأن الجيش البابلي عسكر أمام يهوذا أو أخضعها في الثاني من آذار عام 597 ق.م ولقد حفظت لنا سجلات نبوخذ نصر نصاً مختزلاً عن حملته على يهوذا والتي انتهت بإسقاط يهوياكين وتعيين صدقيا عوضاً عنه. جاء في النص المسماري:

"السنة السابعة: في شهر (كيسليمو) استدعى ملك أكد نبوخذ نصر جيشه وسار به باتجاه أرض حاتي، وعسكر قبالة يهوذا (ala-a-hu-du) فحاصر المدينة واحتلها في اليوم الثاني من شهر (آذار)، خلع ملكها، ونصب ملكاً آخر من اختياره. أخذ الكثير من الغنائم من هناك، فأرسلها إلى بابل"[3].

أما النص المتعلق بتدمير أورشليم وفرض الحصار عليها ومدته مفقود، إلا أن التنقيبات الأثرية في الطبقة العائدة لهذه الفترة التي قام بها الأجانب وجلهم من اليهود قد كشفت عن آثار دمار شامل في المدينة يرجع إلى أواخر القرن السادس قبل الميلاد وانقطاع في الاستيطان دام قرابة قرن من الزمان كما عثر على بقايا جثث نالت منها النيران قد دفنت في مقابر جماعية وفي الكثير منها آثار إصابات حربية،

1- محمد، حياة إبراهيم: المصدر السابق، ص 65؛
Aharoni, T., "Three Hebrew Ostraca from Arad", BASOR, No.197 , 1970, p. 12.
2- الصوف: المصدر السابق، ص 53؛ باقر: المصدر السابق، 547/1.
3- ANET: p.203; ARC: p. 101-102; Wiseman: opcit, p. 716; Mitchell: opcit, p. 82.

كما كشفت التنقيبات عن دمار في العديد من المدن، علماً بأن نبوخذ نصر لم يذكر في أي من نصوصه المتوفرة حالياً أياً من هذه التخريبات التي قيل إن الحفريات أوضحتها[1].

إذن لا يوضح النص البابلي لنا تفاصيل عن حصار أورشليم ومدته وعن مصير يهوياكيم وكيفية تنصيب يهوياكين على العرش ومن ثم ترحيله إلى بابل، إلا أن تاريخ انطلاق الجيش البابلي وتاريخ سقوط المدينة يقودنا للتعرف على مدة الحصار الفعلي للمدينة، وفي ضوء إشارات العهد القديم إلى معرفة مصير يهوياكيم الذي كانت الحملة تهدف قمع تمرده لتوقفه عن دفع الجزية، فضلاً عن تعرفنا على تاريخ ترحيل يهوياكين وبقية سكان المدينة إلى بابل. إن حصار المدينة لم يدم أكثر من شهرين وهذا ما نستنتجه من تاريخ انطلاق الجيش البابلي في شهر تشرين الأول/الثاني 598 ق.م حيث المقدر للجيش البابلي آن يقطع المسافة بين بابل وأورشليم والتي هي حوالي 1600 كم بحدود شهرين، وذلك على افتراض معدل الحركة اليومية للجيش 30-35 كم في أيام الشتاء الممطرة، واستناداً إلى ذلك فلا بد من وصوله إلى المدينة في شهر كانون الثاني/شباط وضرب الحصار عليها، وهذا يقع على الأرجح قبل أقل من شهرين من تاريخ سقوط المدينة. أما مصير يهوياكيم الذي لم يشر إليها النص البابلي، كما لا تقف عليه روايات العهد القديم فيبدو أنه مات قبل سقوط المدينة بثلاثة أشهر وعشرة أيام (أخبار الأيام 2: 34-9)، وبظروف لا نعرفها الآن، أي في الثاني والعشرين من شهر كانون الأول عام 598 ق.م ولكن هذا لا يجعلنا نتقبل جوهر ما أشار إليه العهد القديم ويوسفيوس، بأن حملة نبوخذ نصر كانت مخططة كرد فعل لوفاة يهوياكيم وتتويج يهوياكين مكانه، وحيث إن يهوياكين خلع في الثاني من آذار عام 597 ق.م أي بعد أن حكم ثلاثة أشهر فإن الصورة النهائية للوضع الذي كان قائماً في يهوذا أثناء الحصار البابلي، هي أن يهوياكين كان حاكم المدينة الفعلي، وقد تم تتويجه بعد وفاة والده والعقاب الذي

---

1 _Kenyon: Digging Up Jerusalem opcit, p. 166-172.

السواح: الحدث التوراتي المصدر السابق، ص 181-182؛ الأحمد، سامي سعيد: "الدولة الكلدانية زمن نبوبلاصر ونبوخذ نصر"، المؤرخ العربي، ع29، بغداد - 1986، ص 269.

خطط له نبوخذ نصر وقع على خلفه يهوياكين ولا يغير هذا الأمر من كون هدف الحملة الأساس هي تأديب يهوذا ولا علاقة لملك بابل بمقتل يهوياكيم أما القبض على يهوياكين استناداً إلى النص البابلي وترحيله مع أفراد عائلته ومجموعة من سكان المدينة إلى بابل وإن عملية الترحيل لم تحدث إلا بعد مرور عدة أسابيع من سقوط المدينة[1]. وقد ورد اسمه في أحد النصوص المسمارية الخاصة بتوزيع الجرايات[2]، ويشير هذا النص إلى أن يهوياكين قد استقر هو وأفراد عائلته وحاشيته في بابل واحتجز في القصر الملكي بمدينة بابل حيث عثر على الجرايات التي كانت مخصصة لهم[3]. وقد عثر المنقبون على هذه القوائم في بيت الأقبية أو ما يعرف بالجنائن المعلقة حيث يقع هذا البناء في الزاوية الشمالية الشرقية للقصر الجنوبي الكبير حيث تم العثور على سرداب تحت الأرض يتكون من سلسلة من أربع عشرة حجرة مقببة وتشير خطة بناء المبنى الغريب أنه ربما كان يستعمل مخزناً أو وحدة إدارية[4].

كما أننا نعرف استناداً إلى وثيقة بابلية تقضي بتعيين صدقيا حاكم جديد على المدينة وهو صدقيا الذي جلب أسيراً إلى بابل بدلاً عنه حاكم على البلاد بعد

1- محمد، حياة ابراهيم: المصدر السابق، ص 67-68؛ Mitchell: opcit, p. 81.

2- الجراية: هي مواد عينية وتتضمن الحبوب والزيت والصوف والقماش والملابس والسمك والخبز والطحين وتعرف بـ SUM Se-ba وAKK بـ ابير iperu. ينظر:

CAD: Vol.I, p. 166; Gelb, J. "The Ancient Mesopotamia System", JNES, Vol. 24, 1965, p. 230.

3- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص 144؛ اوتس: المصدر السابق، ص 197؛

Dalley: opcit, p. 63; Johnson: opcit, p. 74.

4- اوتس: المصدر السابق، ص 226-227؛

Gurney, O.R., "The Fifth Tablet of the Topography of Babylon", Iraq, Vol. 3, 1974, p. 39-52; George, A.R., "The Cuneiform text Tin-Tirki Ba-bi-Lu and Topography of Babylon", Sumer, Vol. 35, 1979, pp. 323-3.

وحول أشكال المخازن ووظائفها ينظر، سلمان، حسين أحمد: المخازن في العراق القديم إلى نهاية العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد - 1982؛ نفس المؤلف، "نظرة عامة في مخازن العراق القديم"، سومر، م45، بغداد - 1988، ص 308-309؛ شهاب، كامل علوان: "الأبنية ذات الأقبية"، سومر، م 41، بغداد - 1985، ص 94؛ شهاب، كامل علوان: "الأبنية ذات الأقبية أو ما يعرف بالجنائن المعلقة"، سومر، م35، بغداد - 1979، ص 128.

تمرد الأول وامتناعه عن دفع الجزية. ومن خلال ما أشار إليه النص البابلي يتضح تماماً بأن صدقيا نصب حاكماً من قبل نبوخذ نصر شخصياً أي عقب استسلام المدينة مباشرة، حيث أقسم للملك يمين التبعية والولاء، وأكد بأنه سيبقى حاكماً تابعاً له على البلاد ولن يفكر في القيام بأي عمل مخادع ولا يعقد أية صداقة مع المصريين، وعلى الرغم من حلفه الغليظ فإنه لم يحافظ على العهد، حيث حنث بالقسم بعد مرور تسع سنوات من حكمه. وإزاء هذا الموقف الذي اتخذه هذا الحاكم عزم نبوخذ نصر على التصدي له، فجهز جيشاً وسار به قاصداً أورشليم في كانون الأول/الثاني عام 589 ق.م وحاصر المدينة ولا نعرف مدة الحصار ولكن استناداً إلى العهد القديم يوسفيوس فإن الحصار دام 18 شهراً[1]. وعلى إثره تم تعيين جدليا حاكماً للمدينة في الشهر الخامس من السنة التاسعة عشر لحكم نبوخذ نصر أي في آب 586 ق.م[2]. واغتيل بعد شهرين وهذا ما يتفق عليه المؤرخون ولكن هناك إشارة في سفر إرميا (30:52) تذكر ترحيل اليهود عام 584 ق.م على إثر اغتيال جدليا وهذا بالطبع يعكس لنا حقيقة أخرى بخصوص حكم جدليا إذ استناداً لهذه الإشارة فإن حكمه استمر أربع سنوات وهي التي تفصل بين وقوع القتل وبين الثأر[3].

يتبين لنا مما تقدم أننا نواجه نقصاً بالنصوص المسمارية فيما يتعلق بالحملات التي واجهها باتجاه الغرب، فيما عدا النص البابلي الموجز الذي يصور لنا الأحداث المتعلقة بفرض الحصار على آورشليم والتي انتهت إسقاط يهوياكين وتعيين صدقيا

1- محمد. حياة إبراهيم: المصدر السابق. ص 69-70؛ Johnson: opcit, p. 74.

2- جدير بالذكر أن المنقبين عثروا في لاخيش في غرفة الحراسة المتصلة ببوابة سور لاخيش على مجموعة من الرسائل أرخت بالقرن السابع قبل الميلاد ولكن الشائع هو انها تؤرخ إلى ما قبل سقوط يهوذا بقليل أي قبيل 586 ق.م وإن العثور على رسائل لاخيش في مكان واحد له دلالة على أن المرسل اليه شخص واحد وذات مضامين سياسية واقتصادية وعسكرية ومن خلالها يصل إلينا صدى صراعات يهوذا مع جيوش نبوخذ نصر من الخارج وكذلك الكتل الاقتصادية في الداخل ينظر: حومسكي: المصدر السابق، ص 54-55؛ هزيمة: المصدر السابق، ص 60-85؛ ANET: p. 322.

3- محمد. حياة إبراهيم: المصدر السابق، ص 71-73؛ الأحمد: الدولة الكلدانية المصدر السابق، ص 269-270.

عوضاً عنه ومصدرنا الوحيد عن التخريب المزعوم هو مصادر أجنبية معتمدة أساساً على نتائج التنقيبات الأثرية. وكان الهدف لمعظم الحملات تأمين النفوذ البابلي وجمع الجزية السنوية أو تاديب حكام المقاطعات الذي يظهرون أمارات العصيان والتمرد ويمتنعون عن دفع الجزية وهذا ما نجده في حالة اليهود الذين نكثوا العهد الذي قطعوه للملك نبوخذ نصر وتآمروا عليه وشقوا عصا الطاعة فكانت نهايتهم، وهناك ثلمة في سلسلة الأخبار البابلية حرمتنا من معرفة أحداث السنوات التالية ولكن يتبين من خلال النصوص المسمارية والعهد القديم ويوسفيوس أن نبوخذ نصر قد قاد حملتين على يهوذا تفصل بينهما قرابة عشر سنوات في حملته الأولى اكتفى بتغيير الحاكم وقبض الجزية وترحيل عدد من أهلها وفي حملته الثانية قام بتدمير المدينة وترحيل أهلها أيضاً. وهكذا انتهت يهوذا بعد أن عاشت قرابة قرن وربع بعد السامرة وبذلك تمكن نبوخذ نصر طيلة حياته من إخماد العصيان والتمرد الذي كانت تسببه وأمن بذلك الطرق التجارية بين العراق وبلاد الشام وموانئ البحر المتوسط. أما فيما يتعلق بترحيل اليهود والذي حظي بشهرة كبيرة جداً فإننا لا نملك أية نصوص تتحدث عن ذلك فيما عدا النص المسماري الخاص بالجرايات المخصصة للحاكم اليهودي يهوياكين.

فترة الركود السياسي (562-555) ق.م:

توفي نبوخذ نصر في الفترة الواقعة بين 26 أيلول و 6 تشرين الأول عام 593 ق.م. خلفه على العرش ثلاثة ملوك ضعفاء لم يستطيعوا أن يحكموا أكثر من ست سنوات ونصف لم يتمكنوا من خلالها السيطرة على حدود المملكة الواسعة التي وضع أسسها نبوخذ نصر فكان عهدهم عهد ضعف واضمحلال اضطربت فيه الأحوال الداخلية وقامت فيه التمردات[1]. وأول هؤلاء الأبناء اميل مردوك (562-560) ق.م (أويل مردوخ 2 ملوك 25: 27، ارميا: 52-31) الذي قتل في ثورة بعد حكم قصير دام سنتين ولا يعرف عنه إلا الشيء القليل إلى جانب ما ذكره العهد القديم (2 ملوك

1- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق. ص 145؛ اونتس: المصدر السابق. ص 199؛
Macqueen, J., Babylon, London - 1964, p.146.

25: 27–30) من أنه أظهر حسن معاملته إلى يهوياكين حاكم يهوذا الذي كان مسجوناً في بابل[1]. وقد أطلق سراحه ربما لرغبة الملك في جذب الأعوان أو كإشارة ود إلى مصر لأن هذا الحاكم ووالده كانا حليفين لمصر[2]. وقد دبرت المكايد ضده للإطاحة به بعد مؤامرة من قبل زوج اخته نرجلسار (560-556) ق.م (نرجال - شار - اصر ارميا 39: 9) والذي كان أحد القادة الذين قاموا بمهمة عسكرية كبيرة في عملية حصار أورشليم على يد نبوخذ نصر لذلك فقد كان يحظى باحترام ومكانة خاصة في نفس نبوخذ نصر وهذا ما جعله يحظى بشرف الزواج من ابنته ولهذا يمكن القول أنه سار على خطى السياسة التي كان ينتهجها نبوخذ نصر واستمر حكمه للبلاد حوالي أربع سنوات[3] خلفه على العرش ابنه لاباشي مردوك.

وتؤشر لنا فترة حكمه ندرة في النصوص التي وصلت إلينا من عهده حيث كانت فترة حكمه قصيرة ولم تتجاوز الثلاثة أشهر حيث واجه معارضة واسعة أدت إلى عصيان كبار موظفي المملكة وتنحيته عن العرش ونصب بدلاً منه نبونائيد (نبونيدس) الدبلوماسي الذي كان قد بعثه نبوخذ نصر بالمفاوضات بين الليديين والميديين عام 585 ق.م[4].

1- ساكز: المصدر السابق، ص 145؛ اوتس: المصدر السابق، ص 199؛
Wiseman: opcit, p. 38.

2- جدير بالإشارة إلى انه تم العثور على الختم الذي يعود ليهوياكين في فلسطين والذي استنتج من خلاله كل من اولبرايت ويدنر ومن لحق بهم انه في الوقت الذي كان فيه يهوياكين مسجونا في بابل فإنه قد تم اعتباره أيضا حاكما على يهوذا. في هذا الأمر ينظر:
Epha'l, I., "On the Political and Social Organization of the Jews in Babylon Exile", ZDMG, Supp. 1-5, 1983, p. 111.

3- لا تتوفر معلومات عن هذا الملك لأن اللوح التاريخي الذي يسجل أحداث عصره يعاني من النقص باستثناء السنة الثالثة. ينظر:
Wiseman: opcit., p.39; Sack, R.H., "Nergal-Sara-USUR king of Babylon as seen in the cuneiform, Greek, Latin and Hebrew sources", ZANF, Vol.68, 1978, p. 129-149; Albright, W.F., "The Nebuchadnezzar and Neriglissar chronicles", BASOR, No. 143, 1956, p. 28-33.

4- رو: المصدر السابق، ص 510؛ اوتس: المصدر السابق، ص 200؛
Macqueen: opcit., p. 147; Thompson: opcit, p. 281.

المبحث الثاني

نبونائيد (555-539) ق.م

كان نبونائيد آخر الملوك البابليين ظل يحكم البلاد حتى سقوط بابل على يد الجيش الأخميني عام 539 ق.م. لم يكن نبونائيد من العائلة المالكة الحاكمة، ولكنه ينحدر من عائلة بابلية رفيعة المستوى فهو نجل الحاكم والأمير المدعو نبو - بلاطو اقبي، الذي كان حاكماً على حران[1]. أما أمه فقد كانت أدد - كوبي، كانت الكاهنة العليا لمعبد الإله سين في حران وربما تكون أدد - كوبي هي نفس الملكة التي ذكرها هيرودتس باسم نيتوكرس الذي هو عبارة عن تحريف لاسم الملكة الآشورية نقية زوجة الملك سنحاريب وإن هيرودتس قد أخطأ عندما قال بأن كورش الفارسي حارب لابينتوس وهذا تحريف لاسم نبونائيد ابن هذه الملكة وربما كان يقصد به الملك نبونائيد الذي كان من أبناء هذه الملكة[2].

أما مصادر معلوماتنا عن هذه الفترة فهي متعددة ومتباينة أيضاً منها مصادر مسمارية وأخرى يونانية وثالثة يهودية ورابعة نصرانية. وما يهمنا هنا المصادر المسمارية التي تناولت العهد الأخير من المملكة البابلية الحديثة والجزء الأول من العهد الفارسي ويرجع تاريخ هذه النصوص إلى القرن السادس قبل الميلاد وبعضها نقوش في المباني والمعابد التي رممها نبونائيد أو بناها أو أعاد بناءها في حران وسيبار

1- الهيتي، قصي منصور عبد الكريم: عبادة الإله سين في حضارة وادي الرافدين. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد - 1990، ص 105-107؛ رو: المصدر السابق، ص 511؛ Macqueen: opcit., p. 147; Thmpson: opcit, p. 218.

2- عقراوي: المصدر السابق ص 264؛
Lewy, H. "Nitokris - Niqi", JNES, Vol. 6, 1952, p. 273-278.

ولارسا واور والبعض الآخر يشتمل حوليات نبونائيد ، وهناك نقش من حران يتناول ذكر أسرة نبونائيد ويتحدث فيه عن أبيه وأمه[1].

كانت استجابة نبونائيد للوضع في بابل سريعة ، فحاول نقل ثقل المملكة إلى الغرب من أجل ضمان السيطرة على طرق تجارية جديدة في جنوب الجزيرة العربية ، فنصب ابنه بيل - شار - اصر وصياً للعرش على بابل[2] الذي كان قد أشركه في الحكم منذ سنة حكمه الرابعة ، فجهز جيشاً اخترق الأراضي السورية ثم اتجه نحو الجنوب فاستولى على تيماء في شمال غرب الجزيرة العربية[3] حيث نقرأ في آحد النصوص بأنه قد توجه في سنة حكمه الثالثة إلى سوريا وجمع جيشه في "أرض حاتي" حيث "قام شعب أكد وبلاد حاتي بتأمين الحراسة لي وحققوا سلطتي على المسارات المعزولة البعيدة وعلى الطرق المنعزلة التي تنقلت فيها" ودخل الصحراء العربية ليحاصر "ادومو" الجوف تبعد 280 ميلاً شرق العقبة وهي مركز مهم كانت للآشوريين ولا نعلم إذا كان نبونائيد قد عاد لوجود كسر في الرقيم[4]. عمد نبونائيد إلى قتل حاكم تيماء عند دخوله المدينة ووضع عليها حامية عسكرية من جنوده، وبنى لنفسه قصراً شبيهاً بالقصر في بابل، واتخذ تيماء قاعدة له لانطلاق حملاته العسكرية حيث أقام فيها لمدة عشر سنوات[5]. كما اتضح من سياق الأحداث آنه في بداية إقامة نبونائيد في تيماء كان من الضروري القيام بعمليات عسكرية لضمان السيطرة الكاملة على المنطقة[6] فاندفع نحو الجنوب في خلال

1- إبراهيم، نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، ط1، القاهرة - 1963، 3/114-115؛ Gadd, J., "The Harran Inscription of Nabonidus", AS, Vol. 8, 1958, p. 35 ff; Bonbaz, V., "A Brick Inscription of Nabonidus from Harran" In: Annual Review of the Royal Inscription of Mesopotamia Project, Canada - 1991,Vol.9, p.111-112.

2- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص 178-179.

3- مرعي: المصدر السابق، ص 38؛ Gadd: opcit, pp. 83-85.

4- رو: المصدر السابق، ص 116؛ ANET: p. 314-315.

5- غزالة: المصدر السابق، ص 154؛ غالب: المصدر السابق، ص 155؛ اوتس: المصدر السابق، ص 200؛ رشيد، صبحي أنور: "الملك البابلي نبوخذ نصر في تيماء"، سومر، م35، ع1-2، 1979، ص 169-171؛ Gadd: opcit, p.85.

6- رشيد، صبحي أنور: "دراسة تحليلية للتاثير البابلي في اثار تيماء"، سومر، م29، ع1-2، 197، ص 116.

فترة إقامته في الغرب مسافة مئتين وخمسين ميلاً ومر بأماكن يمكن معرفتها حتى وصل أخيراً إلى يثرب، ويذكر نبونائيد على وجه التخصيص أنه ترك حاميات وأقام مراكز حول واحات ست ذكر أسماءها هي:

العلا الحالية	دادانو	Da - da - nu
فدك الحالية	باداكو	Pa - dak - ku
خيبر الحالية	خيبر	Hi - ib - ra - a
بديع الحالية	ياديخو	Lu - di - nu
يثرب	يثريبو	Ia - at - ri - bu

وجميع هذه الواحات تقع إلى جنوب تيماء بمسافة تبلغ 370كم[1]. ويصف نبونائيد القوات التي استخدمها بأنها "سكان أكد وبلاد حاتي" أي المواطنين البابليين وسكان المقاطعات الغربية[2]. ومن النتائج العرضية الغريبة أن خمساً من هذه الواحات الست المذكورة آنفاً كانت آهلة بالسكان اليهود في عهد الرسول محمد ﷺ بعد ألف سنة ومن الاقتراحات التي لا يمكن التغاضي عنها أنه كان بين القوات الذين رافقوا نبونائيد قسماً من اليهود، رغم أنه لا يمكن إثبات ما إذا كانوا من أولئك اليهود الذين تركوا فلسطين بعد فتح أورشليم أو أنهم من أولئك الذين رحلوا إلى بابل اثناء الترحيل البابلي زمن نبوخذ نصر[3]. ويبدو أن نبونائيد قد وطن بعض رعاياه في جميع الواحات السابقة الذكر لغرض الإقامة فيها وحمايتها. ويعبر عن ذلك بقوله: "نشرت شعبي خارجاً في الأقاليم البعيدة"[4] ولتأكيد هذه العبارة هناك إشارات أخرى لنابونائيد بأنه أسكن جماعات من اليهود في مدينة حران والبقاع الأخرى من مملكته:

1- غزالة: المصدر السابق، ص 154-156؛ غالب: المصدر السابق، ص 157؛ Gadd: opcit, p. 81; Ephe'l: Ancient Arabs opcit, p. 186.

2- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص 878.

3- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص 178-179؛ غزالة: المصدر السابق، ص 181-182؛ غالب: المصدر السابق، ص 181-182. وللمزيد من التفاصيل عن اليهود في شبه الجزيرة العربية ينظر، العقيلي، أرشيد: اليهود في الجزيرة العربية، ط1، عمان - 1980.

4- رشيد: الملك البابلي، المصدر السابق، ص 171؛ Gadd: opcit., p. 86-87.

"وسقت إلى حران جماعات من بابل ومن سوريا العليا، من حدود مصر عند البحر الأعلى إلى شواطئ البحر الأدنى وجميعهم ممن عهد بهم إليّ الإله سين ملك الآلهة"[1]. من خلال المعلومات آنفة الذكر والتي جاءت في أخبار سرجون وتجلاتبليزر الثالث ونبوخذ النصر بأنهم رحلوا مجموعات من سكان السامرة ويهودا وأسكنوهم في بابل وآشور وحران وحلح يأتي نص بابونائيد الخاص بإعمار المعبد في حران مشيراً إلى أنه استخدم مجموعات من سكان سوريا لذا نعتقد بأن من بين هؤلاء الذين شاركوا في بناء المعبد من اليهود المرحلين. وفي نهاية السنوات العشر كانت الأوضاع قد تغيرت إلى درجة كان بإمكان نبونائيد وكان عمره آنذاك لا يقل عن خمس وستين سنة ولعله أكثر من سبعين سنة، أن يعود إلى بلاده دون أن يجابه أية معارضة لمشاريعه في إعادة بناء وإصلاح المعبد الكبير في حران. فبينما كان الملك المسن يكمل مشاريعه الطويلة الأمد في تعمير معبد اخولخول في حران كان كورش (539-530) ق.م مشغولاً بحرب الدعأية في الإمبراطورية البابلية[2]. ولا بد أنه كان هناك دعايات مشابهة تختمر في بابل تنعكس في الأخبار الحاقدة التي كتبت عند سقوط نبونائيد. حيث يلاحظ النفس السلبي المضاد لسياسة نبونائيد في هذه الكتابات. وإن سبب ذلك يعود للسياسة التي انتهجها نبونائيد مع رجال الدين في بابل، حيث حاول أن يجعل من "حران" ومن إلهها "سين" بديلاً لبابل وإلهها مردوك وحدد السياسات الاقتصادية للمعابد في زمانه، مما أثار حفيظة رجال الدين ولا نستبعد دور اليهود التخريبي في ذلك، وهم الذين عرفوا بخيانتهم لملك بابل نبونائيد[3].

فالمملكة البابلية لم تعمر طويلاً، وقبل انقضاء القرن السادس قبل الميلاد كانت خارطة توزع القوى في العراق والدول المجاورة قد تبدلت بسبب ظهور قوى جديدة لم يحسب لها حساب هي قوة الفرس الأخمينيين الذين عملوا مع الميديين

1- طومسون: المصدر السابق، ص 237؛ ANET: p. 562-563.

2- للمزيد من التفاصيل عن حران، ينظر:
SAD: Vol.6, p. 106-107; Gadd: opcit, p. 59-63; Hallow W., "Haran" In: Encyclopedia Judaica, Jerusalem - 1971, Vol. 16, p. 51-52.

3- ساكز: عظمة بابل، ص 177؛ طومسون: المصدر السابق، ص 238.

علـى تحطـيم المملكـة الآشـورية عـام 612 ق.م. وفي سـنة 547 ق.م أكمـل كـورش الأخميني، الذي ضم كامل بلاد إيران إلى مملكته وفي سنة 539 ق.م انتصر على المملكـة البابليـة وضـمها إلى ملكـه بمـا في ذلـك الـبلاد الواقعـة إلى الغـرب مـن نهـر الفرات.

المبحث الثالث

الغزو الأخميني ودور اليهود الخياني

تفتقر الفترة المحصورة بين تولي الأخمينيين والسيطرة على العراق إلى دخول الإسكندر المقدوني لبابل عام 331 ق.م إلى المخلفات المادية وكذلك المخطوطة بشكل ملفت للنظر[1]، وتنحصر مصادر معلوماتنا في هذه الفترة في أسطوانة كورش والتي اكتشفت من قبل هرمز رسام عام 1879م والكتاب الكلاسيكيين[2].

بعد أن انتهى كورش الثاني من إخضاع كل المناطق المجاورة في الشرق والغرب، اتجه بأنظاره إلى بابل وأخذ يعد العدة لاحتلالها ومما شجعه على ذلك الأوضاع المضطربة فيها، فلم تكن أوضاعها الداخلية تتيح لها قدرة الوقوف بوجه كورش وخاصة أن المعلومات تؤكد بأن نبونائيد قفل راجعاً إلى بابل بعد أن أمضى ما يقرب من عشر سنوات في واحة تيماء وكان عمره آنذاك حوالي سبعين عاماً[3]، إثر سماعه بأنباء زحف كورش عليها. فقد كانت مشاكل المملكة الاقتصادية وخلافات الملك مع كهنة مردوك تزيد في الصعوبات أمام نبونائيد وتهيئ الفرصة الجيدة لكورش كما عمل اليهود في بابل دوراً في إضعاف سلطة نبونائيد وإرباك الأوضاع الداخلية الدينية منها والاقتصادية[4]. حيث كانوا قد وصلوا إلى تأثير

1- رو: المصدر السابق، ص 549. وجدير بالذكر ان اسطوانة كورش محفوظة الان بالمتحف البريطاني.

2 -Johnson: opcit, p.75; Mitchell: opcit, p. 83; Haerinck, E., "Babylonian under Achaemenid rule", In: Mesopotamia and Iran in Persian Period Conquest and Imperialism 539-331 B.C., ed. Curtis, J., London - 1997, p.2.

3- غزالة: المصدر السابق، ص 203؛

Mallowan, M., "Cyrus the Great 558-529 B.C.", In: Iran, Vol. 10, 1972, p. 7-8.

4- ابراهيم، جابر خليل: المصدر السابق، ص 162؛ باقر: المصدر السابق، 555/1.

اقتصادي كبير في بابل وتعاونوا سوياً مع كورش وقد ترك التعاون صداه في (سفر أشعيا 40–45) وأملوا من وراء ذلك مساعدتهم لكورش السماح لهم بالعودة إلى أورشليم وإعادة بناء هيكلهم هناك[1]. أما الأوضاع الخارجية فكانت تتغير بسرعة عجيبة ومع أن المملكة البابلية (الكلدية) كانت على علاقات طيبة مع المملكة الاخمينية إلا أن مصالح الاخمينيين اقتضت إعلان الحرب على المملكة البابلية وقد بدأت الحرب لشن حملة دعائية واسعة في البلاد ضد الملك نبونائيد قادتها الأسر اليهودية الموجودة في بابل حيث ساعدوا كورش بالتجسس وتزويده بالمعلومات وكذلك من خلال التسرب إلى أجهزة الحكم ثم قاموا بتخريب الأجهزة التي تسربوا إليها وبذلك أعانوا كورش على احتلال بابل[2].

دخل كورش بابل غازياً في تشرين الأول عام 539 ق.م حيث اصطدم بالجيش البابلي الذي تقدم لصده عند مدينة اوبس قرب المدائن الحالية وكان النصر فيها لكورش ومعه كوبارو الحاكم البابلي لإقليم الكوتيوم (الشمال الشرقي للعراق الحالي ديالى) ويظهر أنه خان ملكه نبونائيد وانضم إلى كورش واستفاد كورش من انضمام كوبارو له بحيث عهد إليه بقيادة الجيش الذي تقدم لاحتلال بابل وتقدم الجيش الأخميني ودخل سيار في اليوم الرابع عشر من تشرين الأول وسيار لا تبعد كثير عن ميدان معركة اوبس وربما فكر نبونائيد بالانسحاب إلى بابل الجيدة التحصين ثم تقدمت الجيوش المعادية إلى بابل واحتلتها في اليوم السادس عشر من الشهر نفسه فالمسافة بين سيار وبابل 90كم، وقطعها في تلك العصور يتطلب أكثر من يومين فكيف يكون الفرق بين احتلال سيار واحتلال بابل يومين فقط فمما لا شك فيه بآن الجيش المعادي المتقدم لا بد وأن حصل على دعم من

1ـ مرعي: المصدر السابق، ص 38.

2ـ علي، فاضل عبد الواحد؛ الراوي، فاروق ناصر: "دراسة مركزة في نقاط للفكر العسكري العراقي القديم عبر الفي عام قبل الميلاد (2500ـ539) ق.م"، المؤرخ العربي، ع 37، بغداد ـ 1988، ص 189ـ196؛ للمزيد من التفاصيل عن ظهور الدولة الأخمينية وتوسعها ينظر:

Cook, J.M., "The rise of the Achaemenids and Establishment of their empire" In: The Cambridge History of Iran, ed. Gersheritch I., New-York - 1996, p. 200-291.

عناصر محلية خائنة كانت في داخل المدينة[1]. إذ لم تكن الأسباب الحقيقية التي أدت إلى انهيار المدينة هي ضعف تحصيناتها الدفاعية فالمدينة محصنة تحصيناً منيعاً وكاملاً ولا يمكن للعدو الدخول إليها[2]. بل وجود الرتل الخامس في داخل المدينة والممثل بالمتآمرين اليهود الأثر الكبير في التمهيد لدخول الفرس إليها ومع أننا لا نملك معلومات دقيقة عن تعامل اليهود مع الفرس الآخمينيين، غير أن كونهم أعداء المملكة جعلهم على استعداد للعمل ضدها مع أية قوى معادية أخرى والراجح أن الأخمينيين أنجزوا التحالف مع اليهود وإن هذا التحالف آدى دوره في احتلال بابل سواء كان ذلك عن طريق العون المباشر أو طريق غير مباشر قاموا به من تخريب اجتماعي واقتصادي داخل البلد رغم اقتصار ذلك على المصادر اليهودية وضمت المصادر الفارسية كلها مؤشرات بأنهم قد ساعدوا جيش كورش على احتلاله بابل حيث دخل بابل في الثالث عشر من تشرين الثاني عام 539 ق.م[3]، ولا يعرف مصير نبونائيد فربما قتل أثناء اقتحام المدينة أو أنه آخذ آسيراً وعامله كورش معاملة حسنة وعينه حاكماً على مقاطعة كرمان في وسط إيران[4].

أدى اليهود في بابل دوراً في تدوين قصة ترحليهم بصورة مزيفة ومنافية للحقيقة لكسب الشفقة إلى جانب ما أدوه من تآمر على سلامة المملكة البابلية وجراء عملهم الخياني هذا فقد كافأهم كورش على فعلتهم بعد دخوله بابل بأن أصدر مرسوماً سمح لهم بالعودة إن رغبوا في ذلك وبناء هيكلهم وأعاد لهم ما كان

1- الأحمد، سامي سعيد: "سلالة بابل الحديثة (539-526) ق.م" في العراق في التاريخ، بغداد - 1983، ص 176-177؛ الأحمد، سامي سعيد: "الصراع خلال الالف الأول (933-331) ق.م" في الصراع العراقي الفارسي، بغداد - 1983، ص80-81.

2- للمزيد من التفاصيل عن تحصينات المدينة ينظر، غزالة: المصدر السابق، ص 197-198، 255.

3- للمزيد من التفاصيل ينظر الزرقي، محسن أحمد عبد الله: العدوان الفارسي على العراق في العصر الأخميني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل - 1989؛
Mallowan: opcit, p. 9-10; Daniel: opcit, p. 53-55.

4- زو: المصدر السابق، ص 517-518؛ باقر: المصدر السابق، 555/1.

قد حمله نبوخذ نصر من ذلك الهيكل[1]. غير أن كثيراً من اليهود كانوا قد امتلكوا الأراضي وراجت تجارتهم جيداً ففضلوا البقاء على العودة ولم يرجع منهم إلا بعض من رجال الدين وبعض الناقمين على الحكم البابلي وهذا يدل على أن اليهود في بابل كانوا يتمتعون برفاه اقتصادي مزدهر جعلهم يفضلون البقاء فيها على العودة[2]. واهتمام كورش بهم وهم فئة قليلة العدد ضئيلة ان لم تكن منعدمة التأثير لا دور لهم في سياسة البلد المحلية تشير إلى أنهم لا بد وإن ساعدوه في احتلال بابل وما إحسانه البالغ إلا من قبيل رد الجميل وسار خلفاؤه على نهجه في تقريب اليهود ومساعدتهم وإسناد الوظائف المهمة لهم[3]. ويؤكد بعض المؤرخين على أن التسامح الذي أبداه كورش لم يشمل جميع الأسرى وإنما شمل اليهود فقط وليس من شك أن لكورش هدفاً آخر غير الاعتراف بفضل اليهود لمساعدتهم له، هو الاستفادة منهم للمحافظة على الهدوء والأمن في ربوع فلسطين، وتشكيل موضع قدم قوية لخطواته وأهدافه التوسعية القادمة[4]. وأن يجعل من هؤلاء العائدين جماعة بجانب السلطة الأخمينية في سوريا وفلسطين ضد الجماعات الموالية للنفوذ المصري ويبدو أنه كان مقدراً أهمية فلسطين على طريق مصر التي كانت المركز الأخير في خطط كورش العسكرية[5]، ومن خلال أحد نصوص كورش الأخميني يتبين لنا مدى التعاون القائم بين بعض من سكان بابل ومن المحتمل كهنة الإله مردوخ في التسريع في إسقاط مدينة بابل والتي يشير إليها هذا النص بسبب ادعاء كورش بأنه

1ـ فاضل، عبد الإله: "أهم الشخصيات ودورها في تاريخ العراق" في كتاب العراق قديمه وحديثه، بغداد ـ 1998، ص 140.

2ـ غزالة: المصدر السابق، ص 140؛
Mallowan: opcit, p. 10-11; Haerinck: opcit, p. 28-29.

3ـ الأحمد، سامي سعيد: "التحديات في العصرين البابلي الحديث والمتأخر" في العراق في مواجهة التحديات، بغداد ـ 1988، 1/12ـ13؛
Daniel: opcit., p. 56-57; Johnson: opcit, p. 74.

4ـ محمد، حياة ابراهيم: المصدر السابق، ص 80؛ فاضل، عبد الإله: المصدر السابق، ص 150؛ حتي: المصدر السابق، ص 242.

5ـ باقر: المصدر السابق، 2/299؛ فاضل، عبد الإله: المصدر السابق، ص 151؛ حتي: المصدر السابق، ص 242.

دخل المدينة سلمياً من دون أن تكون هناك قلاقل، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قام بإعادة بناء معابد المدينة ويدعي بأن ملوك العالم القديم جاؤوا إليه في بابل وقدموا إليه الأتاوة وللتأكيد على علاقة كهنة معبد الإله مردوخ يشير إلى سلفه نابونائيد وغضب الإله مردوخ منه حيث يقول:

"أنا كورش، ملك العالم، الملك العظيم، الملك القوي، ملك بابل، ملك سومر وأكد، ملك الجهات الأربع، ابن قمبيز، الملك العظيم، ملك انشان، حفيد كورش، الملك العظيم، ملك انشان، سليل تابسبس، الملك العظيم، ملك انشان (الذي) يعد (النسل) الأبدي للملكية الذي أحب حكمه بيل ونابو والذي تمنيا لحكمه الملكي أن يريح قلبيهما. عندما دخلت بابل كصديق (و) أقمت وسط تهليل وفرح مقر الحكم في قصر الحاكم، مردوك السيد العظيم [لي] قلبي الواسع، من بابل [اهتممت بعبادته] يوماً بيوم. قواتي اخترقت بابل سلمياً، ولم أسمح لأحد أن يثير الفزع (في أي مكان) من [بلاد سومر] وأكد، مدينة بابل ولك معابدها حافظت عليها جيداً. سكان بابل [الذين] بعكس إرادة الآلهة (نير) [لا يليق بهم] جعلتهم (يرتاحون) من عنائهم. ورفعت (عنهم) السخرة. مردوك السيد العظيم سر من أعمالي الطيبة وباركني برحمة. أنا كورش الملك الذي عبده، وكذلك قمبير ابني من صلبي، وكل قواتي [بخير] ساروا مشياً أمامه.

كل الملوك الذين يجلسون على عروش كل جهات العالم من البحر الأعلى وحتى البحر الأدنى الذين يسكنون في جهات بعيدة (والآخرون) من كل ملوك الغرب الذين يسكنون في خيام، جلبوا لي الجزية الثقيلة وقبلوا قدمي في بابل (أما من إقليم)... حتى آشور وسوسة وأكد واشنونا ومدن زمبان وميتورنو ودير وكل إقليم كوتيوم، المدن التي على الطرف الآخر من دجلة، والتي بيوتها كانت متداعية منذ القدم، الآلهة المقيمة هناك أعدتها إلى مساكنهم وآلهة سومر وأكد التي جلبها نبونائيد لإغضاب سيد الآلهة، بناء على مردوك السيد العظيم جعلتها تتخذ في معابدها المكان الذي يفرح قلبها... إلا لتصلي كل الآلهة التي أعدتهم إلى

مدنهم المقدسة... ليصلوا يومياً من أجل نابو وبيل، حياة طويلة وليوصوا بي مردوك مولاي حتى يردد كورش الملك الذي يعبدك وابنه قمبيز..."[1].

فنص كورش المعروف يعد بمثابة البيان السياسي للمملكة الأخمينية، حيث يتهم فيها سلفه بالظلم والاستبداد وتسخير الرعية وتهجيرهم والإساءة إلى الآلهة وهو يدعي أن الإله مردوك الذي هجر بابل مع بقية الآلهة قد دعاه لينقذ الشعب ويعيد الأمور إلى نصابها وأسلمه بابل، وفي بابل قصده ملوك الجهات الأربعة لتقديم ولائهم، وأعلن عن سياسته في إعادة بناء المدن المقدسة وهياكلها التي نقلت منها تماثيل الالهة وإعادة المرحلين إلى اماكنهم، وكما جاء في النص المسماري آنفاً. وعلى الرغم من أنه في هذا النص لا يشير إلى ذكر اليهود ولكن نستطيع أن نتبين من خلال إشارته في النص "جمعت الآهلين وأعدتهم إلى مساكنهم" إشارة إلى السماح لليهود بالعودة لكن يجب أن لا يذهب بنا الأمر إلى تصور الملك الأخميني في حلة المنقذ الحقيقي الذي يهب الشعوب كرامتها واستقلالها، ويسمح بعودة القوى الإقليمية إلى ما كانت عليه سابقاً ذلك أن ما هدفت إليه السياسة الفارسية هو خلق نظام إداري ذو طابع مركزي من حيث الشكل يساعد على حكم المناطق الشاسعة للمملكة وبكفأية عالية وبنفقات أقل، كما يساعد على فرض القوانين الفارسية بعد إعطائها طابعاً إقليميا محلياً[2].

1- نص باللغة الأكدية مدون على أسطوانة طينية تعرف بأسطوانة كورش نشرها ولنصون وترجمها Weissbach, F.H في Die Keilinschriften der Achameniden (VAB, III) 2 ff وترجمها ايضا AOT, 368ff في Ebeling وكذلك ANET: pp. 313-16.

2- طومسون: المصدر السابق، ص 239-240؛ السواح: آرام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص 277-278؛ Mitchell: opcit, p. 83; Johnson: opcit, p. 75-76.

سياسة الترحيل
في ضوء النصوص المسمارية

مقدمة:

فيما يتعلق بالمصادر المعتمدة لدراسة المرحلين اليهود فإن الباحث يواجه صعوبة كبيرة تتمثل بقلة النصوص الخاصة بهم خلال الفترة الزمنية موضوع البحث حيث أن الطابع العام لمعظم البحوث التاريخية إلى هجر هذه الفترة الزمنية حيث تصفها بشكل عام أنها خاتمة المعبد الأول أو بدأية فترته الثانية مع عدم وجود مناقشة على ذلك. ومعظم الدراسات المتعلقة بهذه الفترة ترتكز بصورة رئيسية على جوانبها الروحية، وعلى السلوك الديني لجماعات المرحلين اليهود فالمصادر التاريخية القديمة تنحصر بالمصادر المعاصرة لهذه الأحداث والتي تتمثل بالعهد القديم والنصوص البابلية قد أهملت هذه الفترة وركزت بشكل آساسي على فلسطين والمقيمين فيها وتحتوي فقط على تفاصيل عرضية حول اليهود في بابل. لكن اكتشاف نصوص اقتصادية وقانونية (تشريعية) في بابل أضافت مصادر مهمة حتى نكون صورة عن طبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية وحتى عن الحياة الدينية والحياة اليومية لليهود في بابل تنحصر المصادر بشكل رئيسي بالنصوص الخاصة ببيت موراشو واكبي والتي زودتنا بمعلومات مهمة جداً عن الحياة الاقتصادية والأعمال التجارية والمصرفية وعمليات القرض والائتمان[1].

1- Epha'l, I. "The Western Minorities In Babylonia In the 6th - 5th Centuries B.C Maintenance and Cohesion", Orientalia, Vol. 47, fasc.1, 1978, p.74-75; Daichese, S., The Jews In Babylonia The time of Ezar And Nehemian according To Babylonia Inscription, London -1910 , p.5-69; Haerinck: opcit, p.27.

المبحث الأول

الترحيل في المملكة الآشورية

يعد الترحيل من بين الأساليب التي استخدمها الآشوريون في إدارة الأقاليم التابعة للمملكة الآشورية في حالة عجز **الأساليب** المختلفة الأخرى[1] وأصبح الترحيل منهجاً سوقياً اتبعه الآشوريون لإخضاع سكان المناطق المسيطر عليها حيث ينقل سكان منطقة بكاملها إلى مكان بعيد عن موطنهم الأصلي يختلفون في الغالب عن سكان المنطقة الجديدة في اللغة والعادات والتقاليد[2]. ومن ثم يعاد تنظيم المنطقة على أساس جعلها مقاطعة تحت الإدارة الآشورية المباشرة[3]، ولا يتم الترحيل إلا بعد أن يتكرر العصيان والتمرد ضد الآشوريين ويشكل وجودهم مصدر إزعاج للسلطة فلا بد وفي هذه الحالة من ترحيلهم واسكان مجموعة سكانية مختلفة بدلاً منهم وكانت هذه السياسة لمواجهة مشاكل المجموعات المتعددة ومن الصعوبة إدارة الأقطار الخاضعة لهم كافة[4].

وهناك من الباحثين من يرى أن إقدام الآشوريين على مثل هذه السياسة كان آحياناً بدافع حاجتهم إلى الفنيين والحرفيين مثل أعمال التعدين والبناء وذوي الخبرة في تربية الخيول وقيادة العربات العسكرية وعلى الرغم مما يقوله بعض الباحثين حول هذه السياسة فانها خلقت من دون شك مجتمعاً فريداً حيث امتزجت كثير من المجموعات العرقية دون تفضيل الواحدة منها على الأخرى وإن أقواماً كثيرة نقلت

1- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص283-284.

2- عبد الله: يوسف خلف: الفكر العسكري في العراق القديم، رسالة دكتوراه، معهد التاريخ العربي للدراسات العليا، بغداد - 1996، ص65-66.

3- الجبوري: الإدارة المصدر السابق، ص 379.

4- عطا: المصدر السابق، ص179-180.

وأسكنت في المملكة الآشورية واستخدمت للعمل في الحقول والأعمال الحرفية والنجارة والجيش[1]. وهكذا التحمت المجموعات حيث لم تكن الاختلافات العرقية فيها ذات أهمية وكانت سياسة الترحيل أكبر عامل في التغير السكاني واختلاط السكان وجدير بالذكر أن هؤلاء المرحلين كانوا يعتبرون أحراراً وإن دلالة الاهتمام بوضع المرحلين وإن كان أساسها أسباباً عملية فقد أصبح الأسرى الآن جزءاً من موارد المملكة الآشورية المتيسرة وإن المملكة كانت تريد أن يصلوا إلى أماكنهم بصحة جيدة وأن يستقروا هناك بشكل مفيد وكانت تتخذ إجراءات إدارية دقيقة من أجل هذه الغاية فإننا نقرأ ليس عن تفاصيل الترتيبات الخاصة بإطعام المرحلين في الطريق فقط ولكن حتى في أمور بسيطة كتوفير الأحذية للأسرى وهم في الطريق وفي إحدى الحالات مساعدات للزواج، ونرى أحياناً في مشاهد المنحوتات الجدارية أنه كان هناك أحياناً عربات لنقل النساء والأطفال أو قد يركبون على الحمير والخيل ولا يوجد هناك دليل على تمزيق الأسر فإن كلاً من الأدلة المسمارية والتوراتية تشير إلى أن عوائل أو جماعات بكاملها كانت ترحل بوصفها مجموعة واحدة[2]. ولم يكن المرحلين عبيداً فالعبيد لم تكن لهم حقوق حيث يباعون ويشترون أما المرحلين أو أسرى الحرب فإنه يطلب منهم أن يقوموا بواجبات معينة للمملكة إلا أنهم ظلوا من الناحية الفنية أحراراً ويصبح ذلك أمراً لا شك فيه في سجلات المفاوضات التي تتم بين الموظفين الآشوريين والأقوام التي كانت تحت الحصار كما في بابل وأورشليم فهناك أخبار تشير إلى المحاصرين صراحة أنهم قد يرحلون ولكن لم يذكر شيء عن استعبادهم، إذ غالباً ما أشار الملوك الآشوريون إلى اعتبارهم ضمن شعب بلاد آشور[3]. "واعتبرتهم ضمن أتباع

1- ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص177؛ علي، الراوي: المصدر السابق، ص77.

2- ساكز: قوة أشور المصدر السابق، ص371-372.

3- الراوي، فاروق ناصر: "الأوضاع الاجتماعية". موسوعة الموصل الحضارية، موصل - 1990، 266/1؛ فرحان: المصدر السابق، ص136-137؛ الرويح: المصدر السابق، ص49؛ ياكبسون، في، أي: "التركيب الاجتماعي للإمبراطورية الاشورية الحديثة". موسكو - 1965، ضمن كتاب العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة سليم طه التكريتي، ط2، بغداد - 1986، ص442.

آشور سيدي (nise matAssur)". وقد لا تميز ذرية المرحلين المستوطنين باستثناء ما تفصح عنه أسمائهم الأجنبية المختلفة عن أسماء الآشوريين الأحرار[1]. ويشكل المرحلون الطبقة الوسطى في المجتمع الآشوري وكان مركزهم بعد أن يستقروا في الأرض شبيها بمركز أولئك الفلاحين الفقراء أي إذا ما بيعت الأرض فقد كانوا يباعون معها، إلا أنهم لم يكونوا خاضعين للبيع عادة للبيع بشكل مستقل عن الأرض وكان بإمكانهم أيضاً الحصول على الأملاك والاحتفاظ بها وتوريثها وفق قواعد تنظيمية[2] فالإجراءات التي قام بها الآشوريون لم تكن سادية وإنما إجراءات عقابية مقصودة مصرح بها أو مأمور بها من قبل الحكومة المركزية وليس هناك أية حالة مثبتة عن أي جريمة ارتكبت من قبل الجنود الآشوريين لمجرد سادية[3] أو بمثابة عقاب للشعوب المغلوبة فقط وإنما هدفت إلى تحقيق حالة من التوازن الإثني السياسي في المناطق التي تم ترحيل الشعوب اليها[4]. وكان لهذه السياسة جوانب إيجابية وسلبية فكان الغرض منها بالدرجة الأولى تلافي المشاكل والاضطرابات

1- ساكز: قوة أشور المصدر السابق، ص191-192؛ ياكبسون: المصدر السابق، ص45. في رسالة من الباحثة إلى البروفسور ادوارد لبنسكي أشار الى ان الأسماء اليهودية التي ظهرت في النصوص المسمارية قليلة بالمقارنة مع الأسماء الارامية الكثيرة، وجدير بالذكر أنه عثر على بعض الكسر الفخارية المدون عليها بالارامية بالحبر الأسود عدد من أسماء الشخصية الفنيقية واليهودية عن هذا الموضوع ينظر:

Segal, J.B., "An Aramaic Ostraco from Nimrod", Vol 19, 1957, p. 139. Albright, W.F., "An Ostraco from Calah and the North Israelites Diaspora", BASOR, Vol. 149, 1958, p. 33-36.

وعن أسماء النساء ينظر:

Fales, F.M., "A List of Assyrian and West Semitic Women Names", Iraq, Vol. 16, 1954, p. 55-74.

جدير بالاشارة أن البروفسور لبنسكي قد القى بحثا عن الأسماء الغربية المكتوبة بالخط المسماري في بلاد ما بين النهرين في الندوة الإقليمية الأولى عن الكتابات في بلاد الشام حتى ظهور الإسلام، 4/25-1994/4/28. ينظر: هزيمة، رفعت: "الندوة الاقليمية الأولى عن الكتابات في بلاد الشام حتى ظهور الإسلام"، الأنباء، ع16، 1994، ص30-33.

2- ساكز: قوة اشور المصدر السابق، ص194.

3- ساكز: قوة أشور المصدر السابق، ص371؛ طومسون: المصدر السابق، ص 316.

4- السواح: ارام، دمشق، إسرائيل: المصدر السابق، ص274؛ طومسون، المصدر السابق، ص316.

وكسر شوكة المرحلين أثناء سيرهم إلى المناطق الجديدة أو أثناء استقرارهم فيها[1]، ولكن على المدى القريب كان لها فائدتان:

1- أنها تؤدي إلى القضاء على التمردات التي تقوم ضد الحكم الآشوري وذلك بترحيل السكان إلى مناطق بعيدة واستبدالهم بأقوام آخرين يختلفون عرقياً عن المناطق الخاضعة لسيطرتهم.

2- ولأن الحملات العسكرية السنوية كانت تتم في الصيف الذي يعد وقت الحصاد فقد رأوا أن أفضل طريقة لاستمرار الحملات العسكرية دون تدمير للحقول الزراعية التي هي بأمس الحاجة إلى الأيدي العاملة بإرسال هؤلاء المرحلين إلى العاصمة للعمل في الحقول الزراعية والقيام بعملية الحصاد وكان لهذه السياسة تأثيراتها على المدى البعيد[2]. حيث حمل في داخله بذور الضعف وانحلال المملكة الآشورية[3]. لقد منح الآشوريون ومن بعدهم البابليين المرحلين في المناطق الجديدة أراضي خصبة، ويبسطون حمأية المملكة عليهم لكي لا يغدو هؤلاء ممثلين لسلطة المملكة في تلك المنطقة وفيما يتعلق بفلسطين واليهود فقد خلت بعض مناطقها من السكان تماماً وتضاءل عدد السكان في المناطق الأخرى وآلت إلى الفقر ومنذ نهاية القرن السادس قبل الميلاد افتقدت فلسطين إلى الحد الأدنى من التلاحم الإثني واللغوي والسياسي وتوزع من تبقى من سكانها بين جماعات غير متجانسة سيقوا إليها من المناطق المغلوبة الأخرى[4].

كان لسياسة الملوك الآشوريين وحسن معاملتهم للأسرى أكبر الأثر في استمالة أعداد كبيرة منهم إلى الجيش الآشوري، خصوصاً بعد اتساع نطاق

1- فرحان: المصدر السابق، ص136.

2- الصمادي: المصدر السابق، ص5-6.

3- الأحمد: لماذا سقطت الدولة الآشورية: المصدر السابق، ص124.

4- السواح: ارام، دمشق، إسرائيل: المصدر السابق، ص288؛ طومسون: المصدر السابق، ص 318.

العمليات العسكرية لمواجهة أعداء المملكة الآشورية وأصبح بالتالي عدد أفراد الجيش لا يفي بالغرض وكثرة الأسرى من جهة أخرى[1].

فبدؤوا بتجنيد الأجانب، فكان كثير من الأسرى وقوات الدول المندحرة يدخلون في صفوف القوات المسلحة كجنود في المراتب والأصناف المختلفة وبخاصة في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد وبالتحديد منذ عهد تيجلاتبليز الثالث عندما شكل فرقاً منهم في الجيش الدائم وعرف كصرشروّتي وهم من سكان الأقاليم الحدودية، وقد ألفها الحكام المحليون في الدول التابعة[2]، وكانت حقوقها وواجباتها مماثلة لأفراد الجيش الآشوري ولم تستخدم كلمة عبيد للإشارة إلى مركز هؤلاء الأشخاص على العكس من ذلك فمن الواضح أن مثل هذه الوحدات العسكرية لم يكن مركزها عاجزاً في القوات الآشورية بالقياس مع الآشوريين من أهل البلاد[3]، فلم يكن لدى الآشوريين عنصرية قومية بل جندوا الشعوب التابعة في قواتهم تماماً كما يجند الآشوريين على حد سواء واختلطت كل مجموعة عرقية بهويتها للأغراض القتالية مكونة استناداً إلى الأعداد المجندة فرقة أو وحدة أصغر احتفظت بنوع السلاح وشكل الزي المرتبط بأقاليمها الأصلية لذا نجد مجموعات قد صورت على المنحوتات الجدارية البارزة مثل رماة النبال ورماة المقاليع وحاملي السيوف والفؤوس وصنف المشاة الخفيف والثقيل وتم التمييز بينها غالباً بلباس القدمين ونوع الزي وغطاء الرأس وكذلك بأسلحتها[4].

1- كما أن ضرورة الاحتفاظ بأفراد من الشعب الآشوري لحراثة الأراضي وصد التمردات التي قد يقوم بها النبلاء ضد الملك كانت من بين الأسباب التي دفعتهم للاعتماد على المرتزقة. ينظر: عبد الله. يوسف خلف: الجيش والسلاح المصدر السابق، ص462-463.

2- عطا: المصدر السابق. ص380؛ رو: المصدر السابق، ص462-463؛ فيش: المصدر السابق، ص131، عبد الله. يوسف خلف: الجيش والسلاح المصدر السابق. ص41-42؛ فرحان: المصدر السابق، ص 136-137.

3- ساكز: قوة اشور المصدر السابق. ص193.

4- ساكز: قوة أشور المصدر السابق. ص345؛ عطا: المصدر السابق، ص18-19؛
Dalley, S., "Foreign Chariotry and Cavalry in Armies of Tiglathpilser III and Sargon II", Iraq, Vol. 52, 1985, p. 31-32.

وقد ازداد تجنيد المرتزقة[1] في العهد السرجوني حيث تشير العديد من النصوص المسمارية لحوليات الملوك الآشوريين إلى ضم جنود أو إنشاء وحدات أجنبية في الجيش الآشوري حيث جاء ذكر أعداد كبيرة من أسرى الحرب حتى أن بعض الأرقام تبدو بعض الأحيان مبالغاً فيها ففي أعقاب سقوط السامرة عام 721 ق.م عمد سرجون إلى تشكيل وحدة من المرتزقة عرفت بالوحدة السامرية[2] ضمت 50 عربة أضافها سرجون إلى وحدات جيشه وكانت تتألف من ثلاثة عشر من الضباط الفرسان تحت اسم راب اوراتي rab urati (قائد المجموعات)، ومن المحتمل أن وحدة السامرة كانت تتألف من عدة وحدات كان مقرها في أربيل[3]. حيث جاء في النص الخاص بذلك ما يأتي:

"أنا سرجون حاصرت وقهرت السامرة، أخذت 27.290 من الأسرى الذين عاشوا هناك أسست وحدة قوامها 50 من راكبي العربات إلى الحرس الملكي، وسمحت للبقية ان يتصرفوا حسب مهاراتهم"[4].

وقد دخل قسم منهم الحرس الملكي لأول مرة في زمن سنحاريب ويشاهدون على منحوتاته وهم يرتدون حول الرأس عصابة ترتبط بها واقيتان للأذنين وثيابهم قصيرة وربما كان هؤلاء من الأسرى الذين جلبوا من مدينة لاخيش[5]. ويمكن أن نستشف من خلال المنحوتات الجدارية المحفوظة في المتحف البريطاني وبعض النقوش التي تمثل الجندي اليهودي ولباسه والأسرى من الرجال والنساء ولباسهم فاليهود

1- ويعرف المرتزقة باسم صب خفشي وتعني حرفياً الجندي ذو المرتبة الثانية. ينظر: عبد الله، يوسف خلف: الجيش والسلاح المصدر السابق، ص98؛ CAD: Vol. 6, p. 241.

2- جدير بالذكر أن أسرى الحملات السامرية كانت لهم قوائم خاصة باستلام الحصص لهم من الخمور، ينظر، NWL: p. 94.

3- عطا: المصدر السابق، ص 40-41؛ Dalley: opcit, p. 32.

4- الرويح: المصدر السابق، ص42؛ فيشر: المصدر السابق، ص31؛
ARAB: Vol. 2., p. 269; ANET: p. 283.
ينظر المبحث الثالث من الفصل الثالث

5- انظر شكل رقم (3). غنيمة، يوسف رزق الله: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق. بغداد - 1925، ص49-50؛ دو لابورت: المصدر السابق، ص346.

الذين يحرسون المعاقل كانوا يلبسون خوذاً دقيقة الرؤوس تختلف عن خوذ الآشوريين المحاربين بأنها ذات أهداب مزركشة تنزل إلى آذانهم وفي رؤوس بعض الأسرى ما يشبه العمائم يتدلى طرفها الواحد إلى الكتف وليس في رؤوس بعضهم عمائم وشعرهم قصير ولهم لحى. أما لباسهم فهو ثوب يبلغ الركبتين أو جلباب يكاد يبلغ الوركين وعلى وسطهم زنار، والظاهر أن هذا لباس الجنود، أما النساء فكن يلبسن أقمصة فوقها حلة يلقينها على رؤوسهن وتنحدر إلى أقدامهن. أما الملامح الشخصية فهي مشابهة ولا يميز بين الآخرين بواسطة قسماتهم بل بثيابهم.

فضلاً عن الاستعمالات السابقة لتصريف الأسرى اليهود في المملكة الآشورية، كان يستخدم بعضهم صناع وعمال يؤدون خدمات للإمبراطورية فهناك مشاهد من النحت البارز حول نقل ثيران مجنحة من المقالع وسحبها إلى الطوفات (الكلك) من أجل نصبها في بوابات القصور وأبواب العواصم. ولا بد أن يكون الآلاف من أسرى الحرب والمئات من الفنانين والحرفيين قد ساهموا في بناء مدينة شاروكين التي أنجزت بكاملها في غضون عشر سنوات[1]. كما استخدم سنحاريب عدداً كبيراً من أسرى الحرب في أعمال السخرة في بناء مدينة نينوى ومن ثم تجهيزها بالماء ووسعوا من مساحتها ببناء أسوار جديدة. ويذكر لنا اسرحدون أنه آجبر حكام سوريا وفلسطين في تشييد مدينة أطلق عليها كار آسرحدون وجاء في النص "جمعت ملوك ساحل سوريا وجعلتهم يشيدون عاصمة لي في موقع جديد، أطلقت عليه كار آسرحدون". وفي نص آخر يذكر آسرحدون مشاركة اثنين وعشرين حاكماً من بلاد حاتي ومن ضمنهم منسيّ حاكم يهوذا في بناء القصر الملكي في نينوى وإرسال آخشاب الأرز والسرو من جبال لبنان والمشاركة هنا ليس بالمواد الإنشائية إنما في التشييد كما يذكر النص "أرسلت اثنين وعشرين ملكاً من حاتي والساحل إلى مدينتي نينوى ومعهم مواد لبناء قصري"[2]، كما أن هناك بضع أسطوانات تعود لعهد آسرحدون يذكر بأن ترميم جدران وبوابات قصور كلخ

1- الرويح: المصدر السابق، ص41.

2- عطا الله: المصدر السابق، ص166-167.

Heidel A New Hexagonal Prism opcit, p.13; ANET: p.291; Thmpson: opcit: p. 25.

عـام 676 ق.م وكـذلك اصـلاح دار السـلاح عـام 673 ق.م قـد تم مـن قبـل انـاس مـن البلدان المحتلة التي سيطر عليها.

"لقد رحلت الكلديين والآراميين وألمانيين رجال من كيليكيا ومن فلسطين وصور الذين لم يخضعوا لنيري جعلتهم يحملون المعول ويصنعوا الطابوق". وفي ضوء ذلك يبدو أن الأسرى كانوا يستخدمون بشكل رئيسي بوصفهم قوة عمل في مهمات تتضمن صنع الأجر والبناء، وربما قطع الاحجار وكذلك حفر قنوات المياه[1].

أما الملك آشور بانيبال فقد اعتمد عليهم في حفر قنوات الري لإرواء المناطق الزراعية الجديدة وغرس الحدائق في وادي دجلة وأعاد بناء المخازن والقصور في كل أرجاء البلاد[2] وجدير بالذكر انه تم العثور على وثيقة يعود تاريخها إلى نهاية العصر الآشوري الحديث وذكر فيها اسم Gir-re-ema وهو واحد من مجموع ستة مدنيين يهود ذكروا في هذه الوثيقة حيث صدرت هذه الوثيقة في نيبور عام 623 ق.م على الأقل وهو تاريخ تسلم سين - شوم - لشر الحكم وقد وجدت في معبد الإله شمش في سيبار ربما كان Gir-re-ema يهودياً جاء إلى نيبور من آشور لإنجاز بعض الأعمال وهناك ذكر لشخص آخر يهودي وهو A-du-ni-ih-a في الوثيقة التي يعود تاريخها إلى (660-659) ق.م. كذلك هناك ذكر لما لا يقل عن تسعة عشر شخصية من المحتمل جداً أنهم يهود في وثيقة يعود تاريخها إلى ما بعد (701-700) ق.م فأحدهم قام بشراء جارية والآخر باع جاريته أما الآخرون فكانوا يمارسون حرف أخرى مختلفة فمنهم المسؤول عن الملكيات، وأحدهم كان موظفاً والآخر كان رئيس بنائيين وآخر سائق عربة وتشير أسماء الباقيين إلى أنهم كانوا عبيداً[3]. وهناك إشارة إلى أن الرابشاقة Ru-qa-ha-a-as كان قد تولى منصباً دينياً كما أنه من المحتمل جداً أن

1- Wilson: opcit, p.91-92.

2- طومسون: المصدر السابق، ص236.

3- Zadok, R., The Jews In Babylonian During The Chaldean and Achaemanian Periods to The Babylonian Sources, In: Jerusalem-1979, p. 35-36; Zadok. R., "Notes on the Early History of the Israelites and Judians in Mesopotamia", Orientialia, Vol. 51, 1982, p. 391-392.

يكـون غـير المسـمى في العهـد القـديم الـذي يتحـدث باللهجـة اليهوديـة هـو إمـا مـن السامرة أو أورشليم[1].

1- Zadoc: Notes on the Early History opcit, p. 392.

المبحث الثاني

الترحيل في المملكة البابلية الحديثة

ويبدو أن نبوخذ نصر انتهج إلى حد كبير السياسة الآشورية التي تميزت بترحيل سكان المناطق لردع المتمردين عن السلطة، وجاء بالمرحلين إلى بابل وأسكنهم جوار المدن الرئيسية كما أنه لم يعمد إلى نقل جماعات بديلة لإسكانهم في أماكن المرحلين كما فعل الآشوريين من قبل ولم تقصر سياسة نبوخذ نصر الخاصة بترحيل السكان على اليهود دون الشعوب الأخرى كالعسقلانيين والمصريين والميديين والفرس والإغريق[1]. كما أننا لا نجد صدى أو شهرة للأسرى من الشعوب التي ذكرناها آنفاً كالشهرة الكبيرة التي اتخذها الترحيل البابلي لليهود، ولعل ذلك يعود إلى انتشار النصرانية التي اعتبرت العهد القديم كتاباً مقدساً وهو الذي أسهب في أخبار الترحيل وعرضه بأسلوب مثير محزن ليجلب العطف والشفقة ليس غير، إضافة إلى ذلك فقد دون اليهود آثناء ترحيلهم تاريخهم قبل الترحيل وخلاله بهيئة كتاب مقدس جاءت نصوصه على لسان أنبيائهم. وعلى الرغم من صدى الترحيل لليهود فإنه لا تتوفر لدينا نصوص مسمارية معاصرة لمراحل الترحيل[2]. وهذا ما يجعل من الصعوبة تكوين صورة متكاملة عن الموضوع بالاعتماد على العهد القديم والكتابات اليهودية الأخرى فقط، والتي جاءت

1- محمد، حياة ابراهيم: المصدر السابق، ص79؛ فاضل، عبد الإله: المصدر السابق، ص139.

2- فالنصوص الخاصة بالترحيل في العصر البابلي الحديث أقل بكثير من النصوص الاشورية، وهي مختلفة جوهريا من حيث أدواتها الخطابية والإعلامية ونحن هنا أمام نغمة اعلامية جديدة تهدف الى اقناع الشعوب بقبول السيد الجديد، وما جلبه حكمه من تغييرات جذرية والحصول على الولاء الطوعي للتركيب السكاني المعقد للمملكة الواسعة الأرجاء حيث نجد في النصوص تكرار عبارات محرر الشعوب من نير الاستعباد ومخلصهم من الحاكم السابق ينظر، طومسون: المصدر السابق، ص 288؛ السواح: ارام، دمشق، إسرائيل المصدر السابق، ص274-275.

معظم الروايات الواردة فيها متناقضة وناقصة فضلاً عن اعتمادها على المبالغة الواضحة في سوء أحوال المرحلين وأعدادهم وعلى الأسلوب المأساوي في عرض الأحداث التي واكبت حملة الترحيل[1].

بخصوص وضع اليهود الاجتماعي في بابل على عهد نبوخذ نصر فإن معلوماتنا قليلة جداً وتقتصر على بعض الإشارات التي وردت في العهد القديم فضلاً عن أربع قوائم للجرايات الغذائية واحدة منها يعود تاريخها إلى عام (591/595) ق.م[2]، وهي عبارة عن قائمة بالمؤن والجرايات الغذائية من الشعير والزيت التي كانت توزع على الأسرى من الصناع والحرفيين الذين كانوا يعيشون في بابل والمناطق القريبة منها. واستناداً لما ورد في هذين العقدين فإن المؤن والمواد الغذائية لم تقتصر على اليهود دون غيرهم بل شملت أناس من شعوب مختلفة[3]. ونورد في أدناه الجزء الخامس من أحد هذه الرقم:

"إلى يهو - ياكين ملك يهوذا لأبناء ملك يهوذا الخمسة وهم
Qa-na-a-ma, sa-ma-ku-ia-a-m[a], sa-lam-ia-a-ma, Ga-di-Illu xx(x)[-,], ur-mil-ki
ولثمانية يهود منهم 2/1 سيلاً من الحبوب"[4]

فمن الناحية اللغوية، فإن يهو - كينا ملك يهوذا هو بدون أي لبس الاسم الذي ذكره مترجم العهد القديم على هيئة يهو ياقين ملك يهوذا[5]، وعلى الرغم من محدودية المعلومات التي وردت فيها والتي اقتصرت على توزيع الجرايات لليهود الموجودين في بابل والشعوب الأخرى، إلا أنها أضافت إلى معلوماتنا أمور هامة، حيث أنها أكدت نقل نبوخذ نصر للحاكم اليهودي يهوياكين وليس يهوياكيم كما أشارت إلى ذلك بعض روايات العهد القديم وربما يكشف لنا إبقاء البابليين

1- محمد، حياة ابراهيم: المصدر السابق، ص80-83.
2- Zadok: The Jewish in Babylonian opcit, p.38.
3- محمد، حياة إبراهيم: المصدر السابق، ص82.
4- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص174؛
Zadok: The Jewish in Babylonian opcit, p.38-39.
5- ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص174.

على لقب ابن ملك يهوذا (^{mar}sarri ^{Lu}la-a-hu-da) بجانب اسم يهوياكين[1] على المعاملة الطيبة التي عومل بها اليهود في الترحيل وليس كما تذكر نصوص كتابات اليهود وخاصة ملوك اليهود الذين حافظوا على العهد مع البابليين وليس مثل صدقيا الذي اشتهر بنقض العهد الذي قطعه للبابليين لذلك كان جزاؤه شديداً كذلك فأنه ليس لدينا ما يشير إلى أن الأسرى اليهود كانوا سجناء ولكن هذا لا يعني أنهم كانوا أحراراً بالمعنى العام لهذه الطبقة[2].

وتظهر تسمية "يهوذا" في نصوص المملكة الآشورية الحديثة ونصوص المملكة البابلية الحديثة فقط في هذه الوثائق حيث يرد ذكرها بالشكل الآتي (-^{Lu}la-u-da-a-a) الذين ذكروا بأسمائهم فهم Qa-na-a-ma الذي ربما كان مرافقاً لأبناء الملك والثاني Sa-ma-ku-ia-a-m[a] والثالث كان بستانياً sa-lam-ia-a-ma[3] والرابع -Ga di-il-xx(x)[..] والخامس Ur-miL-ki أما الثمانية يهود الآخرين فغير معروفين[4].

ووجودهم في بابل شجع الملك نبوخذ نصر على استخدامهم في أعمال البناء، ومن الواضح جداً عدم إظهار اليهود تفهماً ودياً لعملية البناء في بابل، لأن نبوخذ نصر قد رحلهم وأجبرهم على صنع الآجر ونقله إلى أماكن البناء، فاعتبروا بناء البرج من الآثام والمعاصي التي لم ترتكب بعد حيث ما ورد في العهد القديم عن برج بابل جعلته يحظى بهذه الشهرة الواسعة. فعند ترميمه لزقورة بابل (الايتمنانكي -E TE-MEN-AN-KI) حيث يقول بهذا الصدد "كل الشعوب من أمم عديدة آجبرتها على العمل في تشييد الايتمنانكي، وأقمت المسكن العالي للإله مردوك على قمته، الأقوام الساكنة في أقاصي البلاد والتي بسط حكمي عليها مردوك سيدي المنتصر إله السماء، جميع الأقطار وجميع الشعوب من البحر إلى الأعلى إلى البحر الأسفل. والأقطار البعيدة والأفراد القاطنين في الأقاصي، وملوك الجبال النائية والجزر البعيدة في وسط البحر، البحر الأعلى والبحر الأسفل التي جعل مردوك سيدي،

1- Zadok: The Jewish in Babylonian opcit, p.38.

2- محمد، حياة إبراهيم: المصدر السابق، ص174.

3- Zadok: The Jewish in Babylonian opcit, p.39.

4- Zadok: The Jewish in Babylonian opcit, p.38.-39.

لحامها بيدي، دعوتها للمساهمة ووضعت سلة الطابوق فوق الرأس عند بناء الايتمنانكي"[1]. كما أن الملك نبونائيد عندما قام بتجديد معبد الأساكيلا الخاص بالاله مردوك كرس 24500 أسير من الأسرى الموجودين في بابل عرفاناً منه للإله مردوك لمساعدته إياه في انتصاراته على أعدائه وتوليه العرش[2].

ولكي تكون صورة عن الحياة الاجتماعية ليهود الترحيل البابلي بمواجهة الإطار العام للأقليات الإثنية في بابل، فنجد هناك تشابهاً بالمعلومات الخاصة بنصوص العصر البابلي الحديث والعهد القديم حيث تزودنا بنتائج قيمة، فمن خلال استقراء النصوص التشريعية والقانونية ليهود بيت موراشو الذي يمتد على مدى النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد، حيث تشير نصوص بيت موراشو إلى أسماء بعض الأماكن التي يكون أصلها أو منشؤها الغربي يكون واضحاً فإلى جوار نفر نجد قناة ميليدو ^{al}milidu nar milidu- ، ^{al}bit tabalaia-^{al}tabalaia ، والتي تشير إلى آسيا الصغرى، ^{al}bit surraia والتي تشير إلى فينيقيا، بيت حماة bit ha(m)mataia ويشير إلى سوريا ^{al}hattaiai تشير إلى عسقلون، ^{al}isqualunu ، ^{al}bit arsa تشير إلى فلسطين، القناة المصرية naru sa misiraia تشير إلى العرب -^{al}qiidari ^{alu}sa arbaia وهناك اسم آخر وهو ^{al}galutu والذي يشير إلى "الجلاء" أو "المنفى" وهذه كلها تحقق الأصل الأجنبي للساكنين فيها وظروف وأحوال وصولهم إلى بابل و أسماء هذه الأماكن الموجودة في نصوص نفر تعود للفترات المبكرة من عهد نبوخذ نصر، ونبونائيد ولا شك أن هؤلاء المرحلين ومن ضمنهم يهوياقين لهم صلة بيهود الأجيال التالية في بابل وهم بلا شك يشكلون أجداد أولئك الفلاحين المذكورين في نصوص بيت موراشو[3].

1- بارو، أندريه: برج بابل، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، بغداد - 1979، ص 23-29؛ كريشن، فرينز: عجائب الدنيا في عمارة بابل، ترجمة صبحي أنور رشيد، بغداد - 1976، ص 27-29.

2- غزالة: المصدر السابق، ص 168.

3- Epha'l, I., "On political And Social Organization of The Jews In Babylon Exit", ZD, Vol. 24, BIS 92,1983, p.107; Epha'l, I.: The Western Minorities opcit, p.76-77.

جدير بالإشارة أن النصوص التي تعود إلى العصر البابلي الحديث تكشف عن أسماء مصرية لأشخاص سكنوا في المدن المركزية في بابل بأعداد مناسبة كما أن النصوص المؤرخة تشير إلى أن معظمهم عاشوا خلال عهد الملكين آسرحدون وآشور بانيبال اللذان قاما بحملات على مصر[1]، حيث جلبا من هناك أشخاص مهمين اجتماعيا وحرفياً مثل الأطباء والكهنة ومفسري الأحلام وسحرة الثعابين والمغنين وصائغي الذهب والنحاس والحدادين وصانعي العربات والسفن وصناع خاصين للسجاد إضافة إلى كتاب ونساخ مختلفين[2] بتشكيلة مشابهة لأولئك اليهود الذين وصلوا مع يهوياقين الأمر الذي أدى إلى هذا التشابه بالنسبة لليهود في المدن البابلية فالنصوص القانونية المؤرخة إلى عام 529 ق.م أي أربعة أعوام قبل احتلال مصر من قبل قمبيز (530-552) ق.م تذكر هيئة أو مجلس كبار السن المصريين puhur sibutu sa mi misiraia في بابل على ما يبدو بشكل هيئة قضائية للمواطنين من أصل مصري فهل تم منح هذه الذاتية القضائية للمصريين فقط أو لمكانتهم المتميزة أو ربما لوجود تشابه مع هيئة اليهود كبار السن المذكورين في سفري عزرا وناحيم والذين لعبوا دوراً في قيادة جموع اليهود في الترحيل وخلال العودة[3]. لقد وردت بعض أسماء هذه العوائل اليهودية في الفترة الأخيرة من العصر البابلي الحديث (الكلدي) وطوال العهد الأخميني، وبصرف النظر عن القوائم المخصصة ليهوياقيم في بابل فإن شيئاً قليلاً عن المرحلين إليها في الفترة الممتدة من (587-597) ق.م ولكن نستطيع أن نكوّن صورة عنهم من خلال الوثائق المسمارية والتي يعود تاريخها إلى القرن التالي حيث يحصل فيها تكرار للأسماء اليهودية[4].

1- عن هذه الحملات ينظر عبد الله، محمد صبحي: العلاقات العراقية المصرية في العصور القديمة، ط1، بغداد - 1998، ص 140-147.

2- عن هذا الموضوع ينظر زايد، عبد الحميد: " انتشار التراث المصري الفرعوني في العالم " ضمن كتاب الذكرى والتاريخ بإشراف شاكر مصطفى. الكويت - 1978. ص1-83.

3- Epha'l, I.: On the political opcit, p. 111-112; Epha'l, I.: The Western Minorities opcit, p.75-76; Wiseman, D.J., "Some Egyptians in Babylonia", Iraq, Vol. 28, 1966, p. 154-158.

4- للمزيد من التفاصيل عن هذه الأسماء ينظر

وأشهر هذه البيوتات المالية المستقلة في أعمالها بيت موراشو Murasu (460-400) ق.م، بيت أكبي أو أقبي Egibi، وبيت ايرانو[1].

فالتعاون الفارسي اليهودي لم يقتصر على الشؤون السياسية، وانما ارتكز إلى علاقة اقتصادية متنامية فقد أدى سقوط بابل وانتهاء دور معبدها إلى نشاط المصارف الخاصة التي كان قد أنشأها اليهود ولابد أنها واحدة من الأمور التي أفاد منها الفرس على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي. وقد بالغ المؤرخون بأهمية دور اليهود في هذه الحقبة وحللوا الأمور كما لو أن تاريخ اليهود قد تمركز في هذه الفترة[2].

أدت السياسة الفارسية الجشعة في خزن النقود والمعادن وسحبها بالتالي من التداول إلى شحة دائمة لها مما عرقل إمكانية توفيرها من قبل الأفراد لدفع ضرائب الملك. وأُجبر دافعو الضرائب من البابليين على الاندفاع نحو الحصول على قروض بفوائد عالية وصلت إلى نحو 40-50٪ في نهاية القرن الخامس للميلاد كما ثبت ذلك في سجلات موراشو بينما لم تزد في زمن نبوخذ نصر عن 10٪ هذا بالنسبة للمدن في جنوب العراق التي كانت خاضعة للسيطرة الأخمينية أما المناطق الشمالية إننا لا نملك أية معلومات عنها وقد أشار زينفون في كتابه (الصعود) أن مواقع المدن في آشور ونينوى ونمرود كانت مهجورة ومدمرة[3] وجد أرشيف بيت موراشو في نيبور (نفر)[4] كانت مركزاً رئيسياً لسكن اليهود في حدود القرن الخامس قبل الميلاد

Zadok.R., "Phoenicians, Philistines, and Moabites In Mesopotamia", BASOR, No.230, 1978, p.57-65; The same author, "West Semitic Personal Names in the Murasu Documents", BASOR, No. 231, 1978, p.73-78; Stolper, M.W., "A Note on Yahwistic Personal Names In The Murasu Texts", BASOR, No. 222, 1976, p.26-286; Coogan: Life in the Diaspora opcit, p.6.

1- باقر: المصدر السابق، 439/2؛ الرويح: المصدر السابق. ص 28.

2- باقر: المصدر السابق، 439/1.

3- Haerinck: opcit, p.27-28.

4- تعرف مدينة نفر قديما باسم (نيبور) وتقع على بعد 35 كم شمال شرقي محافظة القادسية وتتميز هذه المدينة بزقورتها العالية حيث انها تعتبر مركزا لعبادة الإله انليل ينظر، بصمجي، فرج: نفر. بغداد 1960؛ دروثي، مكاي: مدن العراق القديمة، ترجمة يوسف يعقوب مسكوني، ط3، بغداد 1961. ص57-58؛

Daiches: opcit, p.10

وهي الآن محفوظة بمتحف إستنبول[1]. فخلال التنقيبات التي جرت عام 1893م من قبل جامعة بنسلفانيا وهي تمثل مجموعة كتابات تتكون من سبعمئة وثلاثين لوحاً تعود إلى عهد ارتحشستا الأول (464-424) ق.م وداريوس الثاني (424-404) ق.م[2].

ولقد كتبت الرقم التي تخص بيت مورلشو بالمسمارية، غير أن عدداً من الوثائق يحمل على وجه واحد، خلاصة محتويات مؤلفة من كلمات آرامية قليلة كتبت بالحبر ففي هذا التاريخ لم يكن سوى الأفراد المثقفين ثقافة عالية يستطيعون الكتابة المسمارية واللغة الأكدية وكان عامة الشعب يتكلمون الآرامية وإذا استطاعوا أن يكتبوا إطلاقاً فإنهم يكتبون بالآرامية أيضاً. ومن المحتمل أن تكون الرقم موضوع البحث تمثل أرشيف شركة بيت موراشو وأن خلاصة المحتويات المدونة بالآرامية قد تعين الكتبة على وجود الوثيقة التي يريدونها وتقديمها إلى أحد أعضاء الشركة ممن يستطيعون قراءة الكتابة المسمارية[3].

وجدير بالذكر أن الأسلوب المتبع في تغليف العقد ظرف من الطين مكتوب عليه ملخص للترقيم قد توقف العمل به في فترة العهد البابلي الحديث، وتملك الكثير من هذه الألواح آثار الأختام أو أحياناً علامات الأظفار لواحد أو أكثر من الرؤساء الموجودين في البيت التجاري أو الشهود[4].

تشير المادة النصية المكتشفة في نفر إلى ممارسة تملك الأجانب وطبقات اجتماعية معينة كاليهود[5] الذين سكنوا في أماكن وشوارع منعزلة وكانوا تحت

1- دائرة معارف كتابية: ج2، ص47، ط1، 1990؛ الجاسم صباح عبود: الائتمان والصيرفة في العراق القديم، بغداد، 1964، ص15.

2 -Daichesp: opcit, p. 9.

3- كونتينو، جورج: الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، ترجمة سليم طه التكريتي، ط2، بغداد - 1986، ص157؛ اوتس: المصدر السابق، ص207.

4- Coogan: Life in the Diaspora opcit, p. 6-7.

5- من بين الظاهر المميزة في هذه الفترة أي منذ العصر البابلي والعصر الاخميني هي بروز دور العبيد ليلعب دورا كبيرا في اقتصاديات البلد أكثر من العصور السابقة فنجدهم أصحاب حرف أو وكلاء أعماله يدخل في المعاملات بشكل مستقل ويمتلك أراضي وبيوتا وأصنافا من الثروات. ويعتقد ان ميل الأسياد في هذه الفترات المتأخرة بالسماح لعبيدهم في ممارسة الأعمال على حسابهم

إشراف موظفين خاصين[1]. كانت عائلة موراشو إحدى العوائل اليهودية التي كانت ضمن الأسرى الذين رحلهم نبوخذ نصر إلى بابل، واشتهرت هذه العائلة كأحد البيوتات المالية في عهد ارتحشستا الأول ونستقرئ من الدلائل التي وصلت إلينا من خلال التحريات الأثرية ما يثبت أن هذه العائلة استطاعت أن تنشئ بيتاً مالياً كبيراً كانت له فروع في مناطق مختلفة وقد اتجه أصحاب هذا البيت إلى الإقراض بالفائدة التي كانت تصل إلى 40-70٪ وبعض الديون الثقيلة أضحت عالية إلى حد يفسر لنا حجم الفقر الذي حل ببابل بالمقابل فقد عثر في أرشيف بيت موراشو على ديون مقدارها 350 كغم أو 90 كغم من الفضة الصافية[2]. كما عقدوا القروض مع الشخصيات الفارسية المتنفذة في بابل وباعوا واشتروا المنازل والأراضي وامتلكوا جداول الري وقطعاناً كثيرة من الأغنام وأداروا أموال غيرهم وكانت أكثر الأراضي بجوار نيبور مرهونة عندهم[3]. وتوفر الوثائق من نيبور شاهداً على حقيقة العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين الأمراء والملكات من الفرس وبيت موراشو التجاري، فقد كان الأمراء والملكات وسيدات البلاط غالباً ما يؤجرون بيوتهم

الخاص كان نتيجة الاعتقاد بأن مثل هذا الإجراء سيعود عليهم بالفائدة أكثر مما لو تم استخدامهم بشكل مباشر نجدهم يقرضون الأموال ويفتحون الحانات ويمتلكون المشاغل ويقومون بتعليم المهن إلى الاخرين وهم في معاملاتهم هذه لا يختلفون عن الأحرار ولهم امكانية اقامة المعاملات مع أسيادهم وكانوا يمتلكون أختامهم الخاصة ويؤدون القسم ويدلون الشهادة، عن هذا الموضوع ينظر . الرويح: المصدر السابق، ص28-29؛ الطعان، عبد الرضا: الفكر السياسي في العراق القديم، بغداد - 1981، ج1، ص199؛ محمد، حياة ابراهيم: المصدر السابق، ص92-93؛ غزالة: المصدر السابق، ص152-154؛ ستروف، ف ف: "مسألة تكوين مجتمعات الرق وتطورها وانحلالها في الشرق القديم". في العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، جماعة من علماء الاثار السوفيت، ترجمة سليم طه التكريتي، ط2، بغداد - 1986، ص 90-91.

1- أوبنهام: المصدر السابق، ص97.

2- سوسة: ملامح من التاريخ القديم المصدر السابق، ص148؛ الأحمد، سامي سعيد: "العراق خلال عصور الاحتلال (933-331) ق.م". في العراق في التاريخ، بغداد - 1983، ص244؛ كونتينو: المصدر السابق، ص156؛ باقر: المصدر السابق، 1/582-583؛
Daiches: opcit, p. 35-36.

3- سوسة: ملامح من التاريخ القديم المصدر السابق، ص 148؛
Daiches: opcit, p.29.

ومزارعهم إلى بيت موراشو وإلى أشخاص آخرين[1]، وغالباً ما يعتمد بيت موراشو على تأجير الأراضي في شكل قطع صغيرة إلى تابعيهم أو المستأجرين الثانويين[2]. فأحد الأشخاص ويدعى "بغميري بن مثر يدتيس" استآجر بيت موراشو التجاري لمدة ستين سنة وكذلك حقلاً مزروعاً بالقمح وكالة، وحقلاً آخر ورثه بعد وفاة عمه "سندات" ويقع كلا الحقلين على ضفاف قناة "سين" وقناة "شلختي" المجاورة لحقل "شومباتيش" الفارسي، وكذلك أجر بغميري مساكن سكنية في "مقاطعة غاليا" وقد دفع وكلاء بيت موراشو كل بدل الإيجار عند توقيع العقد، وكان الإيجار يبلغ 1200 كور من التمور (أي حوالي مئة وثمانين ألف لتر) فضلاً عن ذلك تعهد بيت موراشو أن يحولوا كل الحقول المستأجرة إلى بساتين[3] ونقرأ عن تقدم عبد يدعى ربات Ribat بعرض الاستئجار برك لصيد الأسماك من الأولاد موراشو مقابل نصف وزنة من الفضة وتجهيز مائدته بالسمك فضلاً عن ذلك فإن السيد الذي يتحقق بأن عبده له موهبة بالتجارة لا يتردد أن يعهد إليه بالمعاملات المهمة ومبالغ كبيرة من النقود[4] ونظراً لهذا الدور الذي لعبه موراشو وأولاده فقد منح من قبل السلطات الأخمينية لقب بانو Bano والذي يمنح لصفوة رجال الأعمال ولنبلاء القوم في الأحوال النادرة[5].

وهناك من يرى أن بيست موراشو عراقيون من بابل[6]. لكننا لا نوافق هذا الرأي إذ لا يعقل أن يقوم ابن البلد بالتعاون مع الأجنبي في احتلال البلاد ومن ثم

1- دناماييف، محمد: "بلاد بابل في العهد الأخميني"، (موسكو - 62-1963) في العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، جماعة من علماء الاثار السوفيت، ترجمة سليم طه التكريتي، ط2، بغداد - 1986، ص 464.

2- دناماييف: المصدر نفسه، ص469.

3- دناماييف: المصدر نفسه، ص469 نقلا عن
Gardascia, Les Archires Des Murasu une Famiue Dhommes d'affairs Babyloniens Alepague Perse, Paris-1951, p.133.

4- كونيتنو: المصدر السابق، ص46.

5- غزالة: المصدر السابق، ص190؛ الجاسم: المصدر السابق، ص85-86.

6- الأحمد، سامي سعيد: "الصراع خلال الألف الأول قبل الميلاد (933-331) ق.م" في الصراع العراقي الفارسي، بغداد 1983، ص 88.

العمل على تخريبه اقتصادياً واستغلال الضائقة الاقتصادية في تكوين ثروات مالية كبيرة.

واشتهرت عائلة مصرفية أخرى عرفت باسم أكبي أو ايجبي أو اقيبي Egibi وهناك من يرى أن هذه التسمية أكدية معناها عندي أو بحوزتي أو أنها محرفة من يعقوب[1] وكان على الأغلب من يهود السامرة ولعله كان من أسرى الملك سرجون[2]. كان مركز هذا البيت في (سيبار) الواقعة على ضفاف نهر الفرات وقد ساهم موقعهم هذا على استخدام النهر وسيلة للاتصال بالمدن المهمة والمراكز التجارية[3]. وصل ظل هذا البيت قروناً عديدة تعاطى الأشغال المختلفة ويقوم بالمعاملات التجارية المختلفة وعقد الصفقات التجارية، وتعاطى تجارة الرقيق ربما يتعاطى أيضاً تجارة النبيذ بالجملة إلى جانب هذا كان يقوم بقرض الأموال وعقد قروض الرهان وله حسابات مالية مع المتنفذين بالمملكة وكان يتقاضى الضرائب ويشهد على العقود التي تتم بين المتعاقدين ويحول التعامل من مدينة إلى أخرى ونصوص هذا البيت كانت تعتمد على تحرير وثائقها على الأسلوب العراقي فتذكر نصوص العقود اليوم والشهر والسنة التي تم فيها العقد. ويظهر أن مؤسس هذا البيت عاش في عهد سنحاريب وبلغ قمة الغنى والنفوذ في عهد الملك نبوخذنصر أي نحو قرن من تاسيسه[4]. حيث أخذت هذه الشركة تضطلع بشؤون البلاط البابلي لأمد طويل حيث كانت تجبي الضرائب عما تنتجه الأرض من محصولات الغلال والتمور وما إليها. كما كانت تستوفي الضرائب المفروضة على الطرق العامة، وقنوات الري لقاء الإفادة منها. جدير بالذكر أن العثور على أرشيف بيت أكبي كان من قبل أحد الأعراب في أطلال الجمجمة نسبة إلى القرية في بابل وقد قدر المستر ريج

1- كرويه، يوسف يعقوب: يهود العراق - تاريخهم، أحوالهم، هجرتهم، ط1، بيروت - 1998، ص35-36. باقر: المصدر السابق، 583/1.

2- كرويه: المصدر نفسه، ص35-36.

3- كرويه: المصدر نفسه، ص130؛ درور، ليدي: في بلاد الرافدين صور وخواطر، ترجمة فؤاد جميل، ط1، بغداد - 1961، ص215-216؛ غنيمة: المصدر السابق، ص55؛ سوسة: ملامح من التاريخ القديم المصدر السابق، ص148؛ الجاسم: المصدر السابق، ص89.

4- غنيمة: المصدر السابق، ص55.

مساحتها بـ (800×1100) ياردة وتبعد حوالي نصف ميل غربي القصر حيث عثر على جرار عديدة من الطين كانت مسدودة سداً محكماً وقد قدر عدد هذه النصوص 300 نص هي الآن محفوظة بالمتحف البريطاني ويختلف حجمها اختلافاً بيناً حيث تتراوح بين عقدة واحدة مربعة واثنتي عشرة عقدة مربعة فظهر أنها سلسلة تاريخية ثمينة تعود لبيت أكبي وأحفاده[1]. وهي بلا شك تعكس لنا صورة عن الحياة في تلك الفترة ومن أشهر أعضاء هذه الأسرة بأعمالهم الذين حازوا منزلة رفيعة فاقت سائر أعضائها هم ثلاثة أشخاص نبو - أخي أدينا Nabu-ahhe-iddina وابنه أتي مردوك بلاطو Itti-Mardok-bulatu وحفيده مردوك نصر ابلو[2]، وهناك ثمة عقود تجارية تعود إلى عهد نبوخذ نصر الثاني كانوا يتاجرون بالإماء يجنون الأرباح الوفيرة من ذلك أن بنو - أخي - أدينا اتفق ورجلاً آخر يدعى كالبا على أن الأول شريكه بالإماء فيتاجر هذا بها ويدفع لشريكه ثلاثة أرباع المداخيل[3]. حيث تشير النصوص أيضاً إلى أن أولاد أكبي كانت تمتلك أكثر من مئة رقيق حيث كانوا يستخدمون في الأعمال التي يمارسها بيت أكبي وحتى في المزارع الخاضعة للضرائب وكذلك في الخدمات المنزلية[4].

لم يقتصر نشاط بيت اكبي على المدن الرئيسية في بابل وإنما تعدى هذا النطاق إلى إيران فمن أصل تسعة عقود هناك ستة عقود وصدرت في Humadesu (التي تقع في الجزء الغربي من بلاد فارس على مسافة لا تزيد عن 50 كم شرق سوسة[5]، فأتي مردوك بلاطو قد عمل خلال حكم كورش في اكبتانا خلال

1- غنيمة: المصدر نفسه، ص53-54.

2- جدير بالاشارة ان احد النصوص المؤرخة في السنة الرابعة عشرة من حكم دارا يشير الى تقسيم الأولاد الثلاثة للصيرفي "اتي - مردوك - بلاطو" ما ورثوه عنه حيث حصل الولد الأكبر على ثلاثة بيوت وموقع بناء في بابل. وبيتين في بورسيبا وحوالي 4645 رقيقا وحصل الأخوان الأصغران على ثلاثة بيوت وموقع بناء بابل. وبيتين في بورسيبا وواحد وخمسين رقيقا ينظر:
Zadok.R., "On The Connection Between Iran And Babylonia in The Sixth Century B.C", Iran, Vol. 14, 1976, p. 73-76.

3- دو لابورت: المصدر السابق، ص98.

4- ستورف: المصدر السابق، ص91-92.

5- عن موقع هذه المنطقة بالتفصيل ينظر:

الأعوام (537/36) ق.م اضافة إلى العمل في منطقة العمل في منطقتين قد تكون إيرانية لأن أسماءها تشير إلى ذلك[1]. أما نبو - أخي أدينا الذي كان نشاطه فعالاً في عهد كورش وربما قمبيز في اكبتانا[2].

كان المؤرخون قد ارتأوا إلى سنة 1878م ان بيت اكبي قد دام إلى عهد دارا فقط إلا أن دلج بين سنة 1882م أن البيت المذكور قد دام إلى ما بعد عهد الإسكندر المقدوني وقد توصل إلى ذلك من خلال استقرائه لمئات من نصوص الآجر التي اقتناها من رسام وأضافها إلى المجموعة التي حصل عليها جورج سميث سابقاً وعليه يكون بيت أكبي قد استمر بأعماله التجارية لمدة أربعة قرون متوالية[3]

وهناك من يرى أن بيت أكبي وأولاده وأحفاده عراقيون ليسوا يهوداً وحجتهم في ذلك ان اسمه وأسماء أفراد آخرين من أسرته تدخل في تركيبها المعبودات البابلية[4] وجدير بالملاحظة أن هناك وثيقة بابلية تذكر وجود مجموعة من أصدقائه بالعاصمة الفارسية همدان إما بحسب طلب الملك أو لكي يقدموا التماساً إلى البلاط ولا نعرف سبب ذهابهم في بدء احتلال كورش للعراق وتشير الوثيقة إلى أنهم قد صرفوا كل ما اخذوه معهم من أموالهم دون شك على الرشاوي والهدايا لموظفي البلاطي إلى الحد الذي احتاجوا معه قرضاً للوصول إلى بابل[5] وهذا مما يعزز دورهم الخياني في مساعدة كورش في احتلال بابل فإن من المستبعد جداً أن يكونوا عراقيين.

Zadok: On the Connection Between opcit, p. 70-71.

1- Zadok: opcit, p.70-71.

2- عن مضامين هذه العقود، ينظر:
Zadak: opcit, p.71-72.

3- غنيمة: المصدر السابق، ص55.

4- تشير المصادر التاريخية إلى ان استعمال الأسماء البابلية من قبل اليهود قد أصبح شائعا بشكل متزايد ليس في بابل بل وفي يهوذا ايضا، كما يمكن الافتراض ان المرحلين اليهود كانوا باسمين احدهما بابلي يستعملونه للأغراض والقضايا القانونية واسم يهودي خاص بهم، ينظر:
Coogan: Life in the Diaspora opcit, p.8.

5- الأحمد: الصراع خلال الألف الأول المصدر السابق، ص82؛ الجاسم: المصدر السابق، ص85؛
Zadok: opcit, p.71; Zadak: The Jews In Babylonia opcit, p. 84.

استفاد اليهود في أثناء وجوده في بابل من حضارة البابليين وثقافتهم فاقتبسوا الكثير منها خاصة ما يتعلق بفنون الزراعة والري، فأخذ أكثرهم يمارسون الزراعة التي تعتمد على الإرواء الدائم بما في ذلك أساليب شق الجداول وتطهيرها من الترسبات الغرينية[1] وفتح القنوات لإيصال المياه السيحية إلى مزارعهم، وأنشؤوا الحقول والبساتين ووجهوا عنايتهم لوقايتها من الغرق فأقاموا السدود ونظموا أعمال الري على أحسن وجه وقد ورد في التلمود البابلي كثير من الشروح والتعاليم والإرشادات المتعلقة بالزراعة التي تعتمد على الري وعلاقة المزارعين بعضهم مع بعض من حيث الواجبات والحقوق وهذه موجهة بالدرجة الأولى إلى اليهود الذين كانوا يمارسون مهنة الزراعة في بابل. فقد تناول التلمود الزراعة مع ذكر أنواع الحاصلات الزراعية والشتوية والصيفية[2]. هناك دلائل لا تقبل الجدل والشك في أن أكثر ما ورد في التلمود من شروح وإرشادات فيما يتعلق بالزراعة المرتكزة على الري مستقى من كتابات قديمة سابقة لعهد التلمود فقد عثر في مدينة نيبور على تقويم لأحد المزارعين السومريين فيه نصائح وإرشادات يوجهها إلى ولده[3].

جدير بالذكر أن العهد القديم قد أشار إلى بعض الأماكن التي سكنها اليهود بعد ترحيلهم فكان المركز الرئيس لليهود على ضفتي نهر الخابور وربما هي قناة خيبار Ghebar التي يعتقد انها وردت في النصوص المسمارية وكانت تمتد من بابل ونفر كما نشأت أماكن سكن يهودية في مواقع تل أبيب Tel-Abib التي ربما كانت بالقرب من خيبار ولا نعلم إن كان المقصود هو نهر الخابور في شمال بلاد

1- سوسة: ملامح من التاريخ القديم المصدر السابق، ص146.

2- سوسة: المصدر نفسه، ص127-128.

3- عن نص هذا التقديم الزراعي، ينظر، سوسة: العرب واليهود في التاريخ المصدر السابق، ص213-214؛ كريمر، صموئيل نوح: من الواح سومر، (شيكاغو - 1956). ترجمة طه باقر، القاهرة - 1957، ص 137-138.

الرافدين[1]. وتل الملح Tel-Melah ، وتل هرشا Tel-Harsha وقد مثلت هذه المواقع مراكز لنشاطهم الزراعي[2].

وهناك نص من أرشيف بيت موراشو يشير فيه: "قم بتأجيرنا لمدة ثلاث سنوات قناة مارس Mares من المنبع إلى المصب، وعشر الحقول الواقعة على هذه القناة، والحقول الواقعة على يسار قناة ميليد وMilidu والمستقعات الثلاثة الواقعة على يمين قناة ميليد وباستثناء الحقل الذي يأخذ مياهه من قناة ايليل، وسوف نسدي إليك سنوياً 700 كور من الشعير حسب المقاييس المعيارية لايليل - شوم - أيدين، وعلى شكل هدية سنوية 20 ثوراً و 20 كبشاً ، أما العقد النموذجي فهو يعرض قبول ايليل - شوم - أيدين لفقرات الاتفاقية، ووصف المسؤوليات المتبادلة للمستأجرين، وتنتهي بقائمة بأسماء الشهود والتاريخ سنة 436 أو 428 ق.م لأرتحششتا. في هذا العقد وافق يادي - ياو ولاوده ومشاركوهم على عقد الإيجار لمتلكات معينة مع حقوق الري من مؤسسة موراشو لمدة ثلاثة سنوات في مقابل 700 كور من الشعير كل سنة مع قليل من الأجر المضاف (الثيران والاكباش)، وحيث لم تكن الأموال تستخدم وإنما كان الدفع بالأنواع وهو تبادل طبيعي يستعمله الفلاحون المستأجرون ولم تكن الأرض مملوكة من قبل بيت موراشو نفسه ولكنها تعود إلى صاحب أرض غير حاضر يعمل على استثمار ممتلكاته مع المؤسسة مقابل نسبة (ثمن) مضمون، لذلك فالمؤسسة في الواقع رجل وسيط[3].

1- حزقيا: 2: 15-17؛ للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر ، العامري، علي حسين فرج: أسماء المواضع القديمة في بلاد بابل في فترتي العهد القديم والتلمود، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغات، جامعة بغداد - 1998.

Dalleye: opcit,p..63; Zadok: The Jews In Babylonia opcit, p.34; Daiches: opcit, p. 6.

2- محمد، حياة ابراهيم: المصدر السابق، ص83: غزالة، هديب حاوي: الصالحي، رافد كاظم كليدي: "اليهود في بابل بين التبلور الفكري والنهج العدائي" بحث مقبول للنشر في مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ص3؛ للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر:

Newman, J., The Agricultural Life of The Jews In Babylonia, London-1932.

3- Coogan: Life in the Diaspora opcit, p.8; Zadok: The Jews In Babylonia opcit, p.55.

الخاتمة

بعد التنقيبات الأثرية التي حدثت في ربوع منطقتنا العربية كان الهم الرئيس للباحثين الغربيين ذوي الخلفية التوراتية السعي لإثبات وتأكيد كل ما ورد في العهد القديم، وأن كل ما ورد فيه حقيقي وصحيح لا يقرب إليه الشك، غير أن الأمور سارت على غير هوى هؤلاء الباحثين فتبين أن العراقيين القدامى كان لديهم إحساس عميق بأهمية الكلمة المكتوبة إذ كانوا يحرصون أشد الحرص على تدوين أخبارهم وما يتصل بها من إنجازاتهم العمرانية والعسكرية، وكانوا يحرصون أشد الحرص على ذكر أسماء الشعوب التي يلتقون بها سلماً أو حرباً وأسماء البلدان والمدن التي تجتازها جيوشهم. وكانوا لحسن الحظ يدونون أخبارهم في أكثر من نسخة واحدة وبصور مختلفة من التقارير المقتضبة التي تتناول حدثاً واحداً إلى الحوليات الملكية المطولة التي تضم إنجازات سنة كاملة وكانوا يكتبون على ألواح الطين وعلى الحجر وجدران قصورهم وأبواب مدنهم وعلى التماثيل. وكان لهذه النصوص فضل كبير في الكشف ليس فقط عن تاريخ الآشوريين أنفسهم بل وفي إلقاء الضوء على تاريخ عدد كبير من الشعوب المعاصرة لهم وخاصة التي لم تعر التدوين أي اهتمام ومن ضمنهم اليهود، كما ساعدتنا كتب الأخبار البابلية على وضع صورة عن تاريخ اليهود وإن تميزت المملكة البابلية بقلة نزوعها إلى تخليد الانتصارات العسكرية، إن دراسة الحملات العسكرية للملوك العراقيين القدامى تقنعنا بسرعة على أنهم كانوا على درجة كبيرة من المقدرة العسكرية ولم يكونوا ذوي نزعة عسكرية عدائية كما يحلو للغربيين أن يصفوهم بهذه الصفة، لأن الحروب التي خاضوها كانت لقمع التمردات التي كانت تحدث في أرجاء المملكة.

وتبين لنا أن ما يسمى بـ "مملكة إسرائيل" أو "دولة إسرائيل الموحدة" ومن ثم انقسامها إلى مملكتين بعد وفاة سليمان عليه السلام فظلت الأولى تحمل اسم "إسرائيل" وسميت الثانية بـ "يهوذا" وكان لهما شأن كبير وأهمية قصوى في الأحداث السياسية التي وقعت في القرون الثلاثة الأولى من الألف الأول قبل الميلاد ، هذا ما صوره لنا العهد القديم وسارت على نهجه معظم الدراسات الأجنبية وحتى العربية إلى الدرجة التي يظن بها أن هاتين المملكتين كانتا تضاهيان الممالك الكبرى الأخرى، لكن الصورة التي تتوضح لنا من خلال النصوص المسمارية العراقية القديمة - أنه لم يكن لها أي صدى مثل ذلك الذي صوره لنا العهد القديم. ومن خلال استعراضنا للنصوص المسمارية تبين لنا أنه لم يرد فيها "اسم إسرائيل" للدلالة على مملكة أو دولة أو مدينة في فلسطين، بل أشارت النصوص إلى مدينة السامرة التي كانت عاصمة ما سماه الباحثون الغربيون "مملكة إسرائيل" وأن التسمية الوحيدة التي وردت بهذا الخصوص هي (matsir-I'la-a-a) والتي ترجمها الباحثون على أنها تعني بلاد إسرائيل، كما ترجموا مصطلح بيت عمري (Bit Hum-ri) بتأثير ما ورد في العهد القديم إلى إسرائيل، في حين لم ترد في القرآن الكريم للدلالة على مدينة أو مملكة أو كيان سياسي لهذا الاسم. أما بالنسبة ليهوذا فقد وردت في النصوص المسمارية تسبقها العلامة الدالة على المدينة أو البلاد ، أما استخدام الاسم للدلالة على مملكة يهوذا فإنه من ابتكار الأحبار اليهود الذين آرادوا أن يضيفوا هالة من القدسية على مملكتهم، وقد أخذ عنهم الكتاب اللاحقون ذلك وانتقلت التسمية إلى كتبنا العربية حتى غدت اسماً لا يرقى اليه الشك.

لقد تميزت الحقبة الأولى من عهد المملكة الآشورية بحروب خاضها الآشورين لإحكام السيطرة على منافذ التجارة وطرقها ومراكز الثروات المهمة في بلاد الشام، ومع ذلك بقيت بعض الممالك والمدن بعيدة عن المجالات السياسية والاقتصادية الآشورية إلى جانب وقوف هذه الممالك بوجه النشاط الآشوري، ولا شك أنها قربت الاحتكاك مع بعض المدن التي كانت تحت سيطرة اليهود. والاستنتاج المهم الملفت للنظر أن اليهود لم يكن لهم وجود قبل هذه الفترة ، فالأدلة العلمية تثبت كونهم غرباء على فلسطين عاشوا فيها كأقلية بين السكان الأصليين طيلة مدة

مكوثهم فيها وعجزهم في أي دور من أدوار التاريخ عن إنشاء دولة مدينة زمنية تضم كل فلسطين، ولم تكن لهم قومية محددة واضحة تجلب لهم أنظار الشعوب الأخرى مما أدى إلى اعتبارهم جزءاً من تلك الشعوب، وهذا يفسر لنا عدم ذكرهم في النصوص العراقية أو المصرية القديمة قبل هذه الفترة، ثم بدؤوا بعد ذلك بالمشاركة في الأحداث الجارية في سوريا وفلسطين بحيث تقاطع تاريخهم مع تاريخ الآراميين هناك وحروبهم وتحالفاتهم واختلاف مصائرهم. واتجهت بذلك السياسة الآشورية والبابلية كنتيجة طبيعية لهذا الأمر - وبالتعاقب منذ النصف الأول من القرن الثامن قبل الميلاد - إلى اجتثاث أسباب التمرد من أرض فلسطين كيما يستتب الأمن والاستقرار في المنطقة، فقد كان أولئك السكان المغتصبون لأجزاء من أرض فلسطين بعد إزاحة سكانها الأصليين - خلال تلك الفترة مصدرا للفتن والدسائس والتحريض على المملكة الآشورية والبابلية وزرع الفرقة بينها وبين مدن بلاد الشام من جهة ومصر من جهة أخرى.

فأول إشارة إلى ذكر اليهود في نصوص الممكلة الآشورية ترد في نصوص الملك شيلمنصر الثالث فهو أول ملك عراقي يحتك عسكرياً بهم، فجاء ذكر آخاب من السامرة ثم تبعه ذكر يهوه من بيت عمري وجاءت شخصية هذا الملك مجسدة على المسلة السوداء وهو يقدم فروض الطاعة والولاء للملك شيلمنصر الثالث، أما قبل هذه الفترة فليس لهم وجود وليس لهم ارتباط بنبي الله إبراهيم عليه السلام وليس لهم حق في الادعاء بأن تاريخهم يبدأ من هجرتهم من العراق مع إبراهيم عليه السلام فهو ادعاء باطل لا يستند إلى أي سند تاريخي ولا أساس له من الصحة.

والملاحظة الجديرة بالانتباه أن المدن في سوريا وفلسطين كانت تعجز عن مواجهة الآشوريين كل على حدة فاتخذت صيغة المواجهة - التحالف - الذي سوف نلاحظه يتكرر ونتيجة طبيعية تكون تكرار الحملات العسكرية الآشورية والنتيجة النهائية تكون تمكن الآشوريين من إخضاع معظم زعماء التحالف الغربي المناهض لهم ومن ضمنهم حكام السامرة وتقديم فروض الطاعة والولاء للآشوريين.

ثم تتراخى قبضة الآشوريين على بلاد الشام ومن ضمنها فلسطين لمدة عشرين سنة في فترة الركود السياسي ولا تتوفر لدينا أي إشارة عن اليهود في هذه الحقبة

الزمنية. ومع تولي أدد - نيراري الثالث نرى نهجاً جديداً في السياسة الآشورية فقد استطاع أدد - نيراري الثالث أن يحقق انتصارات على يهوآش حاكم السامرة وإجباره على دفع الجزية واستطاع أن يحقق انتصارات على يهوذا وفرض عليها الجزية أيضاً.

أدى انشغال تيجلاتبليزر الثالث بحملاته العسكرية على الحدود الشمالية والشرقية إلى اعتقاد حكام المدن هناك بالضعف الذي أصاب الآشوريين ودفعهم هذا إلى تشكيل حلف جديد وكان من بين المتورطين فيه عزرياو أو عزريا حاكم يهوذا ومناحيم حاكم السامرة، فشن حملة عسكرية عليهم تمكن من تفتيت الحلف وإخضاع جميع المدن وفرض السيادة الآشورية عليها وقدموا له مختلف أنواع الهدايا دلالة على الولاء والخضوع. ولكن سرعان ما تجددت الاضطرابات ثانية وتجدد الحلف الغربي المناهض للآشوريين ولاسيما دمشق والسامرة، وعدد من المدن السورية والفلسطينية وقام رصين وفقح بمهاجمة آحاز لرفضه الانضمام إلى الحلف والسير في خط ضد الآشوريين وأصبحت الفرصة مواتية لتيجلاتبليزر الثالث عندما استنجد به آحاز ضد هؤلاء، فأسرع على رأس جيش آشوري وتمكن خلال عامين من فرض الحصار على رصين في دمشق وتمكن من إسقاطها ثم أخضع المدن التي انضمت إلى الحلف أما فقح فكان مصيره الخلع وتنصب هوشع حاكماً عليها وألزمه دفع الجزية السنوية للآشوريين. كانت هذه الحملة المؤشر لبداية النهاية لسقوط السامرة في عهد سرجون الثاني وتمكن من تقليص نفوذها وفتحت الطريق للاحتكاك الآشوري المباشر مع مصر والقبائل القاطنة في شمال الجزيرة العربية.

أما في عهد شيلمنصر الخامس تغير الموقف في الجبهة الغربية: حيث امتنع كل من هوشع حاكم السامرة وملك صور عن دفع الجزية، ومن ثم تمكنت المملكة الآشورية من إعادة سلطتها وفرضت عليه الجزية. غير أن هذا الأمر لم يرق لحاكم إسرائيل فامتنع عن دفع الجزية ثانية فأرسلت حملة أخرى على السامرة وحوصرت المدينة واستسلمت للملك الآشوري، وربما كان سرجون الملك الذي اعتلى العرش بعد ذلك قائداً للجيش الآشوري في تلك الحملة حيث إنه ادعى بأنه هو الذي قضى على إسرائيل.

فلما اعتلى سرجون العرش واجه تمردات في أجزاء عديدة من مملكته. ما يهمنا حكام المدن في فلسطين الذين كانوا لديهم الاستعداد للتمرد والعصيان، فبسبب انشغاله بالجبهة الغربية اضطر سرجون أن يوقف أي تحرك ضد مردك - ابلا - ادينا لمدة عشرة سنوات، فأعلنت السامرة التمرد والعصيان. فقد كانت تابعة للبلاط الآشوري أثناء حكم تيجلاتبليزر الثالث، ولكنها استغلت الأوضاع المضطربة خلال حكم شيلمنصر الخامس وأعلنت التمرد ورفضت دفع الجزية. والمرجح بين الباحثين أن سرجون الثاني كان القائد العسكري الذي قاد حصار السامرة إما بحضور شيلمنصر الخامس أو في غيابه، فأعلن السامريون التمرد بدعم من مصر، وتمكن من محاصرتها واقتحامها ونقل الآشوريون أعداداً من السكان أسرى حيث يخبرنا أنه أسر 27.290 شخصاً ووضع حاكماً آشورياً لإدارة مدينة السامرة وفرض الجزية عليها بالقدر الذي كان يؤخذ منها سابقاً. ولم يكتف سرجون بالاستيلاء على جميع الثغور السورية على شاطئ البحر المتوسط من كيليكيا إلى غزة ورفح في الجنوب، بل عمل على بسط سلطته على الشعوب البحرية التي تتاجر مع المدن السورية مثل الايونيين في الجزر اليونانية، والقبارصة وبذلك ضمنت آشور السيطرة التامة على التجارة البحرية في حوض المتوسط وبسقوط السامرة لم تقم لها قائمة بعد ذلك، والملاحظة المهمة جداً أننا لم نجد في النصوص الآشورية أي استخدام لمسمى إسرائيل كدولة أو مملكة وإنما ورد ذكر السامرة فقط للدلالة على المدينة التي خضعت للآشوريين واستمر ذكرها في النصوص الآشورية على هذه الصيغة.

لقد اضطرب ملك مصر من استيلاء سرجون الثاني على السامرة وغدوها مقاطعة آشورية، لأن الآشوريين أصبحوا على أبواب بلاده، فأخذ يحرك حكام المدن الفلسطينية والسورية ويعدهم بالنجدة فاستجابوا إليه وحملوا السلاح بقيادة ايلو - بعدي حاكم حماة وطرد الحاميات الآشورية وقد سارع سرجون الثاني إلى الزحف ونشب بينه وبين القوات المتحالفة ومن ضمنها السامرة قتال شديد في جبهة القرقر ودارت الدائرة على الجيوش المتحالفة وظفر سرجون بقائدها ايلو - بعدي من بيت اكوسي ودمشق والسامرة وغنم منهم غنائم كبيرة، ثم حمل على غزة وكان

حاكمها حنانو قد رجع إليها منتظراً نجدة مصر ففر منها إلى رفح وانضم إلى الجيوش المصرية فيها فحمل سرجون عليها وهزمها وقبض على حنانو وأرسله أسيراً إلى آشور وسيطر على رفح وأحرقها ورحل سكانها. وتبين لنا أن مصر كانت تساعد فعلاً مدن فلسطين وسوريا على التخلص من الحكم الآشوري لموقعها المتميز بالإضافة إلى ثرواتها الطبيعية وزراعتها المتقدمة وكما تعد أحد المنافذ الرئيسية لطرق التجارة العربية الجنوبية لذلك كانت فلسطين ذات أهمية كبيرة في سياسة الآشوريين وبخاصة أثناء حكم الأسر اليهودية التي ناصبت الآشوريين العداء وكانت أوضاع المملكة الآشورية الداخلية وقوة الحاكم وحزمه وتهاونه وضعفه مقياساً لحالة الأقاليم في استقرارها أو انشغالها بالفتن والاضطرابات.

أما حملة سنحاريب الثالثة التي قام بها وأخضع صيدا ومدنها، ويأتي دور حكام المدن ومن ضمنهم مناحيم من السامرة لتقديم الجزية ثم يتابع سنحاريب إخضاع المدن المتمردة متجهاً نحو المناطق الداخلية في فلسطين، كان بادي حاكم عقرون من الموالين لسنحاريب وعندما تعرض الحاكم المذكور إلى ثورة شعبية قادها الأشراف والعامة وأقالوا حاكمهم وسلموه إلى حزقيا اليهودي فألقاه في السجن فسارع سنحاريب إلى المدينة وقد أصيب حزقيا بالذعر واستنجد بحلفائه المصريين لنجدته، ولكن سنحاريب ادعى أنه تمكن من إطلاق سراح حليفه بادي وجعله حاكماً على مدينته وفرض عليه الجزية، ثم توجه سنحاريب إلى يهوذا للانتقام من حاكمها حزقيا والذي كان قد ارتقى العرش قبيل حكم سنحاريب وعاصره فحدثت معركة التغية أو التكية، وبعد هذه المعركة التي هزم بها سنحاريب حزقيا وقوات المساعدة التي جاءت من مصر؛ يتابع النص المسماري آخبار الحملة يهوذا، وأنه آي سنحاريب تمكن من السيطرة على 46 مدينة حصينة تابعة ليهوذا وهدم معظم أسوار تلك المدن؛ وصولاً إلى أورشليم التي هدمت أسوارها هي أيضاً ويرد في النص آنه رحل اليهود وأودع حزقيا في السجن كالطير في قفص وقسم أورشليم وأعطاها إلى الحكام الموالين له وتركها مكتفيا بالجزية التي فرضها على حزقيا والهدايا التي وعد بإرسالها إلى نينوى كما ورد في النص المسماري وقد مثل سنحاريب انتصاراته على آعدائه اليهود في فلسطين بنقش وهو

يمثل صورته وهو يتسلم الجزية والهدايا من الأسرى اليهود. وبذلك تمكن سنحاريب من تحقيق ما كان يطمح إليه، فقد أعاد فرض سيطرته على يهوذا وضمن سلامة المواصلات التجارية.

ولقد أدت الحملات العسكرية التي قام بها الملوك الآشوريون السابقون إلى كسر شوكة اليهود فخلال ما تبقى من فترة حكم الملك الآشوري آسرحدون وكامل فترة حكم آشور بانيبال لا يرد فيها ذكر لليهود في النصوص الآشورية وهذا يفسر لنا سبب قلة معلوماتنا عن اليهود في هذه الفترة باستثناء النص الذي يشير فيه آسرحدون إلى خضوع اثنين وعشرين حاكماً من حكام مدن سوريا وفلسطين ومن ضمنهم نسيّ حاكم يهوذا حيث فرض عليهم أن يرسلوا إلى العاصمة نينوى الأخشاب والمواد الضرورية من أجل المشاريع العمرانية لبناء قصره.

وعلى عهد الملك آشور بانيبال ظلت سيطرته موطدة على مدن بلاد سوريا وفلسطين ومن جملتها يهوذا وحالفه النجاح طيلة ثلاثين عاماً ولكن بعد وفاته أشرفت المملكة الآشورية على الانحلال فوهنت قبضتها على المناطق الغربية وبدأت شعوبها بالتمرد وأخذت تشق عصا الطاعة وترفض دفع الجزية ومن ضمنها يهوذا حيث أخذ حاكمها يوشيا بالتوسع وضم الكثير من المناطق إلى مركز نفوذه مستغلاً ضعف المملكة الآشورية.

كانت بابل الوريثة الشرعية للمملكة الآشورية ولهذا اتجهت الحملات البابلية بقيادة نبوخذ نصر ضد يهوذا عام (597 و 586) ق.م حيث أنهت استقلال يهوذا وترحيل سكانها والنصوص الخاصة بموضوع البحث على حملات المملكة باتجاه مدن سوريا وفلسطين خصوصاً يهوذا. باستثناء النص الخاص بحملة نبوخذ نصر على يهوذا. أما ما يتعلق باليهود وترحيلهم الذي حصل على يد نبوخذ نصر كما هو شائع في المصادر التاريخية التي نقلت ذلك عن العهد القديم فليست لدينا نصوص تتحدث عن ترحيل اليهود باستثناء النص الخاص بالجرايات المخصصة للحاكم اليهودي.

أما في فترة الركود السياسي فلا تتوفر لدينا أية إشارة عن اليهود في النصوص المسمارية، غير أن استقراء النصوص العائدة للملك نبونائيد توضح لنا أنه

من بين القوات التي رافقته إلى شمال الجزيرة العربية قسماً من اليهود رغم أنه لا يمكن إثبات ما إذا كانوا من أولئك اليهود الذين تركوا فلسطين بعد فتح أورشليم أو أنهم اولئك الذين رحلوا إلى بابل زمن نبوخذ نصر.

ووجود اليهود في بابل كان بمثابة الرتل الخامس في داخل المدينة والذي مهد بشكل كبير بدخول الفرس إليها، ومع أننا لا نملك معلومات دقيقة عن تعامل اليهود مع الفرس الأخمينيين غير أن كونهم أعداء المملكة جعلهم على استعداد للعمل ضدها مع أية قوة أخرى والراجح أن الأخمينيين أنجزوا هذا التحالف مع اليهود وان هذا التحالف أدى دوره في احتلال بابل سواء أكان ذلك عن طريق العون المباشر أو غير المباشر، وجراء عملهم الخياني هذا فقد كافأهم كورش على فعلتهم بعد أن دخل بابل بأن أصدر مرسوماً سمح لهم بالعودة.

أما ما يتعلق بالترحيل فلم يكن المرحلون عبيداً فالعبيد لم تكن لهم حقوق حيث يباعون ويشترون، أما المرحلون فإنه كان يطلب منهم أن يقوموا بواجبات معينة للمملكة إلا أنهم ظلوا أحراراً من الناحية العملية. واستطاع الكثير منهم أن يندمج في الحياة العراقية القديمة فدخلت الكثير من المسميات العراقية القديمة ومسميات الآلهة في تراكيب أسمائهم كما أن الكثير منهم عملوا في مختلف المجالات وقد أصاب الكثير منهم النجاح وامتلكوا الكثير من الثروات والأملاك وأشهر هذه البيوتات بيت موراشو وآكبي.

وتأسيساً على ما سبق هناك حقيقة لا بد من الإشارة إليها، فنحن لا نزال في أمسّ الحاجة إلى جهود الباحثين والمختصين والعلماء العرب للقيام بدراسات متعمقة تعيد قراءة التاريخ القديم للمنطقة، شارحين فيه تاريخ الأرض المقدسة المغتصبة وأهميتها بالنسبة إلى بقية البلاد العربية، فاضحين فيها دعوى الصهاينة بأن الأرض أرضهم لا تعدو أن تكون زيفاً وبهتاناً لا سند لهم في ذلك من واقع تاريخي. ونقترح قيام وزارات التربية والتعليم العالي في الجامعات العربية إلى تخصيص فصل دراسي يخص تاريخ فلسطين القديم لارتباط الماضي بالحاضر، كما أن الحاجة تدعو للتفكير في إقامة مركز لدراسة التاريخ الفلسطيني القديم حيث يحقق هذا المشروع هدفين أساسيين:

1- هدف قومي هو انتزاع ركيزة أساسية من ركائز الحركة الصهيونية التي تقوم على ادعاء امتلاك التاريخ القديم وهو ادعاء ليس له أساس في التاريخ الفعلي.

2- هدف علمي يتمثل في رد الاعتبار لجزء مهم من التاريخ العربي القديم وهو التاريخ الفلسطيني بحيث يدرسه أبناء البلد نفسه بدلاً من أن ننتظر من الآخرين إلقاء الضوء على تاريخنا وتفنيد ادعاءات خصومنا.

ثبت
المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس

المصادر العربية والمعربة:

- إبراهيم، جابر خليل: "الأخطار الخارجية: اليهود والفرس" في كتاب العراق قديمه وحديثه - 1998، ص 154-171.
- إبراهيم، نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم، ط 1، القاهرة - 963، ج 3
- أبو عساف، علي: "ملوك آوغاريت من خلال الوثائق لمحة عن تاريخ أوغاريت" دراسات تاريخية، ع 1، دمشق - 1980، ص 129-141.
- ------------: "مملكة بحياني الآرامية"، دراسات تاريخية، ع 6، دمشق - 1981، ص 147-159.
- ------------: "صلة موسى بالمدينيين والإسرائيليين"، ضمن الندوة العالمية الأولى للآثار الفلسطينية، جامعة حلب - 1981، ص 1-7.
- ------------: الآراميون، دمشق - 1988.
- الأحمد، سامي سعيد: "كتابة التاريخ عند الآشوريين في العصرالسرجوني (612-747) ق.م". سومر. م 25، بغداد - 1969. ص 45-79.
- ------------: "لماذا سقطت الدولة الآشورية". سومر، م 27، بغداد - 1971، ص 110-122.
- ------------: تاريخ فلسطين القديم، بغداد - 1979.

- ------------: المدخل إلى تاريخ اللغات الجزرية، بغداد - 1981.
- ------------: "نقد العهد القديم"، المؤرخ العربي، ع 22، بغداد - 1982، ص 215-238.
- ------------: "سلالة بابل الحديثة (526-536) ق.م" في العراق في التاريخ، بغداد - 1983، ص 162-180.
- ------------: "الصراع خلال الألف الأول قبل الميلاد (933-313) ق.م" في الصراع العراقي - الفارسي، بغداد - 1983 ص 61-90.
- ------------: "الدولة الكلدانية زمن نبوبلاصر ونبوخذ نصر"، المؤرخ العربي ع 29، بغداد 1986، ص 255-271.
- ------------: سمير اميس، بغداد - 1988.
- ------------: "التحديات في العصرين البابلي الحديث والمتأخر" في العراق في مواجهة التحديات، بغداد 1988، ص 127-142.
- ------------: "دراسة في معلومات العهد القديم التاريخية عن فلسطين"، المورد، م 18، ع 1-2، بغداد - 1989، ص 63-77.
- ------------: "الفن العبري المزعوم"، المؤرخون العرب، ع 21، بغداد - 1990، ص 72-77.
- الأسد، ناصر الدين: "القدس 5000 عام" ضمن ندوة القدس أنقطة قطعية أم مكان التقاء، الرباط - 1998، ص 83-94.
- الأسعد، محمد: "لغز آبيلا هل كانت مملكة عربية"، العربي، ع 305، الكويت - 1984، ص 97-103.
- الأمين، محمود: "تعليقات تاريخية على حملة سرجون الثامنة". سومر، م 5، بغداد - 1949، ص 215-245.
- إسماعيل، بهيجة خليل: "الجيش في العصر الآشوري"، موسوعة الموصل الحضارية، الموصل - 1991، م 1، ص 281-303.
- إسماعيل، خالد: "الأصول المشتركة للغات العراقية القديمة"، ندوة الأصل المشترك للغات العراقية القديمة، المجمع العلمي العراقي، بغداد - 1990.

- إسماعيل، شعلان كامل: "العلاقات الدولية في العصور العراقية القديمة"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل - 1990.
- إسماعيل، فاروق: "حول أصل الاسم سوريا"، دراسات تاريخية، ع 49-50، دمشق - 1994، ص 119-123.
- أسود، عبد الرزاق: "المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب"، بيروت - بدون تاريخ.
- آغا، عبد الله أمين: سعيد، ميسر: نمرود، بغداد - 1976.
- اوبنهايم، ليو: بلاد ما بين النهرين، (شيكاغو 1964)، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق، ط 2، بغداد - 1968.
- اوتس، جون: بابل تاريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد - 1991.
- بارنز، هاي المر: تاريخ الكتابة التاريخية (1963) ترجمة محمد عبد الرحمن برج، القاهرة - 1984، ج 1.
- باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط 1، بغداد - 1955، ج 2.
- باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط 3، بغداد - 1973، ج 1.
- باقر، طه؛ حميد، عبد العزيز: طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار، ط 1، بغداد - 1980.
- بارو، اندريه: برج بابل، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، بغداد - 1980.
- بدر، محمد: الكنز في قواعد اللغة العبرية، القاهرة - بدون تاريخ.
- البدري، جمال عبد الرزاق: نبي العراق والعرب، بغداد - 1989.
- برقاوي، أحمد: "الصهيونية في مرآة الفكر العربي المعاصر العلاقة بين الصهيونية والتاريخ اليهودي"، دراسات تاريخية، ع 55-56، دمشق - 1996، ص 180-206.
- البرسوي، إسماعيل حقي: تفسير روح المعاني، بغداد - بدون تاريخ، ج 2.
- بصمجي، فرج: نفر، بغداد - 1960.
- ------------: كنوز المتحف العراقي، بغداد - 1972.

- بهنسي، عفيف: الشام لمحات آثارية وفنية، بغداد - 1980.
- بوتيرو، جون: الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، ترجمة عامر سليمان، الموصل - 1979.
- بوفرة، عبد الكريم: "تخطيط اللغة العبرية"، **اللسان العربي**، ع 38، عمان - 1994، ص 166-171.
- تاكسيل، ليو: التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير، ترجمة حسان ميخائيل إسحق، ط 1، بيروت - 1994.
- تهامي، نقرة: سيكلوجية القصة في القرآن، الجزائر - 1971.
- توينبي، ارنولد: الفكر التاريخي عند الإغريق، ترجمة لمعي المطيعي، القاهرة - 1966.
- التونجي، محمد: اللغة العبرية وآدابها، عين شمس - 1975.
- الجبوري، علي ياسين: "التوراة مصدراً للتاريخ الآشوري" بحث ألقي ضمن وقائع ندوة الدراسات التاريخية في العراق الواقع وآفاق المستقبل /قسم التاريخ/كلية التربية/جامعة الموصل 24-25 اذار، ص 1-36.
- -----------: "الإدارة"، موسوعة الموصل الحضارية، موصل - 1991، م 1، ص 243-261.
- الجبوري، عبد الوهاب محمد: اللاسامية في الفكر الصهيوني الجذور التاريخية والأهداف، بغداد - 1982.
- جاسم، زهير ضياء الدين سعيد: نظام الاتصالات في بلاد آشور، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل - 2000.
- الجاسم، صباح عبود: الائتمان والصيرفة في العراق القديم بغداد - 1964.
- جرني، أ. ر: الحيثيون، (لندن - 1952) ترجمة محمد عبد القادر، بغداد - 1963.
- الجميلي، عامر عبد الله نجم: الكاتب في بلاد الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل - 2001م.

- الجنابي، رواء خالد صبري: أسماء المدن الآرامية في آشور دراسة مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغات، جامعة بغداد - 1999.
- جودي، فاروق محمد، حرب، سعيد: قواعد اللغة العبرية، القاهرة - 1967.
- جودي، فاروق محمد: الصهيونية واللغة، القاهرة - 1977.
- خلف، علي حسين: الحضارة الكنعانية والتوراة، ط 1، بيروت - 1999.
- الخازن، نسيب وهيبة: من الساميين إلى العرب، بيروت - 1979.
- خان، ظفر الإسلام: تاريخ فلسطين القديم، ط 6، بيروت - 1992.
- خياطة، محمد وحيد: "من اوركلدان إلى أرض كنعان"، سومر، م 33، بغداد - 1977، ص 97-102.
- حتي، فليب: العرب تاريخ موجز، ط 3 بيروت - 1965.
- ------------: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد، عبد الكريم وافق بيروت - 1958.
- حازم، حسين يوسف: الملك الآشوري شيلمنصر الثالث (859-824) ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل - 2000م.
- حامدة، أحمد: "الملك والعائلة المالكة في فينيقيا"، دراسات تاريخية، ع 49-50، دمشق - 1994، ص 129-147.
- الحسيني، إسحق موسى: "العنصرية أساس قيام إسرائيل"، معهد البحوث والدراسات العربية، ع 3، القاهرة - 1972، ص 1-12.
- حمود، حسين ظاهر: التجارة في العصر البابلي القديم، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل - 1995.
- ------------: "المنحوتات الجدارية من وسائل الإعلام عند الآشوريين"، آداب الرافدين، ع 31، موصل - 1988، ص 289-306.
- الحموي، ياقوت: معجم البلدان، بيروت - 1977، ج 3.
- حنون، نائل: "الحقبة التاريخية وموقف الباحثين العراقيين منها"، بين النهرين، ع 80، موصل - 1992، ص 7-36.
- حوقل، أبي القاسم: صورة الأرض، بيروت - 1979.

- حومسكي، زيئف: اللغة العبرية وسبل تطورها، رسالة دبلوم تقدم بها، حسين مبدر ناصر الخزرجي، كلية اللغات، جامعة بغداد - 1997.
- الحديدي، أحمد زيدان: الملك الآشوري تيجلاتبليزر الثالث (745-727) ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل - 2001م.
- دائرة معارف كتابية: تحرير القس صموئيل حبيب، فايز فارس عبد النور، جوزيف صابر، ج 2، ج 3، ج 4، ط 1، 1991، ج 6، ط 1، 1997.
- داؤد، عبد الأحد: محمد في الكتاب المقدس، ترجمة فهما شمّا، ط 1، قطر - 1985.
- الدليمي، محمد صبحي عبد الله: العلاقات المصرية العراقية في العصور القديمة، ط 1، بغداد - 1990.
- ------------: العراق وبلاد الشام الصلات الحضارية والسياسية من أقدم العصور وحتى العصر البابلي القديم 1595 ق.م رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي، بغداد - 1992.
- دروثي، مكاي: مدن العراق القديمة ترجمة يوسف يعقوب مسكوني، ط 3، بغداد - 1961.
- درور، ليدي: في بلاد الرافدين صور وخواطر، ترجمة فؤاد جميل، ط 1، بغداد - 1961.
- الدوري، رياض عبد الرحمن: آشور بانيبال سيرته ومنجزاته، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد - 1961.
- الدوسكي، عادل حميد يزدين: تدوين الكتب المقدسة التوراة، الإنجيل، القرآن، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة بغداد - 1986.
- دولابورت، ل.: بلاد ما بين النهرين حضارة بابل وآشور، ترجمة مارون الخوري، بيروت - 1971.

- دنامايف، محمد: بلاد بابل في العهد الأخميني، (موسكو 1962-1963) في العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة سليم طه التكريتي، ط 2، بغداد 1986، ص 453-475.
- الراوي، شيبان ثابت: آشور ناصربال الثاني (883-859) ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد - 1986.
- الراوي، فاروق ناصر: "العلوم والمعارف"، موسوعة حضارة العراق، بغداد - 1983، ج 1، ص 273-318.
- ------------: "الأوضاع الاجتماعية"، موسوعة الموصل الحضارية، موصل - 1991، م 1، ص 262-268.
- رشيد، صبحي أنور: "دراسة تحليلية للتأثير البابلي في آثار تيماء"، سومر، م 2، بغداد - 1973، ص 107-115.
- ------------: "الملك البابلي نبوخذ نصر في تيماء"، سومر، م 35، بغداد - 1970، ص 169-171.
- رشيد، فوزي: "العلوم الإنسانية والطبيعية"، موسوعة الموصل الحضارية، الموصل - 1991، م 1، ص 373-392.
- رو، جورج: العراق القديم، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين. بغداد - 1984.
- الروسان، محمود محمد: نقوش تلمودية جديدة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة اليرموك، الأردن - 1994.
- الرويح، صالح حسين: العبيد في العراق القديم، بغداد - 1977.
- الريس، محمد فتحي: الحقيقة في تاريخ العرب ولغتهم العريقة، القاهرة - 2000.
- زايد، عبد الحميد: "انتشار التراث المصري الفرعوني في العالم" في كتاب الذكرى والتاريخ، بإشراف شاكر مصطفى، الكويت - 1987، ص 1-83.

- الزرقي، محسن أحمد عبد الله: العدوان الفارسي على العراق في العهد الأخميني، جامعة الموصل 1989.
- بن زكريا، أبي الحسين أحمد بن الفارس: معجم مقاييس اللغة، بيروت 1979، ج 4.
- زهدي، بشير: "مملكة دمشق الآرامية"، الحوليات السورية، م 10، دمشق - 1958، ص 97-102.
- زودن، فون: "في مشكلات تصنيف اللغات السامية"، ترجمة مصطفى عرفة، بين النهرين، ع 24، الموصل - 1978، ص 379-392.
- الزين، محمد: "الحلف المكابي - الروماني فصل من تاريخ فلسطين في العهد الهلنستي"، دراسات تاريخية، ع 67-68، دمشق - 1999، ص 21-56.
- سرحان، نمر: المباني الكنعانية في فلسطين، ط 1، عمان، 1989.
- ستروف، ف. ف.: "مسألة تكوين مجتمعات الرق وتطورها وانحلالها في الشرق القديم" في العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، جماعة من علماء الآثار السوفيت، ترجمة سليم طه التكريتي، ط 2، بغداد - 1986، ص 23-98.
- سرحان، نمر: المباني الكنعانية في فلسطين، ط 1، عمان - 1989.
- السرطاوي، فؤاد: "اليهود بين آيات الإسراء والوعد المقدس"، هدي الإسلام، ع 24، عمان - 1980، ص 54-70.
- ساكز، هاري: عظمة بابل، (لندن - 1964) ترجمة عامر سليمان، موصل - 1979.
- ------------: قوة آشور (لندن - 1984) ترجمة عامر سليمان، بغداد - 1999.
- ------------: الحياة اليومية في العراق القديم (بلاد بابل وآشور)، ترجمة كاظم سعد الدين، ط 1، بغداد - 2000.
- السامرائي، إبراهيم: "رد على مقال: عربي، آرامي، عبري"، سومر، م 16، بغداد - 1960، ص 38-41.

- السامرائي، نعمان عبد الرزاق: "دراسات في التوراة"، كلية الشريعة، ع 4، بغداد 1967-1968، ص 320-335.
- السلمان، أحمد حسين: المخازن في العراق القديم إلى نهاية العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد - 1982.
- ------------: "نظرة عامة في مخازن العراق القديم"، سومر، م 45، بغداد - 1988، ص 308-316.
- سلمان، سعيد عبد الله: "حلف الضرورة والمصلحة بين اليهود والعلمانية الغربية عبر التاريخ"، الباحث، ع 61، بيروت - 1994، ص 9-31.
- سليمان، عامر: الكتابة المسمارية والحرف العربي، موصل - 1982.
- ------------: "منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد"، موسوعة الموصل الحضارية، موصل - 1991، م 1، ص 56-66.
- ------------: اللغة الأكدية تاريخها، تدوينها، قواعدها، موصل - 1991.
- ------------: العراق في التاريخ القديم، موصل - 1992، ج 1.
- ------------: وآخرون المعجم الأكدي، بغداد - 1999، ج 1.
- ------------: "مغالطات في تاريخ اليهود القديم"، بحث مقبول للنشر في المجمع العلمي العراقي.
- ساندرز، جون: "تعقيدات ومتناقضات في عمارة ما بين النهرين في الألف الأول قبل الميلاد"، سومر، م 35، بغداد - 1979، ص 336-350.
- السعد، جودت: أوهام التاريخ اليهودي، ط 1، عمان 1998.
- سنقرط، داود عبد العفو: أبناء يهوذا في الخفاء، ط 2، عمان - 1984، ج 1.
- السواح، فراس: آرام، دمشق، إسرائيل في التاريخ والتاريخ التوراتي، ط 5، دمشق - 1999.
- السواح، فراس: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، ط 4، دمشق - 1999.

- سوسة، أحمد: العرب واليهود في التاريخ حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية، ط 2، دمشق - بدون تاريخ.
- -----------: ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ط 1، بغداد - 1978.
- سومير، أ. د.: "ثلاثة أنصاب آرامية مصدرها السفيرة معاهدة تبعية من القرن الثامن قبل الميلاد"، الحوليات السورية، ترجمة عدنان البني، م 10، دمشق - 1960، ص 234-252.
- شبار، وداد عيسى: يهوه في الكتابات والنقوش العبرية القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن - 1995.
- شبل، فؤاد محمد: أخناتون رائد الثورة الدينية، القاهرة - بدون تاريخ.
- شبيب، نبيل: "ثوابت إسلامية في القضية الفلسطينية"، قضايا دولية، ع 358، باكستان - 1996، ص 22-23.
- شعث، شوقي: "أضواء على الأبحاث الأثرية في فلسطين"، العربية للثقافة، ع 1، تونس - 1982، ص 19-25.
- -----------: "الاستيلاء على الممتلكات الثقافية الفلسطينية تحت الاحتلال الصهيوني"، في كتاب التراث الحضاري الإسلامي خارج الوطن العربي، تونس - 1991.
- شلبي، أحمد: مقارنة الأديان (اليهودية)، ط 2، القاهرة - 1967، ج 2.
- الشامي، رشاد عبد الله: إشكالية الهوية في إسرائيل، الكويت - 1997.
- الشمري، طالب منعم حبيب: سنحاريب سيرته ومنجزاته (704-681) ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد - 1986.
- -----------: الوضع السياسي في الشرق الأدنى بين القرنين السادس عشر والحادي عشر قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد - 1996.
- الشمس، ماجد عبد الله: "من تاريخ الفترة الآشورية في القسم الجنوبي من العراق"، سومر، م 29، بغداد - 1973، ص 289-298.

- شهاب، كامل علوان: الأبنية ذات الأقبية أو ما يسمى بالجنائن المعلقة، سومر، م 35، 1979، ص 127-136.
- ------------: "الأبنية ذات الأقبية"، سومر، م 41، 1985، ص 94-97.
- الشويلي، داود سلمان: "رسالة الولادة المرفوضة دراسة تناصية بين ميلاد موسى عليه السلام وسرجون الأكدي"، الموقف الثقافي، ع 19، بغداد - 1999، ص 84-91.
- شيت، أزهار هاشم: الدعاية والإعلام في العصر الآشوري الحديث، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل - 2000م.
- عبد الرحيم، ف: "أصل كلمة إبراهام"، مجمع اللغة العربية الأردني، ع 32، عمان - 1987، ص 325-327.
- عارف، مجيد حميد: الاثنوغرافيا والأقاليم الحضارية، بغداد - 1984.
- العامري، علي حسين فرج: أسماء المواضيع القديمة في بلاد بابل في فترتي العهد القديم والتلمود، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغات، جامعة بغداد - 1998.
- عبد الإله، فاضل: "أهم الشخصيات ودورها في تاريخ العراق القديم" في كتاب تاريخ العراق قديمه وحديثه، بغداد - 1998، ص 105-141.
- عبد الله، فيصل: "خبرو: خا - بير - رو Ha - pi - ru مشكلة حقيقية أم مفتعلة"، دراسات تاريخية، ع 31-232، دمشق - 1989، ص 155-168.
- عبد الله، يوسف خلف: الجيش والسلاح في العصر الآشوري الحديث 911-612 ق.م. رسالة ماجستير منشورة، ط 1، بغداد - 1977.
- ------------: الفكر العسكري في العراق القديم، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي للدراسات العليا، بغداد - 1996.
- عبد المجيد، محمد بحر: "التوراة بين الحقيقة والتزييف"، كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ع 1، ليبيا، 73-1974، ص 329-344.
- عبد الحق، فاضل: تاريخهم من لغتهم، بغداد - 1977.
- ------------: مغامرات لغوية، بيروت - بدون تاريخ.

- ------------: "عربي، آرمي، عبري"، سومر، م 4، بغداد - 1958، ص 180-188.
- عبد الحليم، مصطفى كمال: اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، ط 1، القاهرة - 1968.
- عقاد، عباس محمود: إبراهيم أبو الأنبياء، بيروت - 1967.
- عقراوي، ثلماستيان: المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين، بغداد - 1978.
- العقيلي، محمد أرشيد: اليهود في شبه الجزيرة العربية، ط 1، عمان - 1980.
- عطا، صلاح الرشيد: السوق العسكري للدولة الآشورية (722-626) ق.م، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي للدراسات العليا، بغداد - 1998.
- علوش، ناجي: "هل نعيد قراءة تاريخ اليهود"، الموقف الثقافي، ع 5، بغداد - 1996، ص 29-33.
- علي، جواد: تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد - 1968، ج 2.
- ------------: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت - 1968، ج 1.
- علي، فاضل عبد الواحد: "الأكديون ودورهم في المنطقة"، كلية الآداب، ع 24، 1979، ص 188-195.
- ------------: "خلاصة عن الصراع العراقي الفارسي"، في الصراع العراقي الفارسي، بغداد - 1983، ص 121-126.
- ------------: الراوي، فاروق ناصر: "دراسة مركزة في نقاط للفكر العسكري العراقي القديم عبر ألفي عام (2500-539) ق.م"، المؤرخ العربي، ع 37، بغداد - 1988، ص 167-172.
- ------------: من ألواح سومر إلى التوراة، ط 1، بغداد - 1989.
- علي، قاسم محمد: سرجون الآشوري (721-705) ق.م سيرته ومنجزاته، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد - 1983.

- العموش، بسام علي: "قراءة عقائدية في العهد القديم: الأسفار الخمسة (أسفار موسى)"، دراسات في علوم الشريعة والقانون، م 26، عمان - 1999، ص 738-749.
- غالب، عارف أحمد إسماعيل: صلات العراق بشبه جزيرة العرب من سنة 1000 حتى سنة 539 ق.م، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد - 1992.
- غريبة، عز الدين: فلسطين تاريخها وحضارتها، بغداد - 1981.
- غزالة، هديب حياوي: الدولة البابلية الحديثة والدور التاريخي للملك نبونائيد في قيادتها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد - 1989.
- ------------؛ الصالحي، رافد كاظم كريدي: "اليهود في بابل.. بين التبلور الفكري والنهج العدائي"، بحث مقبول للنشر في مجلة دراسات في التاريخ والآثار 1999/3/7.
- غنيمة، يوسف رزق الله: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، بغداد - 1925.
- الطائي، ابتهال عادل إبراهيم: أصالة الحضارة العراقية القديمة وأثرها في الحضارات الأخرى في مجال العلوم الإنسانية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل - 1996.
- طبارة، عفيف عبد الفتاح: اليهود في القرآن الكريم، ط 4، بيروت - 1974.
- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن: معجم البيان في تفسير القرآن، بيروت - بدون تاريخ، ج 1.
- الطعان، عبد الرضا: الفكر السياسي في العراق القديم، بغداد - 1981، ج 1.
- الطعان، هاشم: مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، بغداد - 1978.
- طعيمة، صابر عبد الرحمن: تاريخ اليهود العام، ط 1، بيروت - 1975، ج 1.
- ------------: بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم، ط 1، بيروت - 1975.

- ------------: التراث الإسرائيلي في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه، بيروت - 1979.
- ------------: الدين الحق وبنو إسرائيل، ط 1، بيروت - 1979.
- ------------: الأسفار المقدسة قبل الإسلام، ط 1، بيروت - 1985.
- الطل، محمد هاد: "أسماء الأديان"، المعهد الملكي للدراسات الدينية، ع 17، عمان - 2001، ص 16-18.
- طومسون، توماس، ل.: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة علي سوداح، ط 1، بيروت - 1995.
- طنطاوي، محمد سيد: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ط 2، ليبيا - 1973، ج 1.
- طه، منير: "الرسوم والنقائش الصخرية في الوطن العربي" في كتاب النقائش والرسوم الصخرية في الوطن العربي، تونس - 1997، ص 44-59.
- طوير، قاسم: "الصورة التاريخية والحضارية لسوريا"، دراسات تاريخية، ع 6، دمشق - 1981، ص 113-128.
- ظاظا، حسن: الساميون ولغاتهم، دمشق - 1971.
- ------------: الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، القاهرة - 1971.
- ------------: الشخصية الإسرائيلية، دمشق - 1985.
- الصالحي، رافد كاظم كريدي: حقيقة الوقائع التاريخية بين عرض التوراة ومعالجة النصوص العراقية القديمة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة القادسية - 1999.
- الأصطخري، أبو إسحق إبراهيم بن محمد: المسالك والممالك، بيروت - بدون.
- الصفدي، هشام: الوجيز في تاريخ حضارات آسيا الغربية، دمشق - 1982.
- ------------: علم الآثار الشرقية، دمشق - 1981-1982.
- الصليبي، كمال: البحث عن يسوع قراءة جديدة في الأناجيل، ط 1، بيروت - 1998.

- ------------: خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل، ط 4، بيروت - 1998.
- الصيلبي، محمد علي: "القدس في مصادر الإسلام الرئيسة"، جامعة النجاح للأبحاث والعلوم الإنسانية، ع 12، فلسطين - 1988، ص 131-152.
- الصمادي، طالب عبد الله: "العوامل الاقتصادية خلف السيطرة الآشورية الحديثة في سوريا وفلسطين خلال الألف قبل الميلاد"، بحث مقبول للنشر في مجلة دراسات تاريخية، دمشق ص 1-23.
- أبو الصوف، بهنام: "تحامل اليهود على الحضارة العراقية القديمة، ط، آفاق عربية، ع 11، بغداد - 1985، ص 48-53.
- فرحان، وليد محمد صالح: العلاقات السياسية للدولة الآشورية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد - 1976.
- فرويد، سيجموند: موسى والتوحيد، ترجمة جورج طرابيشي، ط 2، بيروت - 1977.
- فريج، غازي محمد: النشاط السري اليهودي في الفكر والممارسة، ط 1، بيروت - 1990.
- فريحة، أنيس: دراسات في التاريخ، بيروت - 1980.
- فيش، ت: "رسائل من جبهات القتال في العراق القديم" ترجمة عبد الوهاب الوكيل، الثقافة الأجنبية، ع 3. بغداد - 1982، ص 124-134.
- قبيسي، محمد بهجت: ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكدية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية، دمشق - 1999.
- قوجمان، ي.: قاموس عبري عربي، بيروت - 1970.
- كاظم، ناصر: "مفاهيم عبر التاريخ"، إحياء التراث العربي الإسلامي، ع 6، بغداد - 1978. ص 25-44.
- ------------: "مفاهيم عبر التاريخ"، إحياء التراث العربي الإسلامي، ع 8، بغداد - 1979. ص 79-89.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ط 1، بيروت - 1966، ج 1، ج 2، ج 3.
- الكجك، يسرى: "الآبلية لغة مدونة في وثائق ملكية"، دراسات تاريخية، ع 21-22، دمشق - 1986، ص 162-176.
- كرويه، يوسف يعقوب: يهود العراق تاريخهم، أحوالهم، هجرتهم، ط 1، بيروت - 1998.
- كريشن، فرينز: عجائب الدنيا في عمارة بابل، ترجمة صبحي أنور رشيد، بغداد - 1976.
- كفوف، نجاة ثلجي سعد: ملوك بني عمون، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك - 1993.
- كونتينو، جورج: الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة، القاهرة - بدون تاريخ.
- ------------: الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة سليم طه التكريتي، ط 2، بغداد - 1986.
- كولديفاي، روبرت؛ فيتسل، فريدريش: القلاع الملكية في بابل، ترجمة نوال خورشيد، بغداد - 1985.
- كيلاني، لمياء؛ الألوسي، سالم: أوائل العرب، لندن - 1999.
- محفل، محمد: "متى كان لسوريا والعراق حدود مميزة خاصة"، دراسات تاريخية، ع 49-50، دمشق - 1994، ص 125-127.
- ------------: "قراءة في كتاب جغرافية باطلة تاريخ وتصحيح"، دراسات تاريخية، ع 55-56، دمشق - 1996، ص 209-221.
- مرعي، عيد: "دمشق القديمة"، دراسات تاريخية، ع 55-56، دمشق، ص 9-15.
- ------------: "ملاحظات عن الكتابة المسمارية في آبلا"، دراسات تاريخية، ع 63-64، دمشق - 1998، ص 27-47.

- ------------: "بابل في عهد نبونائيد آخر ملوكها"، دراسات تاريخية، ع 63-64، دمشق - 1998، ص 27-47.
- مظلوم، طارق عبد الوهاب: "الفنان الآشوري يرافق الحملات العسكرية"، بحوث آثار حوض سد صدام، بغداد - 1987.
- ------------: "فن النحت المدور والبارز والنحت على العاج"، موسوعة الموصل الحضارية، موصل - 1991، م 1، ص 453-467.
- المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 2، ليدن - 1906.
- المكني، محمد حسين: "الاتصال والتواصل بين الرسالات السماوية"، الحضارة الإسلامية، ع 4، الجزائر - 1998، ص 30-43.
- منظمة المؤتمر الإسلامي: مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ع 36، إستنبول - 1995.
- محمد، حياة إبراهيم: نبوخذ نصر الثاني (604-562) ق.م، بغداد - 1983.
- محمد، عوض محمد: المسألة الصهيونية في نظر العلم، القاهرة - 1947.
- محمد، قاسم محمد: التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل، قطر - 1992.
- موسى، محمد العزب: موسى مصرياً نظرية فرويد في التاريخ اليهودي، القاهرة - 1969.
- موسكاتي، سبتانو: الحضارات السامية القديمة (روما 1957)، ترجمة السيد يعقوب بكر، القاهرة - بدون تاريخ.
- هرتزوغ، زئيف: "هدم أسوار أريحا"، ترجمة فاتن البستاني، المنتدى العربي، ع 174، عمان - 2000، ص 15-20.
- المومني، أسماء أحمد رشيد: دراسة لغوية وجغرافية لأسماء أماكن في وسط وجنوب الأردن الواردة في العهد القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة اليرموك - الأردن - 1997.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، بيروت - بدون تاريخ، ج 3، ج 4، ج 5، ج 15.

- مني، زياد: جغرافية التوراة، ط 1، لندن - 1994.
- ----------: "من هم العبرانيون"، الثقافية، ع 36، عمان - 1995، ص 24-37.
- نقاش، البير فريد: "اللغات المشرقية أو ألسنة المشرق"، افاق عربية، ع 10، بغداد - 1990، ص 148-150.
- نولدكه، ثيودور: اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، القاهرة - 1963.
- هزيمة، محمد عبد الله: بنية الرسالة العبرية القديمة من القرن العاشر إلى الخامس قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك - الأردن - 1996.
- هزيم، رفعت: "الندوة الإقليمية الأولى عن الكتابات في بلاد الشام حتى ظهور الإسلام"، الأنباء، ع 16، عمان - 1994، ص 30-33.
- هنانو، ملك: "من التوراة"، المجمع العلمي العربي، م 39، ع 2، دمشق - 1964، ص 313-334.
- الهيتي، قصي منصور عبد الكريم: عبادة الإله سين في حضارة وادي الرافدين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد - 1995.
- الهودليه، صلاح حسين أحمد: أنظمة الدفاع في دويلات المدن في شمال الأردن وفلسطين خلال العصر البرونزي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك - الأردن - 1992.
- الوائلي، فيصل: "تاريخ العرب القديم في النصوص الآشورية (853-630) ق.م"، في كتاب الذكرى والتاريخ، بإشراف شاكر مصطفى، الكويت - 1978، ص 85-109.
- واتيلام، كيث: اختلاق إسرائيل القديمة (إسكات التاريخ الفلسطيني)، ترجمة سحر الهنيدي، الكويت - 1998.
- ولفنسون، أ: تاريخ اللغات السامية، القاهرة - 1929.

- ياكبسون، في، أي: "التركيب الاجتماعي للإمبراطورية الآشورية الحديثة"، موسكو - 1965، في العراق القديم دراسة العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، ترجمة سليم طه التكريتي، ط 2، بغداد 1986، ص 423-451.

المصادر الأجنبية:

- Ahmad, A.Y., Some Neo-Assyrian Provincial Administrators, Ph.D. Thesis, University of London, 1984.
- Aharoni, T., "Three Hebrew Ostraca from Arad", **BASOR**, No. 197, 1970, p. 112-120.
- Aharoni, Y., "The Stratification of Judanite Sites in the 8th and 7th Century B.C.", **BASOR**, No. 224, 1976, p. 73-90.
------------ "Nothing Early and Nothing Late: Re-writing Israel's Conquest", **B.A**, Vol. 39, No. 2, 1976, p. 74-75.
- Ahlstrom, G.W., "Where Did Israelites Live", **JNES**, Vol. 41, No. 2, 1982, p. 133-138.
- Albright, W.F., "The Nebuchadnezzar and Neriglissar Chronicles", **BASOR**, No. 143, 1956, p. 28-33.
- -----------"An Ostracon from Calah and North Israelite Diaspora", **BASOR**, No. 149, 1958, p. 33-36.
- ----------------, "The Original Account of the Fall of Samarian in II Kings", **BASOR**, No, 174, 1964, p. 66-67.
- ----------------, Yahweh and the Codes of Cannan, New York, 1969.
- ----------------, "Palestinian Inscription" In: Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament (ANET), New Jersey - 1969, p. 320-321.
- ----------------, "From Patriarchs to Moses from Abraham to Joseph", **B.A**, Vol. 36, No. 1, 1973, p. 7-35.
- ----------------, "From Patriarchs to Moses: Moses out of Egypt", **B.A**, Vol. 37, No. 2, 1973, p. 51-65.
- Barnet, R.D., Assyrian Palaces Reliefs in British Museum, London 1970.
- Biem, D.R., "In Search of Moses", **Time**, No. 14, 1998, p. 41-48.
- Biggs, R., "The Ebla Tablets: An Interim Perspective", **B.A**, Vol. 43, No. 2, 1980, p. 67-76.
- Bimson, J.J., "Redating the Exodus", **B.A**, Vol. 8, No. 4, 198,p.20-68.
- Bonbaz, V., "A Brick Inscription of Nabonidus from Harran" In: Annual Review of the Royal Inscription of Mesopotamia Project, Canada - 1991, Vol. 9.
- Borger, R., Babylonisch-Assyrische Lesetuck, (BAL) Rome - 1963.
- Bottero, J., Rellexicon d'Assyriology, Paris - 1972-75, Vol. 4.
- Brinkman, J.A., "Elamite Military Aid to Merod-Baladin", **Iraq**, Vol. 24, 1965, p. 161-166.

- Brinkman, J.A., "Note on Aramaeans and Chaldaeans in Southern Babylonia in the Early Seventh Century B.C.", **Orientalia**, Vol. 39, fasc. 1-2, 1970, p. 304-325.
- Brinkman, J.A., "Sennacherib's Babylonian Problem: An Interpretation", JCS, Vol. 15, No. 2, 1973, p. 89-95.
- Brinkman, J.A., "from Destruction to Resurrection on: The Antecedents of Babylonia's Birth as World Power in the Seventh Century B.C", **Sumer**, Vol. 41, No. 1-2, 1985, p. 110-112.
- Brockelman, K., Lexicon Syriacum, Hildesheim - 1966.
- Brown, F., Driver, R., Briggs, C.A., A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, Oxford - 1951.
- Buccellati, G., Cities and Nation of Ancient Syria, Rome - 1967.
- Budge, E.A.W., A Guide to the Babylonian and Assyrian Antiquities, London - 1922.
- Cameron, G., "The Annals of Shalmaneser III King of Assyria: A New Text ", **Sumer**, Vol. 6, 1950, p. 6-26.
- Caown, A.D., "Tidings and Instructions: How News Traveled in the Ancient Near East", **JESHO**, Vol. 17, pt. 3, 1974, p. 244-271.
- Cohen, S.J.D., "The Modern Study of Ancient Judaism", In: The State of Jewish Studies, ed. Cohen, S.J.D., Detroit - 1999, pp. 55-73.
- Coogan, M.B., "Tyre and Tiglath-Pileser III", **JCS**, vol. 25, No. 1, 1973, p. 96-99.
- ---------------- "Life in the Diaspora: Jews in Nippur in the Fifth Century", **B.A**, Vol. 37, 1974, p. 6-12.
- ----------------, Tadmor, H., "Ashurbanipal's Conquest of Babylon: The First Official Report -prism-k" **Oreintalia**, Vol. 50, fasc. 1, 1981, p. 229 - 240.
- Cook, J.M., "The Rise of the Achaemenoids and Establishment of their Empire", In: Cambridge History of Iran, ed. Gersherithc, I., New York - 1996, p. 200-291.
- Cross, F, Freedman, D., "Josiahs Revolt against Assyria", **JNES**, Vol. 21, 1953, p. 56-58.
- Daiches, S. The Jews in Babylonia in the Time of Ezra and Nehemiah according to Babylonia Inscriptions, London - 1910.
- Dailey, S., "Foreign Chariotry and Carely in Armies of Tiglath-pileser III and Sargon II", **Iraq**, Vol. 52, 1985, p. 31-48.
- Dalley, S. "The Influence of Mesopotamia upon Israel and the Bible", In: Legacy of Mesopotamia, ed. Dalley, S., Oxford - 1998, p. 57-83.
- Daniel, D.G., The Medes and Persians, London - 1965.
- Dubberstin, W., "Assyrian and Babylonian Chronology 664-612 B.C", **JNES**, Vol. 63, 1974, p. 206-291.
- Epha'l, I., "The Western Minorities in Babylonia in the 6th - 5th Centuries B.C: Maintenance and Cohesion", **Oreintala**, Vol. 47, fasc. 1, 1987, p. 74-90.
- ----------------, "On the Political and Social Organization of the Jews in Babylonian Exile", **ZDMG**, Supp. 1-5, 1983, p. 106-112.
- ----------------, The Ancient Arabs-Nomads on the Border of the Fertile Crescent AL 9th - 5th Centuries B.C, Jerusalem - 1984.

- Fales, F.M., "A List of Assyrian and West Semitic Women Names", **Iraq**, Vol. 16, 1954, p. 55-74.
- Fales, F.M., Postgate, J.N., "Imperial Administrative Records", State Archives of Assyrian (SAA) Finland - 1995, pt. 2, Vol. 6.
- Finkelstein, J.J., "Mesopotamia", **JNES**, Vol. 21, No. 2, 1962, p. 73-92.
- Frankfort, H., The Art and Architecture of the Ancient Orient (AAO), London - 1969.
- Freedman, D.N., "The Real Story of the Ebla Tablets and the Cities of the Plain", **B.A**, Vol. 41, No. 4, 1978, pp. 143-164.
- Gadd, C.J., "Inscribed Barrel Cylinder of Mardek-Aplo-Indian", **Iraq**, Vol. 15, pt.2, 1953, p. 123-134.
- ----------------, "The Inscribed Prisms of Sargon II from Nimrud", Iraq, Vol. 16, 1954, p. 173-201.
- ----------------, "The Harran Inscription of Nabonidus", **AS**, Vol. 8, 1958, p. 35-93.
- ----------------, "UR", In: The Archaeology and Old Testament Study, ed. Thomas, W., Oxford - 1967.
- Gelb, J., "The Ancient Mesopotamian Relation System", **JNES**, Vol. 24, 1965, p. 230-245.
- George, A.R., "The Cuneiform Text Tin-Tirki Ba-bi-Lu and Topography of Babylon", **Sumer**, Vol. 35, 1979, p. 323-336.
- Gray, J., Legacy of Canaan, London - 1957.
- Grayson, A.K., Assyrian and Babylonian Chronicles (ARC), New York, 1975.
- Ginsberg, H.L., "Aramaic Letters", In: ANET, p. 491-492.
- Greengus, S., "Economic relation in the lands, the Bible 1000-539 B.C." **Orientalie**, Vol. 50, Fasc. 2, 1981, p. 213-215.
- Gurney, O.R., "The Fifth Tablet of the Topography of Babylon", **Iraq**, Vol. 36, 1974, p. 39-52.
- Haerinck, E., "Babylonia under Achaemenid Rule", In: Mesopotamia and Iran in Persian Period Conquest and Imperialism 539-331 B.C, ed. Curtis, J., London - 1997, pp. 26-34.
- Hallo, W.W., "Mesopotamia", In: Encyclopedia Judaica, Jerusalem - 1971, Vol. 16.
- ----------------, "Harran", In: Encyclopedia Judaica, Jerusalem - 1971, Vol. 16.
- ----------------, "The Ancient Near East", In: History of the World Earliest Times to the Renaissance, Hong Kong - 1988.
- ----------------, "Compare and Contrast: The Contextual Approach to Biblical Literature", In: Bible in Light of Cuneiform Literature, ed. Hallo, W.W., Jones, B.W., Mattingly, GL, U.S.A - 1990, Vol. 8.
- Harold, G.S., "Isaiah and the Siege of Jerusalem", **JSOR**, Vol. 6, No. 3-4, 1927, pp. 286-292.
- Harper, O., Pittman, H., Essays on Near Eastern Art and Archaeology, New York - 1983.
- Hasel, M., "Israel in the Merenpath", **BASOR**, No. 29, 1994, pp. 45-61.
- Hawkins, J.D., "Assyrians and Hitties", **Iraq**, Vol. 36, 1974, pp. 67-83.

- Hess, R.S., "Early Israel in Canaan: A Survey of Recent Evidence and Interpretations" Essays on Ancient Historiography, ed. Long, V.P., Indiana - 1999, pp. 503-522.
- Hiedel, A., "The Octagonal Sennacherib Prism in Iraq Museum", **Sumer**, Vol. 6, 1953, pt. 1, pp. 125-141.
- ----------------, "A New Hexagonal of Easarhddon", **Sumer**, Vol. 12, 1956, pp. 3-7.
- Hulin, K., R., "The Inscription on the Cared Throne-base of Shalmaneser III", **Iraq**, Vol. 25, 1963, pp. 48-69.
- Hulin, K., R., "Building Inscription from Forts Shalmaneser in Nimrud", **Iraq**, Vol. 21, 1959, pp. 48-69.
- Johnson, P. Civilization of the Holy Land, London - 1979.
- Kenyon, K., Archaeology in the Holy Land, London - 1960.
- ----------------, Digging up Jerusalem, London - 1974.
- Kinnier, Wilson, J.V., The Nimurd Wine Lists (NWL), London - 1972.
- Labat, R., Manuel D'epigraphie Akkadinne, (MDA), Paris - 1976.
- Lambert, W.G., "The Reigns of Assurnasirpal II and Shalmaneser III: An Interpretation", **Iraq**, Vol. 36, 1974, pp. 103 - 110.
- Lanfranchi, GB., "The Correspondence of Sargon II, part II, letter form the Northern and Northeastern Provinces", State Archives of Assyria (SAA) ed. Parpola, S., Helsinki - 1990, Vol. 5.
- Lassøe, J. "A Statue of Shalmaneser III from Nimrud", Iraq, Vol. 21, pt.1, 1959, pp. 147-157.
- Lods, A., Israel form its Beginning to the Middle of the Eight Century, translated by Hook S.H., London - 1932.
- Levine, L.D., "Menahem and Tiglath-pliser III: A New Synchronism", **BASOR**, No. 20, 1972, pp. 40-44.
- ----------------, "The Second Campaign of Sennacherrib's", JNES, Vol. 32, 1973, pp. 20-50.
- ----------------, "Sennacheribes Southern Front", JCS, Vol. 34, No. 1-4, 1982, pp. 20-58.
- Lewy, H. "Nitokris - Naqia", JNES, Vol. 2, 1952, pp. 273-278.
- Luckenbill, D.D., The Annals of Sennacherib, Chicago - 1932.
- ----------------, Ancient Records of Assyrian and Babylonia (ARAB), Chicago - 1926, Vol.1.
- ----------------, Ancient Records of Assyrian and Babylonia (ARAB), Chicago - 1927, Vol.2.
- Macoqueen, J., Babylon, London - 1964.
- Malamat, A., "Sources for Early Biblical. The Second Millenium B.C.", **Orientalia**, Vol. 50, facs. 1, 1978, pp. 11-112.
- ----------------, "Aspects of the Foreign Policies of David and Solomon", JNES, Vol. 22, 1983, pp. 1-7.
- Mallowan, M.E., "Cyrus the Great 558-529 B.C.", Iran, Vol. 10, 1972, pp. 1-17.
- ----------------, "Samaria and Calah (Nimrud): Conjunctions in History and Archaeology", ed. Moorey, R., In: Archaeology in the Levant, Parr, P., England - 1978, pp. 155 - 163.

- Mccarter, K., "Yaw Son of Omri, A Philological Note on Israelite Chronology", BASOR, No. 216, 1974, pp. 5-7.
- Millard, A.R., "Alphabetic Inscriptions on Iroreis from Nimrud", Iraq, Vol. 24, 1962, pp. 41-51.
- ----------------, "Fragments of Historical Texts from Nineveh", Iraq, Vol. 30, pt.1, 1968, pp. 108-120.
- ----------------; Tadmor, H. "Adad Niran III in Syria", Iraq, Vol. 35, pt. 1-2, 1973, pp. 57-64.
- ----------------, "Assyrian Royal Names in Biblical Hebrew", JSS, Vol. 21, 1976, pp. 1-14.
- ----------------, "Assyrian and Aramaens", Iraq, Vol. 45, 1083, pp. 101-107.
- Mitchell, T.G., The Bible in British Museum, London - 1990.
- Moscati, S., The Face of the Ancient Orient, London - 1963.
- ----------------, The World of the Phoenicians, translated form Italian by Hamilton A., London - 1968.
- Na'aman, N., "Habiru and Hebrews: The Transfer of a Social Term to the Literary Sphere", JNES, Vol. 45, No. 4, 1986, pp. 271-288.
- Newman, J., The Agricultural Life of the Jewish Babylon, 1932.
- North, R., "High Points of Mesopotamia Art", Oreintalia, Vol. 37, fasc. 2, 1968, pp. 220 - 231.
- Oates, J., "Assyrian Chronology 631-619 B.C.", Iraq, Vol. 17, pt. 2, 1965, pp. 135-159.
- ----------------, "Excavation at Tell Al-Rimah", Iraq, Vol. 30, 1968, pp. 115-138.
- ----------------, "Balawat (Imgur-Enlil): The Site and its Buildings", Iraq, Vol. 36, 1974, pp. 173-178.
- ----------------, "Balawat: Recent Excavation and a New Gate", In: Essays on Near Eastern Art and Archaeology, ed. Prudence, N., Harper, O., Pittman, H., New York - 1983.
- Oded, B., "Observation on Methods of Assyrian Rule in Transjordanian after the Palestine Campaign of Tiglath - Pileser III", JNES, Vol. 31, No. 2, 1970, pp. 177-185.
- Odijk, P., The Israelites, New Jersey - 1990.
- Olmsted, A.M., "The Fall of Samaria", AJSL, Vol. 21, 1904-1905, pp. 179-182.
- Oppenheim, Leo, "Babylonian and Assyrian Historical Text", In: Ancient Near Eastern Texts Relating with the Old Testament (ANET), ed. Pritchard, J.B., New Jersey - 1969, pp. 265-317.
- Page, S., "The Tablets of Tell Al-Rimah", Iraq, Vol. 30, 1968, pp. 87 - 97.
- ----------------, "A stela of Adad - Nirari III and Nergal Eres form Tell Al-Remah", Iraq, Vol. 30, 1968, pp. 139-153.
- Parpola, S., The Murder of Sennacheribs, Death in Mesopotamia, Copenhagen - 1980.
- ----------------, "The Correspondence of Sargon II letters from Assyrian and West", In: Archives State of Assyria (ASS), Finland - 1997, pt. 1, Vol. 1.

- Pecirkora, I., "The Administrative Organization of the Neo-Assyrian Empire", **Orientalia**, Vol. 45, 1977, pp. 177-187.
- Pefeifer, R., State Letters of Assyria, New York - 1939,
- Pettinato, G., "The Royal Acrhives of Tell Mardikh - Ebla", **B.A**, Vol. 39, No. 2, 1976, pp. 44 - 54.
- ----------------, The Archives of Ebla, An Empire Inscribed in Clay (SLA), New York - 1981.
- Pitard, W.T., Ancient Damascus, A Historical Study of the Syrian City Stare from Earliest Time until its Fall to the Assyrian in 732 B.C, Indiana - 1987.
- Porads, E., "Remarks about Some Assyrian Beliefs", AS, Vol. 33, 1983, pp. 15 - 18.
- Porten, B., "The Identity of King of Adon", **B.A**, Vol. 44, No. 1, 1981, pp. 36 - 52.
- Pritchard, J.B., The Ancient Near East An Anthology of Texts and Pictures, Oxford - 1958.
- Read, J., "Two Slabs from Sennacherib's Palaces", Iraq, Vol. 29, pt. 2, 1967, pp. 44-65.
- ----------------, "Sources for Sennacherib The Prisms", JCS, Vol. 27, No. 4, 19 , pp.
- Ross, B., "Correspondence in Clay", **Arameo World**, Vol. 50, No. 6, 1999, pp. 30 - 35.
- Russel, J.M., The Final Sack of Nineveh, London - 1998.
- Sack, R.H., "Nergal-sarra-USUR King of Babylon as Seen in the Cuneiform, Greek, Latin and Hebrew Sources", ZANF, Vol. 68, 1978, pp. 129 - 149.
- Safar, F., "Another Remarkable Text of Shelmanser III", **Sumer**, Vol. 6, 1950, pp. 146-160.
- Saggs, H., "The Nimrud Letters: Relating with the West", Iraq, Vol. 17, pt.2, 1955, pp. 146 - 160.
- ----------------, "Assyrian Warfare in the Sargonid Peiod", **Iraq**, Vol. 26, 1963, pp.
- ----------------, "Historical Texts and Fragments of Sargon II of Assyria", **Iraq**, Vol. 37, pt. 1, 1975, pp. 11-20.
- Samuel, P., King of the World Ashur-Nasir-pal II of Assyria 883-859 B.C., New York - 1976.
- Sander, N.K., The Sea Peoples Warriors of the Ancient Mediterranean 1250-1150 B.C, London - 1985.
- Segal, T.B., "An Aramaic Ostracon from Nimrud", **Iraq**, Vol. 19, pt. 2, 1957, pp. 139-145.
- Seters, J.V., "Histories and Historian of the Ancient Near East: The Israelites", **Orientalia**, Vol. 50, fasc. 2, 1981, pp. 137 - 185.
- Shea, W.H., "Adon's Letter and the Babylonian Chronicle", **BASOR**, No. 223, 1976, pp. 61 - 63.
- ----------------, "Adad-Nirai III and Jehoash of Israel", JCS, Vol. 30, No. 12, 1978, pp. 101-113.

- Shiloh, Y., "The Population of Iron Age Palestine in the Light of a Sample Analysis of Urban Plans Areas and Population Density", **BASOR**, No. 239, 1980, pp. 25-35.
- Spalinger, A., "Esarhaddon and Egypt: An Analysis of the First Invasion of Egypt", **Oreintalia**, Vol. 43, fasc. 3-4, 1974, pp. 295-326.
- Smith, G., "The Foundation of the Assyrian Empire", In: Cambridge Ancient History (CAH), Cambridge - 1960, Vol. 3, pp. 1-30.
- ----------------, "The Supremacy of Assyria", In: CAH, Vol. 3, Ch.2, pp. 32-58.
- ----------------, "Sennacheribs and Esarhadon", In: CAH, Vol. 3, Ch. 3, pp. 61 - 87.
- ----------------, "Ashurbanipal and the Fall of Assyria", In: CAH, Vol.3, Ch. 4, pp.
- Speiser, P., "Akkadean Myths and Epics", In: ANET, pp. 225-272.
- Stephani, D., Mari and Karrana Two Old Babylonia Cities, London - 1984.
- ----------------, "The Genealogy of the Murasu Family", **JCS**, Vol. 28, No. 4, 1976, pp. 180 - 200.
- ----------------, "A Note on Yahwistic Personal Names in the Murasu Texts", **BASOR**, No. 222, 1976, pp. 26 - 28.
- Stromerger, Era., The Art of Mesopotamia, London - 1964.
- Stronach, D., "A Chaemenid Village at Susa and Persian Migration to Fars", Iraq, Vol. 36, 1974, pp. 239 - 248.
- Tadmor, H., "The Campaign of Sargon II of Assur: A Chronological Study", **JCS**, Vol. 12, No. 1, 1958, pp. 22-46; 77-100.
- ----------------, "Philistia under Assyrian Rule", **B.A**, Vol. 29, No. 3, 1966, pp. 86-102.
- ----------------, "The Historical Inscription of Adad-Nirari III", Iraq, Vol. 35, pt. 2, 1973, pp. 141 - 150.
- ----------------, "The Inscriptions of Tiglath-pileser *III* King of Assyria", **AJA**, Vol. 77, No. 3, 1973, pp. 290 - 291.
- Thiele, E., R., "The Chronology of the Kings of Judah and Israel", **JNES**, Vol. 3, 1944, No. 3, pp. 162-180.
- ----------------, "New Evidence on the Chronology of the Last Kings of Judah", **BASOR**, No. 134, 1956, pp. 22-27.
- ----------------, "An Additional Chronological Note on Yaw Son of Omri", **BASOR**, No. 1976, pp. 19-23.
- Thompson, C., The Prism of Esarhaddon and Ashurbanipal Found at Nineveh, London - 1931.
- Toombs, L.E., "The Development of Palestinian Archeology as a Disipline" **JAOS**, Vol. 45, No. 2, 1977, p. 89-92.
- Thompson, T., L., The Bible in History, London - 2000.
- Unger, M., Archaeology and Old Testament, London - 1974.
- Unstead, R.J., Forman, W., The Assyians, London - 1980.
- Ussiskkin, D., "Was Bit-Adini a New Hittie or Aramean State", **Orientalia**, Vol. 40, 1971, pp. 431 - 437.
- ----------------, "The Destruction of Lachish by Sennacherib and Dating of the Royal Judean Storage Jars", Tel Aviv (1-2) 1977, pp. 28-60.

- Ussiskki, D., "Where Israel Archeology Going", B.A, Vol. 45, No. 2, 1982, pp. 93 - 96.
- Waterman, L., Royal Correspondence of the Assyrian Empire, Michigan - 1930.
- Widengren, G., "The Persian", In: People of Old Testament Times, Oxford - 1975, P. 312-347.
- Williams, S., "Preliminary Report on the Excavation at Tell Rifa'at", Iraq, Vol. 33, 1961, pp. 68 - 87.
- ----------------, "The Excavations at Tell Rifa'at, 1964, Second Preliminary Report", Iraq, Vol. 29,1967, pp. 16-33.
- Wiseman, D.J., "Two Historical Inscriptions from Nimrud", Iraq, Vol. 13, 1951, pp. 21-35.
- ----------------, Chronicles of Chaldean, London - 1956.
- ----------------, "A Fragmentary Inscription if Tiglath-pileser III from Nimrud", Iraq, Vol. 17, pt. 2, 1956, pp. 117-129.
- ----------------, "Some Egyptians in Babylonia", Iraq, Vol. , 1966, pp. 154-156.
- ----------------, "The Vassal Treaties of Esarhadon", Iraq, Vol. 20, 1958, pp. 9-13.
- Woolley, S.L., Excvation at Ur, London - 1963.
- Wright, G.E., "Israelite and Iron Age Chronology", BASOR, No. 155, 1959, pp. 13-28.
- Zadok, R., "On The Connections between Iran and Babylonia in the Sixth Century B.C", Iraq, Vol. 14, 1976, pp. 61-78.
- ----------------, "Phoenicians, Philistines and Moabites in Mesopotamia", BASOR, No. 230, 1978, pp. 57-65.
- ----------------, "West Semitic Personal Names in the Murasu Documents", BASOR, No. 231, 1978, pp. 73-78.
- ----------------, "On West Semites in Babylonia during the Chaldean and Achaemenia Periods", Oreintalia, Vol. 48, fasc. 4, 1974, pp. 206 - 204.
- ----------------, The Jews in Babylonia during Chaldean and Achaemenian Periods According to Cuneiform Sources, Jerusalem - 1979.
- ----------------, "Notes on the Early History of the Israelites and Judeans in Mesopotamia", Orientalia, Vol. 51, 1982, pp. 391 - 393.

المحتويات

من منشورات دار علاء الدين

- بدايات الحضارة

عبد الحكيم الذنون

- السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسورية الشمالية

جان كلود مارغرون

- أصالة المدينة كوحدة جغرافية وتخطيطية

أ. د. محمد جاسم شعبان العاني

- تاريخ التفكر بالإله

باشراف مارسيل روبي

- نقد النص التوراتي الكتاب الأول

د. إسماعيل ناصر الصمادي

- التأريخ التوراتي.. والتاريخ الكتاب الثاني

د. إسماعيل ناصر الصمادي

- التأريخ التاريخي ما بين السبي البابلي وإسرائيل الصهيونية الكتاب الثالث

د. إسماعيل ناصر الصمادي

- أسرار الآلهة والديانات

د. آ. س. ميغوليفسكي

- الفينيقيون والألعاب الأولمبية دور مدينة عمريت الفينيقية في نقل ممارسة المباريات الرياضية غلى اليونان

د. قاسم الشواف

- الإله والإنسان وأسرار جنائن بابل

د. ماجد عبد الله الشمس

- أسرار بابل

ف. أ. بلبافسك

- الحـ

- هرم

- رموز ومعجزات دراسات في طرق والمناهج التي استخدمت لقراءة الكتابات واللغات القديمة

أرنست دوبلهوفر

- الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم

فراس السواح

- آرام دمشق واسرائيل في التاريخ و التاريخ التوراتي

فراس السواح

- تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود

فراس السواح

- جلجامش ملحمة الرافدين الخالدة

فراس السواح

- سحر الأساطير دراسة في الأسطورة التاريخ الحياة

م فـ البيديل

- شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم

مجموعة من المؤلفين

- الفكر الإغريقي

محمد الخطيب

- المجتمع العربي القديم

محمد الخطيب

- تاريخ الحضارة العربية

محمد الخطيب

- المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية

إ. س. سفينسيسكايا

- حضارة إيران وآسيا الصغرى في العصور القديمة

محمد الخطيب

محمد الخطيب

نوري إسماعيل

- الديانة الفرعونية

ي. ي. ليتفينا